بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم
قسم اللغة العربية

البطولة في الشعر العربي الإسلامي زمن الرسول ﷺ

Heroism in the Islamic – Arabian Poetry at the prophet's era

إعداد:

حسن مرعي حسن الشلبي

الرقم الجامعي: (٩٥٢٠٣٠١٠٠٥)

إشراف الأستاذ الدكتور:

يحيى وهيب الجبوري

٢٠٠٠م

البطولة في الشعر العربي الإسلامي زمن الرسول ﷺ

Heroism in the Islamic – Arabian Poetry at the prophet's era

إعداد:

حسن مرعي حسن الشلبي

الرقم الجامعي:

(٩٥٢٠٣٠١٠٠٥)

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
أ.د. يحيى وهيب الجبوري	(مشرفاً ورئيساً)	.....
أ.د. نصرت عبد الرحمن (الجامعة الأردنية)	(عـــضـــواً)	.....
أ.د. عدنان عبيد العلي	(عـــضـــواً)	.....
د. محمد محمود الدروبي	(عـــضـــواً)	.....

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصي بإجازتها تعديلها/رفضها، بتاريخ ...١٧/٥/٢٠٠٠.....

الإهداء

إلى روح والديَّ، رحمهما الله تعالى

إلى زوجتي التي حفَّزَت... وأعانت... وصبرت

إلى إخوتي وأخواتي...

وإلى أقاربي وأصدقائي...

الشكر والتقدير

أحمد الله سبحانه وتعالى حمداً يوازي نعمه، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد النبي العربي الأمي، الذي بعثه الله تعالى مُعلِّماً وهادياً وأسوة حسنةً في العمل والتعامل والعبادة. وعلى آله وأصحابه الذين حملوا مشعل الخير والهداية وطافوا به أرجاء الدنيا وتحملوا لذلك المصاعب والمتاعب التي تنوء بحملها الجبال، فضربوا أروع الأمثلة في البطولة والجهاد والاستشهاد في سبيل الله وخير البشرية، فجزاهم الله عنّا خير الجزاء.

وبعد، فإنّ لمشرفي وأستاذي الدكتور يحيى وهيب الجبوري في عنقي من الجميل والعرفان ما لا تحيط به عبارات الشكر والتقدير والثناء، فلقد كان مُحفِّزاً ودافعاً إذا ضعفت هِمَّتي، وكان معلماً ومرشداً إذا اختلط عليَّ الأمر، وكان صابراً إذا ما أبطأتُ وتأخّرتُ في العمل، وفي كل هذا وذاك كان أخاً كبيراً وصديقاً صدوقاً، وكيف لا يكون كل ذلك وأكثر وهو من العلماء العاملين! فجزاه الله عني خير الجزاء ومتعه بالصحة والعافية، وأطال عمره في حياة سعيدة هانئة.

والشكر أجزله إلى أساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين بذلوا من وقتهم وجهدهم في قراءة هذه الرسالة وإبداء الملاحظات التي ستكمل ما نقص منها، وتضيف ما غاب عنها، فجزاهم الله خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أساتذتي أعضاء هيئة التدريس في قسم اللغة العربية في جامعة آل البيت، وإلى كل مَنْ علَّمَني منذ أن عرفت شكل الحرف ومعناه، وكذلك أتقدم بالشكر كله إلى كُلِّ مَن كان له عليَّ حقٌّ أو فضلٌ لإتمام هذا العمل الذي أرجوه من الله تعالى.

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	ب
الشكر	ج
فهرس المحتويات	د
المقدمة	١
التمهيد	
١- البطل والبطولة، لغة واصطلاحاً	٦
٢- لمحة عن البطولة عند العرب في الجاهلية	
كما يصورها الشعر الجاهلي	١٠
الفصل الأول: مفهوم البطولة في الإسلام	
١- الدافع إلى القتال	٢٨
٢- الجهاد بدلاً من القتال	٣٦
٣- الشهيد والشهادة	٣٩
٤- الثواب	٤٣
٥- نصر الله للمسلمين	٤٨
٦- قتال الملائكة مع المسلمين	٥١
الفصل الثاني: موضوعات شعر البطولة	
١- صفات البطل والأبطال	٥٦
٢- وصف النبي ﷺ	٦٩
٣- وصف الجيش والمعركة	٨٠
٤- الخيل والأسلحة	٩٥
الفصل الثالث: الدراسة الفنية	
١- الإسلام والشعر	١٠٥
٢- الأغراض الشعرية	١١٥

٣- الهيكل العام للقصيدة	١٢٢
٤- الألفاظ والتراكيب	١٣٠
٥- المعاني	١٣٣
٦- الأسلوب	١٣٦
٧- الصورة والخيال	١٤٢
٨- الأوزان والقوافي	١٥٢
الخاتمة	١٦١
النتائج	١٦٢
التوصيات	١٦٣
المصادر والمراجع	١٦٤
الملخص باللغة الإنجليزية	١٦٩

المـــقـــدمـــة

إن فترة صدر الإسلام –والعهد النبوي منها خاصة– تعد الفترة التي بددت ظلام الجاهليـــة وأنارت للأمة العربية طريق التقدم والرقي، لتأخذ حظها بين الأمم في بناء حضارة تعدت حـــدود القومية والجغرافيا، لتساهم في دفع الدنيا بأسرها إلى ميادين جديدة من التقدم العلمـــي والأدبـــي، بعد أن أعادت إلى الإنسان إنسانيته ومكانته عندما حطمت عبادة الإنسان للإنســـان، أو عبادتـــه للأوثان، وارتقت به إلى عبادة إله واحد، خالق الخلق، ومُسيِّر الكون، ففي هذه الفترة جاء الحـــق وزهق الباطل، وكان ذلك بمشيئة الله، وعلى أيدي رجال التفُّوا حول النبـــي ﷺ بعـــد أن آمنـــوا برسالته فشكلوا معه عهداً يعد أفضل عهد وأقدسه من عهود التاريخ الإسلامي.

ولهذا العهد مكانة في نفوس المسلمين جلّت عن أن يحيط بها وصـــف، ولرجالـــه محبـــة وتبجيل واحترام، ولا يزيد عليها إلا ما كان منها لهذا النبي العربي الأمي، ومن هنا جاء الســـبب الأول وراء هذه الدراسة، لتكون عوداً إلى أقدس عهدٍ، فيها أشرف نبي وخير صحبة، تجلت فيها معاني التضحية والفداء والاستشهاد، لتعيش أجيالنا اليوم –وبعد أربعة عشر قرناً– بنعمة التوحيـــد والإسلام، وكذلك الأجيال القادمة، وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وقد كان أســـاس هـــذه الدراسة هو (البطولة)، إذ لو لم يكن ذلك العهد كله عهد بطولة وبطولات لما كان ما كان، وبعـــد أن تركنا هذه البطولة أصبح حالنا على ما هو عليه الآن.

وأما السبب الثاني وراء هذه الدراسة، فهو أن الباحثين والدارسين مرُّوا على هـــذا العـــهد —وتحديداً على شعره– مروراً سريعاً، وركضاً وراء شعر الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفـــاء الراشدين، ليحطّوا رحالهم بعد ذلك في ديوان الشعر الأموي، ونخص بالتحديد الدراســـات التـــي تناولت شعر البطولة والفخر والحماسة، وإن كانت في عناوينها الرئيسة تبدأ مـــن بدايـــة صـــدر الإسلام، إلا أن مضامينها تخلو من شعر هذه الفترة بما يتناسب وقداســـة هـــذه الفـــترة، أو بمـــا يتناسب وشعر البطولة فيها، والذي استطعنا —ومن خلال هذا الشعر ذاته– أن نحـــدد مفـــهوماً جديداً للبطولة يتناسب مع مبادئ الدين الإسلامي الجديد.

فمن هذه الدراسات التي تناولت شعر هذه الفترة كتاب الدكتور النعمان القـــاضي بعنـــوان (شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام) وهو يبحث في شعر الفتوحات الإسلامية في الشـــرق والشام ومصر وإفريقية والعراق وخراسان، ولم يتناول الشعر الذي قيل زمن النبي ﷺ.

وثاني هذه الدراسات كتاب (شعر الحرب حتى القرن الأول الـــهجري) للدكتـــور نـــوري حمودي القيسي، وهو كتاب يبحث في شعر الحرب منذ الجاهليـــة وحتـــى نهايـــة القـــرن الأول الهجري، وقد أفرد ثلثه تقريباً للحديث عن (مرحلة جديدة من شعر الحرب "عصر الرســـالة")، إلا

أنه في هذا الفصل كان يعتمد اعتماداً يكاد يكون كلياً على شعر الفتوحات الإسلامية بعد وفاة النبي، وليس فيه من الشعر الذي قيل في العهد النبوي، إلا نتفاً قليلة جدا لا تعطي الصورة الواضحة للبطولة في هذه الفترة.

وأما أقرب الدراسات إلى موضوع هذا البحث، فهي دراسة لمحمد علي سليم الحمدان، مقدمة إلى الجامعة المستنصرية بعنوان (شعر الفخر والحماسة في العصر الإسلامي)، وهي تدرس شعر الفخر والحماسة من بداية الدعوة الإسلامية وحتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، ولكن الباحث أفرد للحديث عن الشعر الذي قيل في العهد النبوي ثماني صفحات فقط، في حين أن باقي دراسته تقوم على أمثلة شعرية مستمدة من الشعر الذي قيل في الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، وكذلك من الأحداث والفتن الداخلية، مثل مسألة الخلافة وحروب الردة والصراع على السلطة، ومقتل عثمان ووقعتي الجمل وصفين.

هذا إضافة إلى بحث مقدم إلى الجامعة الأردنية من الباحث صادق الشيخ محمد بعنوان (صورة البطل في كتب الحماسة)، وقد تناول فيه صاحبه جزئية واحدة من أجزاء دراستنا وهي صورة البطل، ولكنه في ذلك لم يقتصر على صورة البطل في العهد النبوي، بل بدأ بحثه منذ العصر الجاهلي وامتد في العصر الإسلامي دون تحديد زمني واضح، حيث وجدنا من شواهده الشعرية ما قيل في العصر العباسي الأول.

على أن هذا لا يعني انعدام الدراسات الأدبية والنقدية لشعر هذه الفترة، فهناك العديد من المؤلفات التي تناولت هذا الشعر، ومنها كتاب (العصر الإسلامي) للدكتور شوقي ضيف، وكتاب (في الشعر الإسلامي والأموي) للدكتور عبد القادر القط، وكذلك مُؤلَّفي الدكتور يحيى الجبوري (الإسلام والشعر) و (شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه). وكتاب (تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري) لنجيب البهبيتي. و(تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني) لأحمد الشايب، وكذلك كتاب للدكتور محمد عبد القادر أحمد بعنوان (دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي)، وكتاب الدكتور عبد الله التطاوي بعنوان (القصيدة العربية بين الجاهلية وصدر الإسلام)، وكتاب لمحمد عثمان علي بعنوان (في أدب الإسلام، عصر النبوة والراشدين وبني أمية)، وغير ذلك من هذه المؤلفات التي تناولت شعر هذه الفترة، ولكنَّها في مجملها تختلف عن موضوع هذه الرسالة من عدة جوانب، أولها أن هذه المؤلفات ابتعدت عن دراسة موضوع البطولة الإسلامية في العهد النبوي كما صورها الشعر العربي الذي قيل في هذه الفترة، وثاني هذه الاختلافات أن تلك المؤلفات لم تتناول بالدراسة مفهوم البطولة الجديد في العهد النبوي مع المبادئ الإسلامية التي أتى بها الدين الجديد، أما ثالث هذه الاختلافات فهو أن

تلك المؤلفات لم تقف في الحدود الزمنية عند فترة العهد النبوي فقط، بل كانت تتعدى هذه الفترة إلى العهد الراشدي والأموي.

ومن خلال هذه الاختلافات نقف على الحدود الموضوعية والزمانية لموضوع هذه الرسالة. أما من حيث الموضوع، فقد انحصر في البطولة الإسلامية كما صورها الشعر العربي الإسلامي، وفي المفهوم الجديد لهذه البطولة في ظلِّ التحول الذي طرأ على مفهوم البطولة انسجاماً مع المبادئ الإسلامية الجديدة. وأمَّا في الحدود الزمانية، فقد وقفت هذه الدراسة عند حدود الشعر العربي الذي قاله الشعراء المسلمون في العهد النبوي في المدينة المنورة وهي فترة امتدت عشرة أعوام. ومن هنا كانت إشكالية هذه الدراسة، حيث تناولت المعطيات العقائدية الجديدة التي طرأت على الحياة العربية وأثَّرَت في الشعر العربي، إضافة إلى دراسة مدى استطاعة هذا الشعر فهم واستيعاب هذه المعطيات العقائدية الجديدة، وفي كيفية تمثّل هذه الأمور، وإبرازها ضمن البناء الشعري القديم ذاته، ووفق الأساليب الشعرية الموروثة عن نظام فكري وحضاري تحاربه هذه المعتقدات الإسلامية الجديدة.

وعليه، فقد قامت هذه الدراسة على فرضية مفادها أن الفترة الزمنية التي تدرس شعرها [illegible] فترة زمنية متكاملة كان لها ما قبلها وقد أثرت عليه وقلبت مفاهيمه، ذلك أن هذه الفترة الزمنية هي فترة اتصال الأرض بالسماء، فهي تحظى بخصوصية منفردة في حياة الأمة، وهذه الخصوصية انعكست على شعر هذه المرحلة، فهو شعر يمثلها خير تمثيل، وهو شعر يمثل بطولة هذه الفترة في نهج ومضامين وأسس فنية تختلف عن البطولة التي مثلها الشعر السابق لها.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول؛ أما التمهيد فقد تناول مبحثين؛ أولهما كان للحديث عن البطل والبطولة بشكل عام مبتدئاً بالتعريف اللغوي والاصطلاحي لهما، ثم يبين أهمية البطل والأبطال في حياة الأمة بشكل عام. أما المبحث الثاني من التمهيد فقد جاء ليعطي لمحات عن البطولة العربية في الجاهلية كما يصورها الشعر الجاهلي، وقد ارتأى الباحث أن يقدم كل بطولة من هذه البطولات من خلال عرض لإحدى المعلقات الشعرية التي تعالج في موضوعها الرئيس موضوع هذه البطولة أو تلك. فكانت معلقة طرفة بن العبد للحديث عن بطولة الفتوة في الجاهلية. ثم معلقة عنترة بن شداد للحديث عن بطولة الشجاعة، أما بطولة الفخر فلا ينبيك عنها مثل معلقة عمرو بن كلثوم، ومَن لبطولة السلام والحكمة مثل معلقة زهير ابن أبي سلمى!، أما بطولة الكرم فإن في ديوان حاتم الطائي ما يغني ويفيض.

ثم يأتي الفصل الأول من هذه الدراسة لينقلنا إلى مفهوم جديد للبطولة، متأثراً بما جاء في القرآن الكريم، ويكون لهذا المفهوم عناصر رئيسة، ثم مناقشة كل عنصر منها في مبحث

منفصل، بحيث يتم إيراد الآيات القرآنية التي توضّح كلّ عنصر من عناصر هذا المفهوم، ثم يتم إيراد الشواهد الشعرية التي تبين تمثل هذه العناصر في نفوس الأبطال المسلمين، وبيان مدى استجابتهم للتوجيه الرباني في ذلك. ويظهر من خلال هذا العمل مدى تأثر الشعر العربي بهذه المعاني القرآنية الجديدة، فكان أول هذه العناصر في المبحث الأول من هذا الفصل وكان لبيان الدافع إلى القتال في الإسلام. ثم العنصر الثاني وهو إطلاق لفظة الجهاد رديفة للقتال والاحتراب، وإن كان الجهاد في معناه العام في الإسلام أوسع من معنى القتال. ثم العنصر الثالث وهو لفظة الشهيد والشهادة بدلاً من القتيل والقتال. لندخل بعدها إلى الثواب الذي ينتظره الشهيد والمجاهد، وهو جنات الفردوس خالدين فيها أبداً. ثم يأتي المبحث الخامس ليتحدث عن نصر الله سبحانه وتعالى للمجاهدين في سبيله. ويأتي بعدها آخر عناصر هذا المفهوم الجديد وهو قتال الملائكة مع المجاهدين.

أما الفصل الثاني من هذه الدراسة فكان للحديث عن موضوعات شعر البطولة في العهد النبوي. وأول هذه الموضوعات كان الحديث عن صفات البطل والأبطال المسلمين كما صورها الشعر العربي في هذه الفترة. ثم جاء المبحث الثاني الذي تحدث عن وصف النبي ﷺ من خلال الشعر أيضاً، حيث وجدنا أن الشعر العربي قد تناول شخصية النبي ﷺ من ثلاثة جوانب؛ أولها أنه نبي ورسول مبلغ عن ربه، وثانيها عن صفاته وأخلاقه الإنسانية العالية، وأخيراً جاء الحديث عنه مقاتلاً بطلاً وقائداً مظفراً، وقد كان هذا منسجماً مع الحديث الرباني عنه عليه السلام. أما المبحث الثالث من هذا الفصل فقد خصص للحديث عن وصف الجيش الإسلامي ومعارك المسلمين كما صورها شعر هذه الفترة. ورابع هذه المباحث خصص للحديث عن الخيل والأسلحة والمعدات الحربية التي كانت تستعمل في معارك المسلمين، والمعنى الذي ينشده الشعراء من الحديث عن كل ذلك.

وتختم هذه الدراسة بالفصل الثالث والأخير وقد جاء لدراسة شعر هذه الفترة دراسة فنية، وأول ما بدأ به هذا الفصل كان للحديث عن موضوع العلاقة بين الإسلام والشعر وذلك للوقوف على حقيقة ما يعرف بمقولة ضعف الشعر في صدر الإسلام بسبب التأثير السلبي المزعوم للإسلام على هذا الشعر، وقد اعتمد الباحث على إعادة قراءة النصوص التي كانت وراء هذه النظرية حسب رأي من يأخذ بها، سواء أكانت هذه النصوص آيات من القرآن الكريم أم أقوال القدماء مثل ابن سلاّم وابن خلدون. ثم يأتي المبحث الثاني من الفصل الثالث والذي تناول الأغراض الشعرية التي جاءت في ثنايا شعر البطولة مثل المديح والفخر والهجاء والرثاء والوصف. أما المبحث الثالث، فقد عمل على دراسة الهيكل العام للقصيدة العربية في العهد النبوي، والذي وجد أنه تحول تحولاً ظاهراً نحو المقطوعة الشعرية على حساب القصيدة

المطولة. وجاء المبحث الرابع ليتناول بالدراسة موضوع الألفاظ والتراكيب الشعرية مع بيان مدى التأثير الذي أحدثه الإسلام في الشعر العربي في هذا المجال. وكذلك الحال بالنسبة للمعاني في المبحث الخامس ومدى تأثرها بالمعاني الإسلامية الجديدة. ثم يأتي المبحث السادس حول أسلوب الشعراء في نظم أشعارهم ومدى الاختلاف والتغيير الذي طرأ عليه. أما المبحث السابع فقد كان حول الصورة والخيال في شعر البطولة، وبيان ما كان فيه من محسّنات بديعية. وأخيراً جاء الحديث عن الأوزان والقوافي التي استعملها شعراء هذا العهد، وكيف أنهم ساروا في ذلك على نهج الأقدمين من شعراء الجاهلية.

أما المصادر الرئيسة التي اعتمد عليها الباحث في هذه الدراسة، فكان أهمها على الإطلاق كتاب (السيرة النبوية) لابن هشام، وأهمية هذا المصدر تأتي من أنه حوى بين جنباته الغالبية العظمى من شعر هذه الفترة، فضلاً عن إيراده السبب أو الغاية التي كانت وراء إنشاء كل قصيدة أو مقطوعة مع تحديد الفترة الزمنية التي قيل فيها هذا الشعر من خلال إيراده لكل ما قيل من الشعر بعد كلّ غزوة أو معركة، وفي هذا عون كبير في مجال الدراسة والبحث. ويلي هذا المصدر في الأهمية دواوين الشعراء وخاصة شرح ديوان حسان بن ثابت، وديوان كعب بن مالك، وديوان عبد الله بن رواحة، وديوان العباس بن مرداس.

على أن الطريق لم تكن ممهدة سهلة العبور أمام الباحث، فقد اعترى طريقه بعض الصعوبات التي أعان الله على تجاوزها ثم توجيهات وإرشادات ونصائح الدكتور المشرف التي أبانت ما غُمَّ على الباحث أثناء سيره في طريق إنجاز هذا العمل الذي يرجوه من الله تعالى. وأول هذه العقبات أن المصادر القديمة من أمّات الكتب التي كانت تتحدث عن شعر هذه الفترة إنما كانت تعتمد اعتماداً يكاد يكون كاملاً على ما جاء عند ابن هشام في السيرة النبوية، وسواء أكانت هذه المصادر من الكتب الأدبية أم من الكتب التاريخية. وهذا الأمر كان وراء قلة المصادر القديمة التي اعتمد عليها البحث. وثاني هذه الصعوبات أن المراجع والمؤلفات الحديثة –في معظمها– التي تناولت شعر صدر الإسلام بالدرس والتحليل، إنما كانت تمسُّ شعر هذه الفترة مسّاً خفيفاً، لتنتقل بعدها إلى فترة العهد الراشدي والعهد الأموي. حتى أنك تجد أن بعض هذه المؤلفات قد أطلقت الأحكام على شعر العهد النبوي وكأنه جزء من شعر الفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي، وهناك فرق. ثم إن المؤلفات التي تناولت موضوع البطولة والفخر والحماسة، قد تناولت بالدرس والتحليل والتوضيح ما سبق هذا العهد وما لحق به، وقفزت عن هذا العهد مع أنه ما شهد عهد غيره من البطولة مثلما كان فيه. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث، فقد جاء ليسد نقصاً واضحاً في دراسة الشعر العربي في العهد النبوي.

التمهيـــــــــــــد

١- البطل والبطولة لغة واصطلاحاً:

إن أول خاطر ينصرف إليه الذهن، عند الحديث عن البطولة من جانب مدلولـــها العـــام، اللغوي والأدبي إنما هو الشجاعة، شجاعة القلب والجسد في القتال. وهذا هو المعنـــى الشـــامل القديم المتجدد لمفهوم البطولة. ولعل التعريف اللغوي لمعنى البطل والبطولة يدعم هـــذا الـــرأي، فقد جاء في لسان العرب: " والبطل: الشجاع. وفي الحديث: شاكي السلاح بطل مجرّب ورجـــل بطَل بيِّن البَطالة والبطولة: شجاع تبطُل جِراحته فلا يكترثُ لها ولا تبطُل نجادته، وقيـــل: إنمـــا سُمي بطلاً لأنه يُبطل العظائم بسيفه فيبهرجها، وقيل: سُمّي بطلاً لأن الأشدّاء يبطلون عنده، وهو الذي تبطُل عندهُ دماء الأقران فلا يُدْرَك عنده ثأر من قوم أبطال"(١).

أما التعريفات الأدبية لمفهوم البطل والبطولة فقد تنوعت وتعددت، فهناك من عرّف البطـــل على أنه "الإنسان الأنموذج الذي يتحرك ضمن إطار الواقع، بخصائص فكرية ونفسية متمـــيزة، يتمخض عنها سلوك متميز"(٢) وتعريف آخر للبطل على أنه" فرد يمتاز عن غـــيره مـــن أفـــراد مجتمعة، بمواهب عقلية أو خلقية أو جسدية، يظهر بها بينهم"(٣).

أما البطولة، فهي الأعمال التي يمارسها الأبطال، ويعزُّ على غيرهم الإتيان بمثلها ضمـــن الظروف والأحوال نفسها، فهي "سموٌّ وتشَوُّفٌ للكمال، ورياضة للروح والجســـد معـــاً وتعبـــير مكتمل عن طاقة قوية متفردة، والشجاعة جوهر البطولة"(٤). وفي تعريف آخر لمعنى البطولـــة في الأدب، ورد أنها "مجموعة من الممارسات أو الأفعال الإنسانية العظيمة، التي يقوم بها فرد أو

---

(١) لسان العرب، مادة بطل.

(٢) جليل فالح، "البطل في شعر الحماسة"، **آداب الرافدين**، العدد الرابـــع عشـــر، جامعـــة الموصـــل، ١٩٨١، ص٢٤٣.

(٣) فخري أبو السعود، "البطولة في الأدبين العربي والإنجليزي"، **مجلة الرسالة**، (القاهرة)، الســـنة الخامســـة، العدد ١٨٩، ص٢٥٠.

(٤) محمد المجذوب، **البطولة في الأدب العربي**، مؤتمر الأدباء العرب، الـــدورة الرابعـــة، الكويـــت، ٢٠-٢٨ ديسمبر ١٩٥٨، مطبعة حكومة الكويت، ص٩٠.

مجموعة من الأفراد، توصلهم إلى منزلة رفيعة في نفوس الناس كافة أو أقوامهم، مما يجعل هؤلاء الناس يصفونهم بالأبطال"(١).

وإذا كانت الشجاعة هي جوهر البطولة، فليس معنى ذلك أن البطولة تكون بالضرورة بطولة حربية في ساحات القتال والحرب فقط، بل إنها تمتد لتشمل كافة مناحي الحياة حربا وسلماً، بل " إن بعض البطولات أحق بالتمجيد والإيثار من بطولة الحرب والقتال، لأن بطولة الحرب قد تكون في العدوان الحاضر لا في الدفاع المشروع، وقد تكون وليدة الظروف والملابسات أو التكليف والاضطرار. أما البطولات الأخرى فهي وليدة الاختيار أو هي استجابة للفطرة الخاصة والأخلاق المتميزة "(٢).

وحتى يستحق البطل هذا اللقب العظيم، ويحظى بهذا الاهتمام الكبير الذي توليه الأمم لأبطالها، لا بدّ أن تكون بطولته في مجال حاجة من حاجات أبناء مجتمعة، سواء في مجال القوة والشجاعة، أو الكرم والجود، أو الصبر على الشدائد، أو الدعوة إلى السلم وغير ذلك.

وعليه تقدر الأُمة أبطالها وتعظمهم، بل ينشأ نوع من العشق بينهما وزيادة على ما يناله البطل في حياته من تقدير وتكريم، فإنه إذا ما مات وخلا مكانه زاد ذكره وارتفع، وبالغ الناس في تعظيم أعماله، وتتوارث الأجيال أحاديث بطولاته، وكل جيل يزيد عن الجيل السابق في هذه الأحاديث حتى تقوم حوله الأقاصيص الطويلة التي تنطوي في جزء منها على الحقيقة الأولى، ويكون للخيال الفضل في تكوين الأجزاء الأُخرى.

ونظراً للأهمية التي يشكلها وجود الأبطال في حياة الأُمم، فقد كان حديث الأدباء والشعراء عنهم متميزاً، فصورة البطل هي الصورة النموذجية في كل أُمة، تجتمع فيها كل الفضائل المجتمعة في هذه الأُمة التي تتوق النفوس لاكتسابها، "والشعراء حين يخلعون الفضائل على البطل، فإنهم يستوحون قيم المجتمع ومثله العليا في عصر معين، وهم بذلك يحاولون تقريب صورته من صورة الإنسان النموذج التي تعدّ المثل الأعلى في ذلك المجتمع"(٣).

على أن هذا البطل النموذج، يختلف فعله وسلوكه في كل مجتمع، حسب حاجات الأُمة في ذلك العصر. فالأُمة التي تنطوي حياتها على سلسلة متواصلة من الحروب، لا يكاد يظهر

---

(١) صادق الشيخ خريوش، "**صورة البطل في كتب الحماسة**"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩١، ص٣١.

(٢) أحمد الحوفي، **البطولة والأبطال**، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ١٩٥٧، ص١١.

(٣) شفيق الرقب، **شعر الجهاد في عصر الموحدين**، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٤، ص٩٤.

فيها من الأبطال إلا الأقوياء الشجعان. وإذا ما استقرت حياتها وتحضرت وجنحت إلى السلم تضاءلت مكانة أبطال الحرب قليلاً وزاحمهم أبطال السلم والمصلحون وأرباب العلم والفن[١].

لقد كان ذلك حديثاً عن مفهوم البطل والبطولة وعلاقة الأبطال بمجتمعاتهم بشكل عام، ولا بدّ من تناول هذه المفهومات في الأدب العربي بصورة شمولية أول الأمر، ثم تخصيص الحديث عن هذه المفهومات في المجتمع الجاهلي أولاً، وبعد ذلك في المجتمع الإسلامي.

فلقد كان البطل العربي وما يزال في الأدب العربي، "نموذجاً حياً يتفاعل مع الأحداث، ويعبر عن طموح الأُمة ويرسم آمال أبنائها بما يتفق مع ميولهم ويرضى قيمهم ويحقق أهدافهم"[٢]، وصور البطولة في المجتمع العربي، انعكاس لما تؤمن به هذه الأمة من الفضائل والمثل العليا التي آمن بها المجتمع ودعا إلى التمسك بها، فكانت المروءة والشجاعة والجرأة، وكان الكرم والعفة والوفاء، وكانت النجدة والحمية والتضحية وغيرها من الصفات التي يغلب عليها الطابع الخلقي.

أما في العصر الجاهلي، فلقد كانت البطولة العربية على وجه العموم بطولة حربية، ذلك أن الحياة الجاهلية بما فيها من تطاحن، جعلت الشجاعة راجحة على الفضائل الأخرى، حيث كانت القبائل العربية في جزيرة العرب "كالعواصف على الخيل والإبل، تطير بها الغارات إما لها أو عليها، ولذلك كانت شغل الشعراء الشاغل. ولم تكن هذه الحروب خرساء تجمجم بصليل السيوف وصهيل الخيل وإنما كانت ملحمة شاعرة تتطاحن فيها ألسنة الشعراء بالفخر"[٣].

ولقد انعكس هذا الواقع المعاش على أبطال هذه المرحلة، فكان البطل "صوت الجماعة الذي يعبر عن فكرتها وقدرتها، وهو نموذج من نماذج مظهرها الحيوي الذي فيه مفهوم الدفاع عن كل ما يعود إلى القبيلة"[٤].

ومظاهر البطولة في الشعر الجاهلي، لم تقتصر على الجانب الحربي فحسب، وإنما امتدت إلى صفات خلقية ونفسية أخرى، فالبطولة في العصر الجاهلي كانت "تستند على مقومات

---

(١) فخري أبو السعود، "**البطولة في الأدبين العربي والإنجليزي**"، مرجع سابق، ص٢٥٠.

(٢) **المرجع ذاته**، ص٨.

(٣) محمد المجذوب، **البطولة في الأدب العربي**، مرجع سابق، ص٩١.

(٤) نوري القيسي، **شعر الحرب عند العرب**، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨١، ص٣٩٩.

ثلاثة، حربي يقوم على الشجاعة والبسالة في القتال، ونفسي يقوم على احتمال الشدائد والحلم والأَنَفَة والعزة، وخلقي يقوم على صيانة الشرف وعلى الكرم والوفاء وحماية الجار"(١).

هكذا كانت البطولة الجاهلية تستند على الفضائل في مجملها، وقد شاءت العناية الإلهية أن تتعهد هذه البطولة، حين اتصلت السماء بالأرض، وجاء الإسلام الحنيف ليبشر بالقيم والفضائل الإنسانية.

فقد كانت البطولة العربية قبل الإسلام، تقوم على الشجاعة والصبر والصمود وعلى الكرم والشهامة والبذل....إلخ. وهذه كلها صفات ارتضاها الإسلام وحولها إلى مفهوم إنساني رفيع، وجعلها وسيلة لتحقيق هدف نبيل هو التوحيد وصالح الإنسانية.

ولقد رسم القرآن الكريم صورة للبطولة من خلال عرضه لقصص الأنبياء المتعددة، فجاءت صورة الأبطال من خلال هذا الرسم، "أبطال مقاومة لا يستسلمون أمام الظلم، ولا يحنون رؤوسهم للعدوان ولا يخافون، بل يقفون دائماً موقف الصمود والمقاومة مرفوعي الرؤوس، فقد كانت رسالتهم دائماً هي رسالة التقدم والبناء"(٢). رسالة تسعى لخير المجتمع والإنسانية، "فالبطولة لم تعد انعكاساً للذات في مثالية شخصية تعيد للحياة زهوها وامتلاءها بل استمراراً للحياة في الجماعة من بعده، من خلال رسالة تملأ نفسه وتظل منها بمثابة الجوهر"(٣).

ولقد كان رسول الله ﷺ هو النموذج الإسلامي للبطل، ولقد كان نموذجاً حياً يسعى بين أصحابه، ويصور لهم في كل فعل من أفعاله صورة للبطولة الإسلامية، سواء ما كان منها في البناء والعمل أو ما كان جهاداً في ساحات الحرب، "ولم تخلُ الحروب الشديدة التي وقعت له مع الأعراب من مشاهد قوة، ولكنها لم تخل كذلك من دلائل رحمة وكرم وغفران، وكان محمد ﷺ لا يعتذر من الأولى ولا يفتخر بالثانية"(٤).

ومثلما كان النبي عليه الصلاة والسلام هو النموذج الأول للبطولة الإسلامية بكل معانيها الجديدة، فقد تمثلت هذه البطولة أيضاً في شخصيات إسلامية أخرى، إذ يزخر العهد النبوي بأحداث البطولة التي صورها الشعر العربي خير تصوير.

---

(١) الرقب، **شعر الجهاد في عصر الموحدين**، مرجع سابق، ص٨٣.

(٢) أنور الجندي، **الإسلام وحركة التاريخ**، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠، ص٤٤٦.

(٣) إحسان سركيس، **الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية**، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص٨٠.

(٤) توماس كارليل، **الأبطال**، ترجمة محمد السباعي، دار الكاتب العربي، القاهرة، د.ت، ص٨٥.

وإذا كان كل ما سبق حديثاً عاماً عن مفهوم البطل والبطولة بشكل مختصر، فإن فيما سيأتي من هذه الدراسة شرح وإسهاب عن ذلك سواء في العهد الجاهلي أو الإسلامي، وسيكون مفصلاً ومدعماً بما يحتاج إليه من الشواهد الشعرية التي تعزز أفكاره وتوضّح معانيه ومراميه.

١- لمحة عن البطولة عند العرب في الجاهلية كما يصورها الشعر الجاهلي:

الأدب مرآة الأمة، يصور واقعها الذي تعيش، ويعكس آمالها وآلامها، ويبين طموحها وأحلامها، وخاصةً إذا كانت هذه الأمة قد تميزت بالبيان والفصاحة. والأمة العربية من أكثر الأمم تميزاً في مجال الأدب سواء ما كان منظوماً منه أم منثوراً، في حين تميز غيرها من الأمم في أمور أخرى برعت فيها وعرفت من خلالها. "فكل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها، وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب، وشكل من الأشكال، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون، والكلام المقفى. وكان ذلك هو ديوانها"(١).

ويستطيع المرء أن يتلمس مظاهر الحياة العربية بشكل عام، من خلال هذا الموروث الضخم من الشعر العربي مع اختلاف الأزمنة والأمكنة، إذ إن اهتمام العرب بالشعر كان اهتماماً ملحوظاً، فقد "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل الأخرى فهنأتها... وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج"(٢).

ومن أبرز المظاهر التي يمكن استخلاصها من الشعر العربي في الجاهلية، مظاهر البطولة وصورها المختلفة من شجاعة وفخر وكرم وغير ذلك، مما سوف يتضح من خلال الفصل القادم عن كل صورة من هذه الصور. وإن لم يعكس الشعر العربي في الجاهلية مثل هذه المظاهر والصور، فأي شيء سوف يعكس ويصور من حياتهم! وحياتهم في مجملها كانت تفرض عليهم أن يتعايشوا مع مثل هذه الصور بشكل يومي، "فالحياة الجاهلية بطبيعة تكوينها، كانت تفرض على أبنائها أدب الفروسية وتعلمهم تقديس البطولة، لأن هذا النمط من الحياة حافل بذكر الحروب، مليء بحوادث الأيام"(٣). وقد جاء شعرهم يمثل هذه الحياة أصدق تمثيل "ولو

---

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، **الحيوان**، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٢، ج١، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٧١-٧٢.

(٢) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، تحقيق مفيد قميحة، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ص٥٠.

(٣) نوري القيسي، **الفروسية في الشعر الجاهلي**، ط٢، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤، ص١٢٤.

شئنا أن نسقط من الشعر الجاهلي ما فيه من روح الفخر والحماسة لما خلص إلينا منه سوى شبح ضئيل لا يصور إلا نزراً يسيراً من حياة العرب قبل الإسلام"(١).

وصور البطولة التي سيتم التعرض لها، لا تقتصر على صورة الشجاعة في الحرب والقتال فقط، ذلك أن صور البطولة في الشعر الجاهلي لم تقتصر على جانب الشجاعة أو التضحية، وإنما امتدت إلى الصفات الخلقية الأخرى، التي تتصل بالكرم والوفاء، بل ونبذ الحروب والدعوة إلى السلم.

والشعر الجاهلي بعمومه يعكس مثل هذه الصور. والشواهد الشعرية كثيرة ومتيسرة، ولكن يظل للمعلقات وقعٌ خاصٌ في النفس لا يمكن إنكاره، فهي "قصائد طوال جياد، اختيرت من أحسن الشعر الجاهلي، قوة ومتانة وجمال أسلوب، فهي الصورة الناضجة الكاملة التي انتهت إليها تجارب الجاهليين في التعبير الأدبي، ولذلك غطت شهرتها ما سواها من الشعر الجاهلي"(٢). وإن الدارس لهذه المعلقات يجد أن كل واحدة منها قد قيلت لسبب محدد ومعين، على الرغم من تعدد الموضوعات التي تتناولها كل معلقة، من حيث المقدمة الطللية ثم التغزل بالمرأة، وكذلك الحديث عن الرحلة ووصف الراحلة، وصولاً إلى الموضوع الرئيس لهذه المعلقة أو تلك. وهذا الموضوع الرئيس، الذي هو السبب الذي قيلت من أجله هذه المعلقة، يمثل صورة من صور البطولة، ومظهراً من مظاهرها في العصر الجاهلي، فإذا ما أراد المرء قصيدة في الفخر الفردي أو الجماعي، برزت معلقة عمرو بن كلثوم علماً بارزاً في ذلك. وإذا ما بحثت عن الشجاعة والقوة، استوقفتك معلقة عنترة، ولا يصور حب السلام والحكمة والعقلانية مثل معلقة زهير بن أبي سلمى، وهل للفتوة مثل معلقة طرفة!.

ولكن ذلك كله يأتي مع الاعتراف بقيمة كل الشعر الجاهلي في تصوير مظاهر البطولة وصورها في الحياة العربية الجاهلية، فظاهرة الكرم مثلاً يبقى ديوان حاتم الطائي خير شاهدٍ عليها، بل إن ديوانه في هذا المجال يعد معلقة الكرم التي لم تعلق. بالإضافة إلى ذلك فإن المعلقات حظيت باهتمام خاص، سواء عند القدماء أو المحدثين(٣)، نظراً لقيمتها الأدبية وخصائصها الفنية، وقدرتها على تصوير الحياة الجاهلية، فقد "بقيت المعلقة شاهداً أميناً على

---

(١) بطرس البستاني، **الشعراء الفرسان**، ط٢، دار المكشوف، بيروت، ١٩٦٦، ص٨.

(٢) يحيى الجبوري، **الشعر الجاهلي. خصائصه وفنونه**، ط٦، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ١٩٩٣، ص١١١.

(٣) يراجع في ذلك كتاب أحمد الحوفي، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، ص٢٠١ وما بعدها؛ وكتاب يحيى الجبوري، **الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه**، ص١١١ وما بعدها.

حياة العصر الجاهلي وواقعه الفني، وإن لم تكن النموذج الوحيد، إذ أن كثيراً من شعراء العصر من غير أصحاب المعلقات، نظموا قصائدهم على نفس المنهج"(١).

ولقد ورد في المصادر القديمة ما يدل على الأهمية الخاصة بهذه المعلقات، فلقد جاء في العقد الفريد: "وقد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له، أن عمدت إلى سبع قصائد، وتخيرتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها بأستار الكعبة"(٢). كما جاء في كتاب العمدة: "وكانت المعلقات تسمى المذهبات، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب، وعلقت على الكعبة"(٣).

فهي قصائد مختارة، كتبت بماء الذهب، وعلقت على استار الكعبة، كل ذلك يُجوِّز الاعتماد عليها وحدها في تصوير مظاهر البطولة في العصر الجاهلي والتي سيتم تناولها الآن بشيء من الإيجاز ليكون مدخلاً صالحاً للحديث عن البطولة بعد ذلك في عصر النبوة.

بطولة الفتوة:

جاء في اللسان: "الفَتاء: الشباب. قال القتيبي: ليس الفتى بمعنى الشاب والحدث، وإنما هو بمعنى الكامل الجَزْل من الرجال، يدلك على ذلك قول الشاعر:

إنَّ الفَتَى حَمَّالُ كُلِّ مُلِمَّةٍ ... ليسَ الفتى بمُنَعَّمِ الشُّبَّانِ

وقال ابن هرمة:

قد يُدْرِكُ الشَّرَفَ الفَتَى، ورِدَاؤهُ ... خَلَقٌ، وجَيْبُ قَمِيْصِهِ مَرْقُوْعُ

قال الجوهري: الفتى: السخي الكريم. وقال ابن برى: الفتى: الكريم"(٤).

وعليه فإن الفتى هو الكامل الجَزْل من الرجال، حَمَّال الملمات، الذي يدرك الشرف ويكون سخياً كريماً. ومعلقة طرفة بن العبد توضح فتوة هذا الشاعر ولكن وفق تصور خاص به في معنى الفتوة وقد جاء هذا التصور من خلال فلسفة خاصة به في الموت والحياة.

---

(١) عبدالله التطاوي، **القصيدة العربية بين الجاهلية وصدر الإسلام**، دار الوفاء للنشر والإعلان، القاهرة، ص٢٢.

(٢) ابن عبد ربه (ت٣٢٧هـ)، **العقد الفريد**، تحقيق مفيد قمحية، ط٣، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص١١٦.

(٣) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، مرجع سابق، ج٢، ص١٦١.

(٤) لسان العرب: مادة فتى.

فطرفة يصف نفسه بأنه الفتى حيث يقول[١]:

إذا القَوْمُ قالوا: مَـنْ فتـىً؟ خِلْـتُ أنَّنِـي عُنِيـتُ، فَلَـمْ أكْسَـلْ ولَـمْ أتبلّـدِ[٢]

فهو إذا سمع القوم يسألون عن فتى ليكفيهم أمراً من الأمور، حسب أنه هو المقصود نفسه وليس غيره، فاندفع في غير تردد أو كسل أو تلكؤ. فهو يمثل بطولة الفتوة في مجتمعه، ولكنها "بطولة سكر ومجون وعربدة، وأخرى بين نجدة وفروسية، فهي بطولة حقيقية تقتضيها مروءة البداوة ومثالية ابن البادية"[٣].

وبطولة الفتوة بهذا المعنى لها مبرراتها وأسبابها عند طرفة فهو يقول[٤]:

ألا أيُّهَذا اللاَّئِمِي أحْضُرَ الوَغَى وأنْ أشْهَدَ اللَّذات، هَلْ أنْتَ مُخْلِدِي؟

فَإنْ كُنْتَ لا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَدَعْنِي أُبادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدي

فطالما أنه لا أحد يضمن له الخلود في هذه الحياة، فهو يريد أن يحيا حياة الفتوة وفق تصوره، الذي لا بُدَّ وأن يكون منسجماً مع تصور بعضهم في مجتمعه، وخاصة من جيل الشباب الذين عادة ما يخرجون على بعض الأعراف والتقاليد المبنية على الحكمة والتعقل. ومظاهر هذه الفتوة التي يريد أن يحياها الشاعر هي[٥]:

فَلَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ مِنْ عِيْشَةِ الفَتَى وجَدِّكَ، لَمْ أحْفِلْ متَى قَامَ عُوَّدِي[٦]

فَمِنْهُنَّ سَبْقِي العاذِلاتِ بِشَرْبَةٍ كُمَيْتٍ، متَى ما تُعْلَ بِالماءِ تُزْبِدِ[٧]

وكَرِّيْ إذا نَادَى المُضَافُ مُحَنَّباً كَسِيْدِ الغَضَا نَبَّهتَهُ المُتَوَرِّدِ[٨]

وتَقْصِيْرُ يَوْمِ الدَّجْنِ، والدَّجْنُ مُعْجَبٌ بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطِّرافِ المُعَمَّدِ[٩]

---

(١) **ديوان طرفة بن العبد**، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٨٠، ص٤٢.

(٢) لم أتبلّد: لم أتقاعس.

(٣) عبدالله التطاوي، **القصيدة العربية بين الجاهلية وصدر الإسلام**، مرجع سابق، ص٩٢.

(٤) **ديوان طرفة بن العبد**، مرجع سابق، ص٤٦.

(٥) **المرجع ذاته**، ص٤٦.

(٦) لم أحفل: لم أبال. العُوَّد: جمع العائد، وهو الذي يزور المريض.

(٧) سبقي العاذلات: شربي الخمر باكراً. كميت: الأحمر الضارب إلى السواد. متى ما تُعل: أي متى صب عليها الماء علاها الحباب.

(٨) كرّي: عطفي. المضاف: المُلجأ. مُحنّباً: صفة للفرس الذي في يده انحناء. السِّيد: الذئب. الغضا: شجر خُصّ الذئب به لأنه يكون أخبث الذئاب. المتورِّد: الذي يطلب الشرب.

(٩) يوم الدجن: اليوم الذي يكون فيه غيم وندى وبعض المطر. البَهْكَنة: المرأة الحسنة الخَلق. المعمّد: المرفوع بالعمد.

فمعاقرة الخمر والشجاعة ومغازلة النساء، هي من مظاهر الفتوة كما يراها الشاعر. وفي معلقته صور شعرية توضح كيف كان يحيا هذه المظاهر الثلاثة.

أما الأمر الذي دفع طرفة إلى أن يحيا هذه الحياة بهذا الشكل، ويبادرها بما ملكت يده فهو ما كان يراه من أمر الإنسان بعد الموت[١]:

أرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخِيْلٍ بِمالِهِ ... كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي البَطالَةِ مُفْسِدِ[٢]

تَرَى جُثْوَتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِما ... صَفَائِحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيْحٍ مُنَضَّدِ[٣]

"وقد يرى -من يرى- أن طرفة غوي ماجن، دفعه طيش الشباب إلى ركوب هذا المسلك الوعر، ولكن طرفة يجيب هؤلاء بحكمة الشيوخ ويضعهم أمام صورة الموت وجهاً لوجه"[٤]، فهو يتحدث عن الموت وكأنه ابن الثمانين وليس ابن العشرين، هذا الموت الذي شَكَّلَ حياته وهو في ريعان الشباب مثلما قضى عليها[٥]:

أرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ ويَصْطَفِي ... عَقِيلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ[٦]

أرَى الدَّهْرَ كَنْزاً ناقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ ... وما تَنْقُصِ الأيَّامُ والدَّهْرُ يَنْفَدِ

لعمرُكَ إنّ الموت ما أخْطَأ الفَتَى ... لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى، وثِنْيَاهُ بِاليَدِ[٧]

إن حياة طرفة هذه التي عاشها بكل ما فيها، من مظاهر الفتوة المبنية على أساس نظرة فلسفية في الموت والحياة، قدّمها وفق معطيات حكمة الشيوخ. هذه الحياة بهذا الشكل كان مبعثها الظلم الذي أحسه الشاعر من أهله وذويه الذين كان يمثلهم ابن عمه[٨]:

فَمَالِي أرَانِي وابْنَ عَمِّي مالِكاً ... مَتَى أدْنُ مِنْهُ يَنْأ عَنِّي، ويَبْعُدِ

وموقف ابن عمه هذا ليس له سبب أو مبرر:

---

(١) **ديوان طرفة بن العبد**، مرجع سابق، ص٤٨.

(٢) النحّام: البخيل. الغويّ: المُبَذّر لماله.

(٣) الجثوة: الكومة من التراب. الصفائح: الحجارة العِراض. المنضّد: المرصوف بعضه فوق بعض.

(٤) يحيى الجبوري، **الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه**، مرجع سابق، ص٢٢٣.

(٥) **ديوان طرفة بن العبد**، مرجع سابق، ص٤٨.

(٦) يعتام: يختار. عقيلة كل شيء: أنفسه. الفاحش، البخيل.

(٧) الطول: الحبل. ثنياه: طرفاه.

(٨) **ديوان طرفة بن العبد**، مرجع سابق، ص٤٩.

علـــى غَـــيْرِ ذنْـــبٍ قُلْتُـــهُ، غَـــيْرَ أنّنِـــــي نَشَـــدْتُ، فَلَـــمْ أغْفِـــلْ حُمُولَـــةَ معْبَـــــدِ[١]

وليس ذلك فقط بل إن لطرفة موقف حسن تجاه ابن عمه:

وقَرَّبْـــتُ بـــالقُرْبى وجَـــدِّكَ إنّنـــــي متـــى يَـــكُ أمـــــرٌ للنّكِيثَـــــةِ أشْـــهدِ[٢]

وإنْ أُدْعَ للجُلّـــى أكُـــنْ مِـــــنْ حُماتِـــــها وإن يَـــأْتِكَ الأعْـــداءُ بالجَـــــهْدِ أجْـــهَدِ

وإنْ يَقْذِفُـــوا بـــالقذْعِ عِرْضَـــكَ أسْـــــقِهِم بِكَـــأْسِ حيـــاضِ المَـــوْتِ قَبْـــلَ التَّـــهَدُّدِ[٣]

ومع ذلك كله لم يسلم الشاعر من ظلم ابن عمه وأقاربه، وهذا الظلم ليس بـــالأمر الـــهين عليه[٤]:

وظُلْـــمُ ذَوِي القُرْبَـــى أشَـــــدُّ مَضاضَـــــةً عَلَى المَرْءِ مِـــنْ وَقْـــعِ الحُسَـــامِ المُـــهَنَّدِ[٥]

هذا الظلم هو الذي دفع طرفة إلى أن يحيا حياته، وفق معطيات الفتوة في زمانه، ليعـــوِّض بطولة الفتوة بكل مظاهرها السالفة الذكر، هذا الظلم الذي أحسَّهُ من أهله وذويه.

بطولة الشجاعة:

جاء في لسان العرب: "شَجُع بالضم، شجاعة: اشتد عند البأس، والشجاعة: شدة القلب فـــي البأس"[٦]. ولا ينبئك عنها مثل عنترة بن شداد الذي تجسدت فيه كل معاني الشـــجاعة العربيـــة، فقد "كان عنترة ولا يزال أشهر الشعراء الفرسان وأحبهم شخصية إلى قلـــوب العامـــة، تـــروى أخباره ووقائعه وتحفظ أشعاره صحيحها ومنحولها، وتأبى أن يفضل عليه شاعر أو فـــارس"[٧]. وما ذلك إلا لشجاعته التي صورتها معلّقتُهُ، والتي كان يفتخر هو بها، إذ يخـــاطب ابنـــة عمـــه فيقول[٨]:

يـــا عَبْـــلَ لَـــوْ أبْصَرتِنـــــي لرأيتِنـــــي فـــي الحَـــربِ أُقْـــدِمُ كالـــهِزَبْرِ الضَّيْغَـــمِ

---

(١) نشدت: طلبت. الحَمُولة: الإبل. معبد: أخو طرفة.

(٢) النكيثة: المبالغة في الجهد.

(٣) القَذْع: الفحش والسباب. التهدد: التهديد.

(٤) **ديوان طرفة بن العبد**، مرجع سابق، ص٥١.

(٥) المضاضة، الحرقة والتأثر.

(٦) اللسان: مادة شجع.

(٧) بطرس البستاني، **الشعراء الفرسان**، مرجع سابق، ص١٧٢.

(٨) أبو زيد محمد القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، شرحه علي فـــاعور، ط٢، دار الكتـــب العلميـــة، بـــيروت، ١٩٩٢، ص٢١٣.

"وقد طارت شهرة عنترة بالفروسية والشجاعة النادرة منذ الجاهلية، وما زالت ذكراه عالقة بأذهان العرب إلى اليوم، فهو مثلهم الأعلى في البسالة والبطولة الحربية"(١) ومن صور الشجاعة التي تصورها معلقته قوله(٢):

وحليلِ غانيةٍ تركتُ مجدلاً ... تمكو فريصتُهُ كشِدقِ الأعلمِ(٣)

سَبقَت يداي له بعاجل ضربةٍ ... ورشاشِ نافذةٍ كلون العندمِ(٤)

وصورة ثانية من صور شجاعته كما وردت في معلقته(٥):

ومدججٍ كرهِ الكماةُ نزالَه ... لا مُمعنٍ هرباً ولا مُستَسلمِ(٦)

جادت يداي له بعاجلِ طعنةٍ ... بمُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَوَّمِ(٧)

فَشَككتُ بالرُّمح الأصمِّ ثيابَه ... ليس الكريمُ على القنا بمحرَّمِ(٨)

وصورة ثالثة يصف فيها نزاله مع أحد الأبطال(٩):

لما رآني قد نزلتُ أريده ... أبدى نواجذه لغير تَبَسُّمِ

فطعنتُه بالرمح ثم علوتُه ... بمهندٍ صافي الحديدة مِخْذَمِ(١٠)

ولكن الذي ميّز عنترة بن شداد في مجال الشجاعة وجعله بطل الشجاعة بلا منافس، أنه إذا ما اشتدت المعركة وعلا غبارها يذكره الفوارس من أبناء قومه ليحتموا به، وهو يصور ذلك في أكثر من موضع، فيقول(١١):

---

(١) شوقي ضيف، **العصر الجاهلي**، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠، ص٣٧٠.

(٢) أبو زيد محمد القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، مرجع سابق، ص٢١٧.

(٣) الحليل: الزوج. الغانية: المرأة التي استغنت بحسنها عن الحلي. مجدّل: ملقى على الأرض. تمكو: تصْغُر. الأعلم: الشقوق في الشفة العليا.

(٤) الرّشاش: ما تطاير من الدم. النافذة: الطعنة التي نفذت إلى الجانب الآخر. العندم: دم الأخوين.

(٥) أبو زيد محمد القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، مرجع سابق، ص٢١٨.

(٦) المدجّج: اللابس السلاح. لا ممعن هرباً: لا يفر. ولا مستسلم: لا يلقي السلاح فيأسره العدو.

(٧) جادت: سبقت. الرمح المثقّف: المستقيم. صدق الكعوب: قوي العقد. المقوّم: غير الأعوج.

(٨) الأصمّ: الصلب.

(٩) أبو زيد محمد القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، مرجع سابق، ص٢١٩.

(١٠) المِخْذَمْ: القاطع.

(١١) أبو زيد محمد القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، مرجع سابق، ص٢٢٠.

إذ يتقون بي الأسنة لم أخِم عنها ولكني تضايقَ مُقدمي[١]

يدْعون عنتر، والرماح كأنها أشطان بئر في لَبانِ الأدهمِ[٢]

ويزهو عنترة بشجاعته، ويشعر أنها قد حققت له آماله، بل أرضت له غروره حين يناشده الأبطال والفرسان بأن يُقدم إلى ساحة المعركة فيقول[٣]:

ولقد شفا نفسي وأبرأ سُقمَها قيلُ الفَوارسِ: ويكَ عنترَ أقدمِ

أما الخوف من الموت، فلم يرد ذكره في معلقة هذا البطل الشجاع إلا في مقام واحد يزيد شجاعته شجاعة، حيث يقول[٤]:

ولقد خَشِيتُ بأن أموتَ، ولم تكُن للحرب دائرةٌ على ابْنَيْ ضَمضَمِ[٥]

الشاتميْ عِرضي، ولم أشتُمهما، والنّاذرَيْنِ إذا لم ألقَهُما دمي[٦]

على أن شجاعة عنترة لم تكن وحدها مجال تميُّزه، "فهو مع فروسيته وبذله لنفسه في سبيل قومه سمح السجايا سهل المخالطة والمعاشرة، لا يبغي على غيره ولا يحتمل البغي ولا يظلم، ولكنه لا يستكين للظلم، فإن ظُلم تحول كالإعصار العاصف حتى يأتي على ظالمه. وقد يشرب الخمر ولكنها لا تفسد مروءته"[٧] ويخاطب في كل ذلك ابنة عمه فيقول[٨]:

أثْني عَليّ بِما عَلِمْتِ، فَإنَّني سَهْلٌ مُخَالَقَتِي إذا لَمْ أُظْلَمِ

فإذا ظُلِمْتُ فإنَّ ظُلْمِيَ باسِلٌ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ كَطَعْمِ العَلْقَمِ

* * *

فإذا شَرِبْتُ فإنَّني مُسْتَهْلِكٌ مالِيْ، وعِرْضِي وافِرٌ لَمْ يُكْلَمِ

وإذا صَحَوْتُ فَما أُقَصِّرُ عَنْ نَدىً وكَما عَلِمْتِ شَمائِلِي وتَكَرُّمِي

* * *

---

(١) لم أخِم: لم أجبن. مُقدَمي: موضع إقدامي.

(٢) الأشطان: حبل البئر. اللبان: الصدر. الأدهم: الفرس الأسود.

(٣) أبو زيد محمد القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، مرجع سابق، ص٢٢٢.

(٤) **المرجع ذاته**، ص٢٢٢.

(٥) أبناء ضمضم: هما هرم وحصين ابنا ضمضم، وكان عنترة قتل أبواهما فكانا يتوعدانه.

(٦) الناذران: الموجبان على أنفسهما سفك دمي.

(٧) شوقي ضيف، **العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص٣٧١.

(٨) أبو زيد محمد القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، مرجع سابق، ص٢١٦.

يُخْبِرُكِ مَنْ شَهِدَ الوَقِيْعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الوَغَى، وأَعِفُّ عِنْدَ المَغْنَمِ

بطولة الفخر:

الفخر: هو التمدُّح بالخصال الحميدة[١]، "وأشهر قصيدة عرفت في الفخر هي قصيدة عمرو بن كلثوم التي بلغت أربعة ابيات ومائة وكلها فخر وحماسة"[٢]، ونظراً لموضوعها ومناسبتها، فقد جاءت مختلفة عن الصورة التقليدية للمعلقات إذ ابتعد الشاعر عن المقدمة الطللية واستعاض بمقدمة خمرية، بدأها بصيغة الأمر حين قال[٣]:

ألا هُبّي، بِصَحْنِكِ، فاصْبَحِيْنَا ولا تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِيْنَا[٤]

"ويدور موضوع المعلقة بعد هذا (المقدمة الخمرية) حول الفخر القبلي، الذي سيطرت على الشاعر فيه ألذات الجمعية، فلم يستطِع أن ينفصل عنها، بل خضع لها راضياً ووظف فنه في خدمتها، وهو يفخر فيها بشجاعته، وشجاعة قومه"[٥] وكأن الشاعر في ذلك يسير وفق خطة مُحكمة، تستحق أن تدرس من الناحية النفسية، ذلك أنه وبعد المقدمة الخمرية يبدأ بمخاطبة الملك (عمرو بن هند) مخاطبة النّدّ للنّدّ، حيث يقول:

أبا هندٍ، فلا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ اليَقِيْنَا

وأَيّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ عَصَيْنَا المَلْكَ فِيْهَا أَنْ نَدِيْنَا

وبعد أن يبين شأن قبيلته مع الملوك، يبين حالها مع القبائل الأخرى، والتي هي دون الملوك منزلة:

متى نَنْقُلْ إلى قَوْمٍ رَحانَا يَكُونُوا في اللقاء لَهَا طَحِيْنَا

أي متى حاربنا قومٌ كانوا لنا كالطحين للرحى. وهذه الشجاعة التي صورها لقومه سواء مع الملوك أو مع الأقوام الأُخر، ليست تبجحاً بالكلام دون فعل، حيث يعرض بعد ذلك صورة حربية لقومه، إذ يمنعون مَنْ يجاورهم، وإذا تراخى الناس عن القتال يطاعنون بسيوف ورماح تشقُّ رؤوس الأعداء، وهامات الأبطال، حتى يصل إلى نهاية هذه الصورة الحربية بقوله:

---

(١) اللسان: مادة فخر.

(٢) يحيى الجبوري، **الشعر الجاهلي: خصائصه وفنونه**، مرجع سابق، ص١٧٤.

(٣) الإمام يحيى التبريزي، **شرح القصائد العشر**، قدم له فواز الشعار، ط١، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٨، ص٢٠٥.

(٤) هُبّي: استيقضي. الصبّوح: شُرْبُ الغَداة. الأندرين: قرية بالشام كثيرة الخمر.

(٥) عبدالله التطاوي، **القصيدة العربية بين الجاهلية وصدر الإسلام**، مرجع سابق، ص٦٩.

حربية لقومه، إذ يمنعون مَنْ يجاورهم، وإذا تراخى الناس عن القتال يطاعنون بسيوف ورماح تشقُّ رؤوس الأعداء، وهامات الأبطال، حتى يصل إلى نهاية هذه الصورة الحربية بقوله:

كأنَّ سُيُوفَنا فِينَا وفِيْهِم ... مَخَارِيْقٌ بأيْدِيْ لاعِبِيْنَا[١]

كأنَّ ثِيابَنا مِنَّا ومِنْهُم ... خُضِبْنَ بأُرْجُوانٍ أو طُلِيْنَا[٢]

ويختم الشاعر هذه الصورة الحربية التي رسمها لقبيلته، بتحديه (الناس كلهم جميعاً) في أن يقدموا فتيانهم لمقارعة فتيان قبيلته، وذلك لما هو عليه من ثقة أكيدة بشجاعة وقوة أبناء قبيلته حيث يقول:

حُدَيَّا النَّاسِ كُلِّهِمُ جَمِيْعاً ... مُقَارَعَةً بَنِيْهِمْ عَنْ بَنِيْنَا

يعود بعد ذلك إلى توجيه الخطاب إلى الملك مباشرة، ولكنه خطاب استنكاري فيه من الأنفة والشموخ ما فيه، حيث يستنكر عليه -بعد أن عرّفه بما سبق من أبيات بقوة قبيلته وعزتها- أن يطيع بهم الوشاة وأن يهددهم ويتوعدهم، وأن يجعلهم بمنزلة الخدم له ولأمه، ويذكره بقوتهم ومنعتهم:

فإنَّ قَنَاتَنَا يا عَمْرو أعْيَتْ ... على الأعْدَاءِ قَبْلَكَ أنْ تَلِيْنَا

وتبدأ صيغة (النحن) عند الشاعر، لتؤكد عزة قومه ومنعتهم، فنحن الحاكمون ونحن التاركون ونحن الآخذون، والعاصمون والمانعون، حتى يصل بنا إلى نهاية هذه المعلقة بأبيات من الفخر لا أحلى ولا أجمل منها:

لَنَا الدُّنْيَا ومَنْ أضْحَى عَلَيْهَا ... ونَبْطِشُ حِيْنَ نَبْطِشُ قَادِرِيْنَا

إذا بَلَغَ الفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ ... تَخِرُّ لَهُ الجَبَابِرُ سَاجِدِيْنَا

ملأْنَا البَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا ... وظَهْرَ البَحْرِ نَمْلَؤُهُ سَفِيْنَا

ألا لا يَجْهَلَنْ أحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَا

فهذا الفخر "صورة جلية تبرز نفسية سيد عريق يستأثر بالفضائل الجاهلية، ويتكلم بأنا ونحن، أنانياً بصيغة المفرد، أميراً بصيغة الجمع. مناقبه غنية في ذاته، ومناقب قومه مردودة إليه"[٣].

---

(١) مخاريق: سيوف من خشب يلعب بها الصبيان.

(٢) خَضِبْنَ بأُرْجُوان: طُلِيْنَ بالدِّمَاء.

(٣) بطرس البساني، **الشعراء الفرسان**، مرجع سابق، ص٦٠.

بطولة السلام والحكمة:

من المعروف أن حياة القبائل العربية قبل الإسلام، كانت عبارة عن "سلسلة حروب ومنازعات، تنشب لأسباب ذات خطر أو ليست بذات خطر، وأهم خصوماتهم تقوم على مراعي السوام ومواقع المياه، والغزو الذي اتخذوه وسيلة من وسائل العيش، والثأر الذي لا يغسل عاره إلا الدم، وبذلك كانت حياتهم عمادها الحرب والغارة والاستعداد توقعاً للخطر"(١).

والبطولة تكون صفة لمن يتفق مع طبيعة هذه الحياة، ويأخذ بها دفعاً إلى الأمام. وبالرغم من ذلك فقد جسّد زهير بن أبي سلمى، البطولة في الدعوة إلى الاتجاه المضاد تماماً، حينما مثل الدعوة إلى السلم وإلى التعقل، حيث أنه ارتفع فوق الفهم العام الذي كان سائداً، ومثل فئة من العقلاء ضاقت بأسلوب الحياة تلك، وثابت إلى أخرى أكثر أمناً وطمأنينة.

وعليه فقد مثّلت معلقة زهير بن أبي سلمى البطولة في مجالين اثنين، كان الأول منهما الدعوة إلى السلم بدلاً من الحرب والغارة والأخذ بالثأر. وقد تمثل هذا الأمر من خلال مدحه للحارث بن عوف وهرم بن سنان، في سعيهما للصلح بين قبيلتي عبس وذبيان، وتحملهما لديّات القتلى حيث يقول(٢):

فأقْسَمْتُ بالبَيْتِ الذي طاف حولَهُ ... رِجالٌ بنوهُ من قريشٍ وجُرْهُمِ(٣)

يميناً لِنِعْمَ السَّيِّدانِ وُجِدْتُما ... على كلِّ حالٍ من سحيلٍ ومبرمِ(٤)

تَدارَكْتُما عَبْساً وذُبيان بعْدَما ... تَفَانَوا ودقّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ(٥)

ويضفي الشاعر عليهما صور الأبطال، حيث يقول(٦):

وقد قُلْتُما إنْ نُدْرِكَ السِّلْمَ واسِعاً ... بِمالٍ ومَعْروفٍ من الأمْرِ نَسْلَمِ

فأصْبَحْتُما مِنْها على خَيْرِ موطنٍ ... بَعيدَيْنِ فيها مِنْ عُقوقٍ ومأثَمِ(٧)

عَظِيمَيْنِ في عُلْيا مَعَدٍّ هُدِيْتُما ... ومَنْ يَسْتَبِح كنزاً من المَجْدِ يَعْظُمِ(٨)

---

(١) يحيى الجبوري، **الشعر الجاهلي: خصائصه وفنونه**، مرجع سابق، ص٣٢.

(٢) أبو زيد محمد القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، مرجع سابق، ص١٤٢.

(٣) جُرهُم: إسم لقوم كانوا وُلاة البيت قبل قريش.

(٤) السَّحيل: الخيط المفرد كُني به عن الضعف. المُبْرَم: المفتول كُني به عن القوة.

(٥) تفانَوا: تشاركوا في الفناء. مَنْشَم: اسم امرأة عطارة يتطير العرب بعطرها لأنه يورد الهلاك.

(٦) أبو زيد محمد القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، مرجع سابق، ص١٤٢.

(٧) العقوق: العصيان. المأثم: الإثم.

(٨) الاستباحة: جعل الشيء مباحاً.

كما تمثلت دعوة الشاعر إلى السلم، من خلال هذه الصورة القاتمة التي رسمها للحرب، "فيطرحها أمام النظر في صورة مادية مختلفة يأخذ بعضها برقاب بعض... وهذه الصور عنيفة مفزعة توائم الغرض الذي سيقت إليه"(١) حيث يقول(٢):

وما الحربُ إلاّ ما علمْتمْ وذُقْتُمُ ... وما هو عنها بالحديثِ المُرجَّمِ(٣)

متى تَبْعثُوها تَبْعثُوها ذميمَةً ... وتَضْرَ إذا ضرَّيْتُموها فتَضْرمِ

فتَعْرُككُمْ عَرْكَ الرَّحى بثِفالِها ... وتَلْقَحْ كِشافاً ثُمَّ تُنْتِجْ فتُتْئِمِ(٤)

فتُنْتِجْ لَكُم غِلْمانَ أشْأَمَ كُلُّهُم ... كأحْمَرِ عادٍ ثُمَّ تُرضِعْ فتفْطِمِ(٥)

فتُغْلِلْ لَكُمْ ما لا تُغِلُّ لأهْلِها ... قُرَىً بالعِراقِ مِنْ قَفِيزٍ ودِرْهَمِ(٦)

لقد كان زهير بن أبي سُلمى في مدحه لهذين السيدين، وفي وصف الحرب بهذا الشكل، "شذوذاً على ذوق الجاهليين وأشعارهم، التي تدوي بفكرة الأخذ بالثأر، والترامي على الحرب ترامي الفراش على النار"(٧)، وصوَّر بذلك إحدى صورتي البطولة التي ارتسمت في معلقته. أما صورة البطولة الثانية، فكانت هذه الحكم التي أطلقها هذا الشيخ الجليل ابن الثمانين حجة، ومثله يحق له أن يصدر مثل هذه الحكم، "فقد نظر إلى الحياة نظرة واقعية، فقد خبرها وعرف شرورها، وخبر أخلاق الناس ونوازعهم، فتراه يسوق حكمه بأسلوب وعظي حسي ملموس، يقدم بين يدي الناس نظرته إلى الحياة"(٨) وقد جاءت نظرته إلى الحياة وفلسفته فيها، من خلال أبيات (ومن... ومن...) التي جاءت في معلقته، حيث يقول(٩):

ومَنْ يَعْصِ أطرافَ الزِّجاجِ فإنَّهُ ... مُطيعُ العَوالي رُكِّبَتْ كلَّ لَهْذَمِ(١٠)

---

(١) عبد الحميد سند الجندي، **زهير بن أبي سلمى، شاعر السِّلم في الجاهلية**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص١٩٨.

(٢) أبو زيد محمد القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، مرجع سابق، ص١٤٣.

(٣) الحديث المُرجَّم: الذي يرجم فيه بالظنون.

(٤) ثِفال الرحى: خرقة أو جلدة تبسط تحتها ليقع عليها الطحين. اللقح: حمل الولد. الكِشاف: أن تلقح الناقة في السنة مرتين. أنتجت الناقة: إذا ولدت. تتئم: تلد توأمين.

(٥) أشأم: من الشؤم. وأراد بأحمر عاد: أحمر ثمود وهو عاقر الناقة.

(٦) تغلّل: تعطي الغلال الوفيرة. القفيز والدِّرهم: ضروب من المكاييل.

(٧) شوقي ضيف، **العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص٣٠٨.

(٨) يحيى الجبوري، **الشعر الجاهلي: خصائصه وفنونه**، مرجع سابق، ص٢٢٢.

(٩) أبو زيد محمد القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، مرجع سابق، ص١٤٦.

(١٠) الزّجاج: أسفل الرمح. العوالي: أعلى الرمح. اللهْذم: السِّنان الطويل.

ومنْ يُـوفِ لا يُذْمَـمْ ومَـن يُفْـضِ قَلبُـهُ إلـى مُطْمَئِـنّ الـبرّ لا يَتَجمْجَـمِ[١]

ومَـنْ هـابَ أسـباب المنايـا ينِلْنَـهُ ولـو رامَ أسـباب السّـماءِ بسُـلّمِ[٢]

ومَـنْ يـكُ ذا فضـلٍ فَيبْخَـلْ بِفَضْلِـهِ علـى قومِـهِ يُسـتَغْنَ عنـه، ويُذمَـمِ[٣]

وليس عبثاً أن يحدد الشاعر سنَّهُ، تلك السن التي تصور ما رآه وكابده من مشقات الحياة ومتاعبها، واختلاف التجارب وتنوعها[٤].

سـئمتُ تكـاليف الحيـاة ومَـنْ يَعِـشْ ثمـانينَ حـولاً، لا أبـا لَـكَ يسـأمِ[٥]

وليس كل من يعش مثل هذه السن يمكنه استخلاص مثل هذه الحكم، إلا إذا كان شخصا يتمتع بصفات تمكنه من أن يتربع على عرش البطولة في المجتمع الجاهلي.

بطولة الكرم:

"إذا شئت أن تتعرف الفضائل الجاهلية وما فيها من مكارم الأخلاق فعليك بحاتم الطائي، فإنه المثل الأعلى لخير ما يفخر به الأعرابي من حميد الصفات، فقد اجتمعت له أشرف الخلال البدوية وأطيبها ذكراً، وبلغ بعضها في مقداره حداً متطرفاً يرتد خانساً عنه كل منافس وطامع"[٦].

لم يعرف شاعر عربي وقف حياته على قضية الكرم، مثلما فعل حاتم الطائي[٧] الذي جعل الكرم فلسفة في حياته، فاستحق أن تتمثل بطولة الكرم العربي فيه[٨]:

لا تسـتري قـدري إذا مـا طبخْتُـها علـيَّ إذنْ مـا تطبخيـن حـرامُ*

ولكـن بـهذاكَ اليفـاعِ فـأوقِدي بجـزلٍ إذا أوقَـدْتِ لا بضـرامِ

---

(١) يوفي: يفي بعهده. المطمئن: المستقر. البرّ: الخير والصلاح. لا يتجمجم: لا يتردّد.

(٢) المعنى: لا مفرّ من الموت.

(٣) يقول: من كان ذا فضل ومال فبخل به استَغْنِيَ عنه وذُمّ.

(٤) أبو زيد محمد القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، مرجع سابق، ص١٤٨.

(٥) تكاليف الحياة: مشاقها. الحول: السنة. السأم: الملل.

(٦) بطرس البستاني، **الشعراء الفرسان**، مرجع سابق، ص٨٩.

(٧) ينظر في ذلك **ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره**، تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة.

(٨) **ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره**، مرجع سابق، ص١٧٢.

* في هذا البيت إقواء.

والكرم عند حاتم عادة بل فطرة جبل عليها حتى لو أهلكت ماله ونفسه[١]:

وقائلةٍ: أهلكتَ في الجود مالَنا ... ونفسك حتى ضرَّ نفسك جودُها
فقلتُ: دعيني، إنما تلك عادةٌ ... لكلِّ كريمٍ عادةٌ يستعيدها

والذي قوّى هذه العادة عند حاتم ورسّخها، أنه كانت له فلسفة معينة من المال، فهو "إنسان لا تستعبده المادة، لأنه يرى أن الحياة بذل وسخاء، وأن المال خلق لاكتساب الثناء والذكر الحميد"[٢] بل أي نفع للمرء من ماله بعد وفاته إذا لم يكن قد صان عرضه به في حياته، وكسب الذكر الحميد بين الناس، حتى ارتقى بينهم ببذل هذا المال وصار سيداً له قيمة ومكانة عالية، ومن فلسفته في المال هذه الأبيات[٣]:

أماويَّ، إن المال غادٍ ورائحُ ... ويبقى من المال الأحاديث والذكرُ
أماويَّ، ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجتْ نفس وضاق بها الصدرُ

ويقول[٤]:

إذا كان بعض المالِ ربّاً لأهله ... فإني، بحمد الله، مالي مُعبَّدُ

ويقول[٥]:

وأجعل مالي دون عِرضي جُنَّةً ... لنفسي، فأستغني بما كان من فضل

ويقول في هذا أيضاً[٦]:

يرى البخيلُ سبيلَ المال واحدةً ... إنَّ الجواد يرى في ماله سُبُلا
إن البخيلَ إذا ما مات يتبعُهُ ... سوءُ الثناء ويحْوي الوارثُ الإبلا

وبطل الكرم هذا، لفرط حبه بالجود ينهى ابنه عن إيذاء كلبة لأنها تدل الضيفان على مكانه فيقول[٧]:

---

(١) **ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره**، مرجع سابق، ص١٨٧.
(٢) نوري القيسي، **الفروسية في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص٢٩٧.
(٣) **ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره**، مرجع سابق، ص٢١٠.
(٤) **المرجع ذاته**، ص٢٦٢.
(٥) **المرجع ذاته**، ص١٥٧.
(٦) **المرجع ذاته**، ص٢٠٠.
(٧) **ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره**، مرجع سابق، ص٢٦٥.

أقـول لابنـــي وقـــد ســـطتْ يـــدُهُ بكلبـــةٍ لا يـــــزالُ يجلدُهـــــا

أوصيـك خـــيراً بـــها، فـــإنّ لـــها عنـــدي يـــدا لا أزالُ أحمدُهـــا

تـدلُّ ضيفـي علـيّ فـي غلـس اللـــ ـيـــل، إذا النـــارُ نـــام موقِدُهـــا

بل أكثر من ذلك أنّه يحث خادمه على أن يوقد النار في الليلة الباردة، ليستهدي بها الضيف، ويعده بأن يعتقه إن جلبت ناره ضيفاً[١]:

أوقـــدْ، فـــإنّ الليـــلَ ليـــلٌ قـــرُّ والريـحُ يـــا مُوقِـــدُ ريـــحٌ صِـــرُّ

عسـى يـــرى نـــارَك مـــن يمُـــرُّ إن جلَبْـــتَ ضيفـــاً فـــأنت حُـــرُّ

وبطولة الكرم عند حاتم لم تكن لتقف عند الجود وبذل المال وحسب فالكرم صفات وخلال متعددة، تندرج تحت شعار كبير هو مكارم الأخلاق، وقد اتصف حاتم الطائي بذلك، وشهد له رسول الله ﷺ في حديث بينه وبين سفّانة بنت حاتم حين أسرها المسلمون، فقالت له: "يا محمد إن رأيت أن تخلّي عنا ولا تُشْمِت بنا أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي، وإنّ أبي كان يحمي الذِّمار، ويفكّ العاني، ويُشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقْري الضيف، ويطعم الطعام، ويُفشي السلام، ولم يردَّ طالب حاجة قط، وأنا ابنة حاتم طيء. فقال النبي ﷺ: يا جارية، هذه صفة المؤمنين حقاً، لو كان أبوك مؤمناً لترحمنا عليه، خلّوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله تعالى يحب مكارم الأخلاق"[٢].

وبسبب مكارم الأخلاق هذه التي تحلّى بها حاتم الطائي، كان يمثل بطولة العرب في الكرم، الذي من صفاته –فضلاً عن صفة الجود وبذل المال– أنه عفيف، فقد "عَفَّ عن كل ما يشين، وكَفَّ نفسه عن المطامع وصانها عن فعل الدنيّات"[٣]، وهناك الكثير في ديوانه مما يشير إلى ذلك حيث يقول[٤]:

إذا مـا بـتُّ أختِـلُ عِـرْسَ جـاري ليخفينـي الظـلامُ، فـلا خفيـتُ

أأفضـح جـارتي وأخـون جـاري معـاذ الله أفعـل مـا حييـتُ

---

(١) **ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره**، مرجع سابق، ص٢٧١.

(٢) الإمام أبو الفداء اسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ)، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ج٤، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٦، ص ١٣٢.

(٣) **ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره**، مرجع سابق، ص٨.

(٤) **المرجع ذاته**، ص٢٢٣.

ويقول[١]:

وما تشتكيني جارتي، غير أنّني إذا غاب عنها بعلُها لا أزورها

ويقول[٢]:

وإنّك مهما تُعْطِ بطنك سُؤْلَه وفَرْجك نالا منتهى الذّمّ أجمعا

ومن صفات الكريم أنه وفيٌّ لا يغدر، وإن غدر به الآخرون[٣]:

الله يعلمُ أنّي ذو محافظةٍ ما لم يخنّي خليلي يبتغي بدلا

فإنْ تبدّلَ الفاني أخا ثقةٍ عفّ الخليقةِ لا نِكساً ولا وكَلا

وصفة التواضع كانت ظاهرة بينة لدى حاتم الطائي[٤]:

إذا كنتَ ربّاً للقَلُوص فلا تدع رفيقَك يمشي خلفها غير راكبِ

أنِخْها فأردفْه، فإن حملتكما فذاك، وإن كان العقابُ فعاقب

ومن صفات الكرم عند حاتم أيضاً أنه كان صفوحاً يغفر الزلاّت[٥]:

تحلَّم عن الأدنين واستبق ودّهم ولن تستطيع الحلم حتى تحلّما

وأغفرُ عوراءَ الكريمِ اصطناعه وأصفَحُ عن شَتْمِ اللئيمِ تكرُّما

هذا الجواد العفيف الوفي المتواضع الصفوح لا بدّ أن يكون أبِيّ النفس يرفعها عن كل ما يعيبها[٦]:

فنفسك أكرمها، فإنك إن تهنْ عليك، فلن تلقى لها الدهر مُكرِما

وأخيراً نختم بطولة البطولات هذه بقول حاتم[٧]:

وقد علمِ الأقوامُ لو أنّ حاتِماً أراد ثراء المالِ كان له وفرُ

نعم إنه لم يرد ثراء المال، ولكنه أراد أمراً آخر، ربما أننا لم نجد له تسمية بعد.

---

(١) **ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره**. مرجع سابق، ص٢٤٧.

(٢) **المرجع ذاته**. ص١٨٣.

(٣) **المرجع ذاته**. ص٢٠٣.

(٤) **المرجع ذاته**. ص٢٠٥.

(٥) **المرجع ذاته**. ص٢٣٧.

(٦) **المرجع ذاته**. ص٢٣٥.

(٧) **المرجع ذاته**. ص٢١٢.

الفصل الأول
مفهوم البطولة في الإسلام

ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:

١- المبحث الأول: الدافع إلى القتال.

٢- المبحث الثاني: الجهاد بدلاً من القتال.

٣- المبحث الثالث: الشهيد والشهادة.

٤- المبحث الرابع: الثـــــــــواب.

٥- المبحث الخامس: نصر الله للمسلمين.

٦- المبحث السادس: قتال الملائكة مع المسلمين.

الفصل الأول

مفهوم البطولة في الإسلام

وجاء الحق وزهق الباطل، وتبدلت معايير وتغيرت مفاهيم وقيم، بل اختلفت حياة العرب اختلافاً كلياً بهذا الدين الجديد الذي فهمه العربي ووعاه بالفطرة الإنسانية السليمة، والحس العربي المرهف للخطاب الرباني الذي جاءهم بلسانهم العربي، فكانوا الأقدر على فهمه. فقد فهموا معنى قوله تعالى: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُم وأَسْلِمُوا لَهُ}(١). وقوله تعالى: {إِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَم}(٢)، وكذلك قوله عز وجل: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيْناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِيْنَ}(٣).

ولم يغب عن بالهم أن اتباع هذا الأمر له استحقاقات كثيرة وكبيرة، وأي شيء أكبر من معاداة الأهل والعشيرة في مكة، ثم تعرضهم للأذى النفسي والجسدي من أهلهم وذويهم، ثم انصياعهم لأمر الهجرة الأولى إلى الحبشة، ثم الهجرة الثانية إلى يثرب متزودين بهذا الدين، وتاركين خلفهم كل متاع الدنيا ونعيمها، ليحلّوا على إخوان لهم يماثلونهم في فهم هذا الدين وإدراك كل متطلباته ليشكلوا جميعاً فريقاً واحداً يتعهد أمر هذا الدين حتى يظهره الله.

وهنا بدأ الاستحقاق الأكبر، والذي تجاوز ألم الفراق، فراق الوطن والأهل والعشيرة، وتجاوز حب المال والمتاع، لينزل عن بعضه لأخيه. فهذا الاستحقاق في هذه المرة يأمرهم بالقتال، وما يتبع ذلك من التضحية بالنفس {أُذِنَ لِلَّذِيْنَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِم لَقَدِيْر}(٤). وجاء أمر القتال بالخطاب الرباني بشكل صريح وواضح في مواطن عدة من التنزيل الشريف {كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُم}(٥). وكذلك في قوله تعالى {انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُم وَأَنْفُسِكُم فِي سَبِيْلِ اللهِ ذَلِكُم خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}(٦). وفي قوله تعالى {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}(٧).

---

(١) الزمر: ٥٤.

(٢) آل عمران: ١٩.

(٣) آل عمران: ٨٦.

(٤) الحج: ٣٩.

(٥) البقرة: ٢١٦.

(٦) التوبة: ٤١.

(٧) البقرة: ٢٤٤.

وفي ساحات القتال وتحت غبار المعارك تتجلى البطولات ويبرز الأبطال وتظهر الشجاعة الحقّة، وهذا يقودنا إلى الحديث عن البطولة ومفهومها في الإسلام، ذلك أن معنى البطولة قد يتطور مع تطور المجتمعات واختلاف نظرتها إلى السلوك الإنساني. فالبطولة في العصر الإسلامي غيرها في العصر الجاهلي، وهذا الاختلاف ناتج عن اختلاف في أسباب القتال، وفي الغاية المنشودة منه.

هذا المفهوم الإسلامي الجديد لمعنى البطولة بيّنه الخطاب الرباني واستجاب له الشعر العربي الذي تحدث عن البطولة في العصر النبوي، فكان الشعر في هذا العصر يشكّل بداية جديدة ونقطة تحوّل للشعر العربي، حيث استطاع أن يُفرِد لمعاني البطولة صوراً جديدة ومختلفة عما في العهد الجاهلي. وفيما يلي سيتم تناول عناصر المفهوم الجديد لمعنى البطولة في العهد النبوي، معتمدين على الآيات القرآنية الكريمة التي تبيّن المفهوم الإسلامي لكل عنصر منها، مع ذكر بعض من الشواهد الشعرية التي توضّح هذا المفهوم في هذا العصر.

١- الدافع إلى القتال:

بعد ظهور الإسلام تغيرت الأفكار والمفاهيم، فلم يعد البطل هو ذلك الذي يحمي القبيلة ويذود عن حماها ويصون عِرضها، بل أصبح البطل هو المتمثل للدين الجديد المجاهد في سبيل مثله وأهدافه والباني لأركانه. والبطولة في هذا العصر أصبحت ذات مضمون إيماني محض تتمثل في الجهاد في سبيل الله والاستشهاد من أجل الدعوة.

والشعر العربي الذي صوّر بطولات العرب في حرب داحس والغبراء وحرب البسوس وغيرها من أيام العرب، هذا الشعر قد غاب عن بطولات العهد النبوي وحل محله شعر يكاد يحاكي النصوص القرآنية التي تبين أسباب القتال في هذا العهد. فلو استعرضنا الآيات القرآنية التي تبين دوافع القتال وغاياته، لوجدناها تدور حول ثلاثة محاور، على الرغم من أنها في المعنى العام تبين أن القتال يكون في سبيل إعلاء كلمة الله ونصرة الدين الجديد. إلا أن الاختلاف فيها كان في اللفظ وليس في المعنى، وجاء الشعر العربي متوافقاً مع هذه الآيات في المعنى العام لها، وكذلك في الاختلاف اللفظي الذي كان بينها.

ولتوضيح ذلك نقول إن هناك آيات قرآنية جاءت تبين أن غاية القتال هو الجهاد في سبيل الله، وهو المحور الأول من المحاور الثلاثة السابقة الذكر، وجاءت الآيات تبيّن ذلك، ومن هذه الآيات قوله تعالى {إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِيْنَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوص}[١]، وقوله

---

(١) الصف: ٤.

تعالى: {يا أيُّها الَّذين آمنُوا إنْ تَنْصرُوا الله ينْصرْكُم ويُثَبِّت أقْدامكُم}(١)، وقوله تعالى: {وجَاهِدُوا فِي الله حقَّ جِهادِه}(٢)، وكذلك قوله تعالى: {ولاَ تَقُولُوا لِمنْ يُقْتَلُ فِي سبِيْلِ الله أمْواتٌ بَلْ أحْيَاءٌ ولَكِنْ لاَ تَشْعُرُون}(٣).

كل هذه الآيات جاءت تبيّن أن القتال والجهاد يكونان في سبيل الله ولنصرة الله، وجاء الشعر العربي الذي تحدّث عن القتال والمعارك والبطولات في العهد النبوي منسجماً في اللفظ والمعنى معها. فهذا حسان بن ثابت يقول في رثاء خبيب بن عدي الأنصاري(٤):

ما بالُ عينِكَ لا تَرْقا مدامِعُها ... سَحّاً على الصدرِ مثلَ اللؤلؤِ الفَلِقِ(٥)

على خُبَيْبٍ وفي الرحمن مصْرعُهُ ... لا فَشِلٍ حين تلقاهُ ولا نزِق

وهذا كعب بن مالك يجيب عمرو بن العاص وضرار بن الخطاب في يوم أُحد(٦):

أبْلِغ قريشاً وخيرُ القول أصدقُه ... والصدق عند ذوي الألباب مقبولُ

****

إن تقتلونا فديْنُ الحقِّ فطرتُنا ... والقتلُ في الحقِّ عند الله تفضيلُ

ويذكر عباس بن مرداس أن السبب في بلاء قومه بني سُلَيم في يوم حنين كان لنصرة الرحمن حيث يقول(٧):

واذكرْ بلاءَ سُلَيْم في مَواطِنِها ... وفي سُلَيْمٍ لأهلِ الفَخْرِ مُفْتَخَرُ

قومٌ همُ نَصروا الرَّحْمَن واتَّبَعُوا ... دينَ الرَّسُولِ وأمرُ النَّاسِ مُشْتَجِرُ(٨)

---

(١) محمد: ٨٧.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) البقرة: ١٥٤.

(٤) **شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري**، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٠، ص٣٤٦.

(٥) لا ترقا هو لا ترقأ ولكنه سهل، ورقأت الدمعة ترقأ جفت وانقطعت، والسح الصب، والفلق المتفلق أي المشقوق. يقول إن دموعه مثل قطع اللؤلؤ.

(٦) **ديوان كعب بن مالك الأنصاري**، تحقيق سامي مكي العاني، ط١، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٦، ص٢٥٥. وكذلك ابن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، الجزء الثالث، دار القلم، بيروت، د.ت. ص١٥٥.

(٧) **ديوان العباس بن مرداس السلمي**، جمعه وحققه يحيى الجبوري، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٨، ص٥٤.

(٨) مُشْتَجِر: مختلف.

وقد قيل إن الوليد بن الوليد بن المغيرة خرج مهاجراً إلى رسول الله ﷺ فطلبه بعض قريش فخرج على رجليه وفي الطريق نَكَبتْ إصْبَعٌ من أصابعِ قَدمه فقطعت. فجعل يقول[١]:

هل أنتِ إلا أصبعٌ دَمَيْتِ ... وفي سبيل الله ما لَقَيْتِ[٢]

أما السبب الثاني أو الدافع الثاني الذي بينته الآيات القرآنية التي تحض على القتال والجهاد فكان جهاداً بالمال والنفس دفاعاً عن الرسول ﷺ واستجابة لدعوته واتباعاً لأوامره، فقد جاء العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تحضّ على اتباع الرسول وإطاعته وقرنت ذلك بطاعة الله تعالى والإيمان به ومنها قوله تعالى: {يأيها الَّذِيْنَ ءامَنُوا أَطِيعُوا الله ورَسُولهُ ولا تَولَّوا عنْهُ وأَنْتُمْ تَسْمَعُون}[٣]، وقوله تعالى: {قُلْ إنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ الله فاتَّبعونيْ يُحْبِبْكُمُ الله ويغْفِر لَكُم ذُنُوبكُم والله غَفُوْرٌ رَحِيْم * قُلْ أَطِيْعُوا الله والرَّسُول فَإنْ تَولَّوْا فَإنَّ الله لا يُحِبُّ الكَافِرِين}[٤]، وكذلك قوله تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُوْلَ فَقَدْ أَطَاعَ الله ومَنْ تَولَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِم حَفِيْظاً}[٥].

---

(١) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٤، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧، ص١٣٣. وكذلك ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق محمد علي، الجزء الرابع، طبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠، ص١٥٥٩.

(٢) جاء في كل من الطبقات الكبرى والاستيعاب على أن هذا البيت للوليد بن الوليد بن المغيرة ولكن الدكتور وليد قصاب أورده في ديوان عبد الله بن رواحة في مقدمة مقطوعة قالها يستنزل نفسه ويستحثها بعد مقتل صاحبيه في مؤتة، وهذه المقطوعة هي:

هَلْ أَنْتِ إلاّ إصْبَعٌ دميْتِ ... وفي سبيْلِ الله ما لَقِيْتِ
يا نَفْسُ إلا تُقْتَلِي تَموتِي ... هذا حِمامُ الموْتِ قَدْ صليْتِ
إنْ تَسْلَمِي اليَوْمَ فَلَنْ تَفُوتِي ... أو تُبْتَلِي فَطَالَما عُوْفِيْتِ
وما تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيْتِ ... إنْ تَفْعَلِيْ فِعْلَهُ ما هُدِيْتِ
وإنْ تَأَخَّرْتِ فَقَدْ شَقِيْتِ

ولكن الناظر في معاني هذه الأبيات في مجملها وفي المناسبة يجد أن هذا البيت حشوٌ على باقي المقطوعة، كما أن ابن هشام أورد المقطوعة لعبد الله بن رواحة دون البيت الأول وقد جاء ذلك في الجزء الرابع، ص٢١. وأورد البيت الأول على أنه للوليد بن الوليد بن المغيرة في الجزء الثاني، ص١٢٠.

(٣) الأنفال: ٢٠.

(٤) آل عمران: ٣١-٣٢.

(٥) النساء: ٨٠.

وقد جاء الشعر العربي الإسلامي في هذه الفترة متوافقاً مع هذه الآيات في اللفظ وفي المعنى، فهذا أبو قيس صيرمة بن قيس الأنصاري يقول في رسول الله عليه الصلاة والسلام[١]:

ثَوَى فِيْ قُرَيْشٍ بِضْعَ عشْرَةَ حجَّةً ... يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صديْقاً مُواتِيا

فَلَمَّا أتَانَا واسْتَقَرَّتْ بِهِ النَّوَى ... وأصْبَحَ مسْرُوْراً بِطَيْبَةَ راضِيا

بَذَلْنَا لَهُ الأمْوَال مِنْ جُلِّ مالِنَا ... وأنْفُسِنا عِنْدَ الوغَى والتَّآسِيا

نُعَادِيْ الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِم ... جَمِيْعاً وإنْ كَانَ الحَبِيْبَ المُوَاتِيَا

وهذا العباس بن عبد المطلب يبيّن أن قتاله في حنين كان لنصرة النبي عليه الصلاة والسلام حيث يقول[٢]:

ألا هَلْ أتَى عِرْسِي مِكَرِّيْ ومقْدَمِي ... بِوَادِيْ حُنَيْنٍ والأسِنَّةُ تَشْرَعُ

وَكَيْفَ رَددْتُ الخَيْلَ وَهِيَ مُغِيْرَةٌ ... بِزَوْرَاءَ تُعْطَى فِي اليَدَيْنِ وتَمْنَعُ

نَصَرْنَا رَسُوْلَ الله فِي الحَرْبِ سَبْعَةٌ ... وقَدْ فَرَّ مَنْ قَدْ فَرَّ عَنْهُ وأقْشَعُ

وثَامِنُنَا لاقَى الحِمَامَ بِسَيْفِهِ ... بِمَا مَسَّهُ فِي الله لا يَتَوَجَّعُ

ويبين كعب بن مالك صراحة بأن قتال الأبطال في يوم خيبر إنما كان دفاعاً عن رسول الله وانتصاراً له حيث يقول[٣]:

ونَحْنُ وَرَدْنَا خَيْبَراً وفُرُوْضَهُ ... بِكُلِّ فَتىً عَارِيْ الأشَاجِعِ مِذْوَدِ[٤]

يَرَى القَتْلَ مَدْحَاً إنْ أصَابَ شَهَادَةً ... مِنَ الله يَرْجُوْهَا وفَوْزاً بِأحْمَدِ

يَذُوْدُ ويَحْمِيْ عَنْ ذِمَارِ مُحَمَّدٍ ... ويَدْفَعُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ وباليَدِ

ويَنْصُرُهُ مِنْ كُلِّ أمْرٍ يَرِيْبُهُ ... يَجُوْدُ بِنَفْسٍ دُوْنَ نَفْسِ مُحَمَّدِ

---

(١) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. مرجع سابق، ج١، ص٣٢.

(٢) **المرجع ذاته**، ج٢، ص٨١٣.

(٣) **ديوان كعب بن مالك الأنصاري**. مرجع سابق، ص١٩٦. وكذلك **السيرة النبوية**، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص٣٦٣.

(٤) الفروض: المواضع التي يشرب منها من الأنهار. والأشاجع: عروق ظاهر الكف. ومذود: مانع.

وفي هذا المعنى نفسه يقول عباس بن مرداس[١]:

وقَـالَ نَبِـيُّ المُؤْمِنِيْـنَ تَقَدَّمُـــوا ... وحُبَّ إِلَيْنَـــا أَنْ نَكُـوْنَ المُقَدَّمَـــا

وَبِتْنَـا بنَـهْيِ المُسْـتَدِيْرِ ولَـمْ يَكُـنْ ... بِنَـا الخَـوْفُ إلا رغْبَـةً وتَحزُّمَـــا

أَطَعْنَـاكَ حَتَّـى أَسْـلَمَ النَّـاسُ كُلُّـهُمْ ... وحَتَّى صبحْنَا الجمْـع أهْـل يَلَمْلَمَـا[٢]

ويقال إن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه حينما عاد من غزوة أحد ناول سيفه زوجه فاطمة رضي الله عنها لتغسل الدم عنه وخاطبها قائلاً[٣]:

أَفَاطِمِ هَـاكِ السَّـيْفَ غَـيْرَ ذَمِيْـمِ ... فَلَسْـتُ بِرعْـدِيْـدٍ ولا بِمُلِيْـمِ

لَعَمْرِي لَقَدْ قَاتَلْتُ فِـي حُـبِّ أَحْمَـدٍ ... وطَـاعةِ ربٍّ بِالعِبَـادِ رحِيْـمِ

وَسَيْفِيْ بِكَفِّـي كَالشِّـهَابِ أَهُـزُّهُ ... أَجُذُّ بِـهِ مِـنْ عَـاتِقٍ وصَمِـيْـمِ

فَمَا زِلْتُ حَتَّى فَـضَّ رَبِّـيْ جُمُوعَـهُم ... وحَتَّـى شَـفَيْنَا نَفْسَ كُـلِّ حَلِـيْمِ

ولعل من أوضح ما قيل في ذلك ما قاله حسان بن ثابت في يوم وفادة بني تميم على النبيﷺ حيث قال[٤]:

هَلِ المَجْدُ إلاّ السُّـؤْدَدُ العَـوْدُ والنَّـدَى ... وجَـاهُ المُلُـوْكِ واحْتِمَـالُ العظَائِـمِ

نَصَرْنَـا وآوَيْنَـا النَّبِـيَّ مُحَمَّـداً ... عَلَى أَنْـفِ رَاضٍ مِـنْ مَعَـدٍّ وراغِـمِ

نَصَرْنَاهُ لَمَّـا حَـلَّ وَسْـطَ رِحَالِنَـا ... بِأَسْيَافِنا مِـنْ كُـلِّ بَـاغٍ وظَالِـمِ

جَعَلْنَـا بَنِيْنَـا دُوْنَـهُ وبَنَاتِنَـا ... وطِبْنَـا لَـهُ نَفْسـاً بِفَـيْءِ المغَانِـمِ

ونَحْنُ ضَرَبْنَـا النَّـاسَ حَتَّـى تَتَـابَعُوا ... عَلَـى دِيْنِـهِ بِالمُرْهَفَـاتِ الصَّـوَارِمِ

---

(١) **ديوان العباس بن مرداس**، مرجع سابق، ص١٠٢.

(٢) يلملم أو الململم: ميقات الحاج القادم من اليمن.

(٣) أبو جعفر محمد الطبري، **تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة السادسة، المجلد الثاني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠، ص٢٧.

(٤) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٣٤٩. وكذلك **السيرة النبوية**، الجزء الرابع، ص٢١٢.

وأما السبب الثالث من أسباب القتال في الإسلام فهو دفاعا عن هذا الدين الجديد وسعيا وراء انتشاره بين الناس كافة فقد قال الله تعالى: {وقَاتِلُوهُمْ حتّى لا تَكُوْنَ فِتْنَة ويكُون الدِّينُ كُلُّهُ لله فَإن انْتَهوا فَإنّ الله بما يَعْمَلُوْنَ بَصِيْر}(١)، وقال أيضاً: {ستُدْعَوْنَ إلَى قَوْم أُولي بأْس شَديْد تُقَاتِلُوْنَهُمْ أوْ يُسْلِمُوْن}(٢). وفي آية أخرى يبين الله تعالى أن قتال المشركين للمسلمين إنما هو بسبب هذا الدين حيث يقول: {ولا يَزالونَ يُقاتِلونَكُمْ حتّى يرُدُّوكُم عَنْ دينِكُم إن استَطاعوا}(٣).

وقد جاء في ثنايا شعر البطولة ما يؤكد أن قتال المسلمين إنما كان دفاعاً عن هذا الدين وفي سبيله، فهذا حسان بن ثابت يقول وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وسلام بن أبي الحقيق(٤):

لله درُّ عِصَابَةٍ لاقَيْتَهُمْ ... يا ابْنَ الحُقَيْق وأنْتَ يا ابْنَ الأشْرف

يَسْرُونَ بالبِيْضِ الرِّقَاقِ إلَيْكُمُ ... مَرَحاً كأُسْدٍ في عَرِيْنٍ مُغْرِف(٥)

حَتَّى أتَوْكُم في مَحَلِّ بلادِكُم ... فسَقَوكُم حَتفاً ببيضٍ قَرْقَفِ(٦)

مستنصرين لنصر دينِ نبيِّهم ... مُسْتَصْغِرِينَ لكلِّ أمرٍ مُجْحِفِ

ويقول كعب بن مالك في معرض ردّه على هبيرة بن أبي وهب(٧):

مُجَالِدُنا عَنْ دِيننا كلَّ فَحْمَةٍ ... مُذَرَّبَةٍ فيها القوانِسُ تَلْمَعُ

ويأتي مثل هذا المعنى عند كعب في قصيدته التي قالها حين أجمع رسول الله ﷺ السَّيْرَ إلى الطائف والتي مطلعها(٨):

قَضَيْنَا مِنْ تِهامَةَ كلَّ رَيْبٍ ... وخَيبرَ ثُم أجممنا السُّيُوفا

حيث يقول:

---

(١) الأنفال: ٣٨.

(٢) الفتح: ١٠٦.

(٣) البقرة: ٢١٧.

(٤) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٣٢٩.

(٥) مغرف: ملتف الشجر.

(٦) بيضٍ قُرقُفِ: سيوف سريعة القتل.

(٧) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٢٣.

(٨) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٣٤.

نُجالِدُ مـــا بقِيْنـــا أوْ تُنِيبـــوا إلـــى الإســـلام إذعانـــا مضيفـــا[١]

لأمـــر الله والإســـلام حتـــى يقـــوم الديـــنُ معتـــدلا حنيفـــا

وفي معركة أحد قال كعب بن مالك[٢]:

ألا أبلـغْ قريشـــاً علـــى نَأْيِهـــا أتَفْخَـر مِنّـا بمـا لـــم تَلـــي

فَخَرْتُـــم بِقَتْلـــى أصابتهُـــم فَواضِـلُ مـــن نعيـــمِ المُفْضِـــلِ

تُقـــاتِلُ عـــن دِيْنِـــها، وسُـــطَها نبـيٌّ عَـنِ الحـقِّ لـــم ينكـــلِ

ويبين الشاعر عباس بن مرداس بأن حضوره وقومه بني سُلَيْم معركةَ حنين كـان لرفعة الدين وعزته حيث يقول[٣]:

ونحنُ يومَ حُنينٍ كان مشْهَدُنا للدِّيْنِ عِزّاً وعِنْدَ اللهِ مُدَّخَرُ

هكذا أصبحت الأسباب الموجبة للقتال في الإسلام، إما في سبيل الله أو دفاعاً عن رسـول الله أو نصرة لدين الله، وعلى هذا الأساس يكون التمايز بين الناس، بين من يقف نفسـه ومالـه وراء الحق وبين من يدافع ويقاتل عن الكفر والطاغوت والشيطان، {الذِيْنَ آمنُـوا يُقَـاتِلُون فـي سَبِيْلِ اللهِ والذينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ في سَبِيْلِ الطَّاغُوْت فَقَاتِلوا أوْلِيَاءَ الشَّيْطانِ إنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كَـان ضعيفاً}[٤]. ولقد وضّح لنا الشعر العربي في العهد النبوي هذا التمايز بين الفريقين، فريق الكفـر وفريق الإيمان، وأن هذا الاختلاف هو السبب في قتال المشركين ذلك أنـه قتـال بيـن الكفـر والإيمان، فهذا كعب بن مالك يقول في هذا المعنى في يوم الخندق[٥]:

لَقَـدْ عَلِـمَ الأحْـزَابُ حِيْـنَ تَـأَلَّبوا علينا وَرامُـوا دِينَنـا مـا نـوادِعُ

يذُوْدُونَنَـا عـن دِينِنـا ونَذُودُهُـم عَـنِ الكُفْـرِ والرَّحْمَـن راءٍ وسـامِعُ

---

(١) مضيفاً: ملجئاً.

(٢) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٥٤.

(٣) **ديوان العباس بن مرداس**، مرجع سابق، ص٥٥.

(٤) النساء: ٧٦.

(٥) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٣٠.

ويقول أيضاً[١]:

نُجالدُ مـــا بقينـــا أو تُنيبـــوا ... إلـــى الإســـلامِ إذْعانـــاً مُضيْقـــا

لأمـــرِ اللهِ والإســـلامِ حتّـــى ... يقُـــومَ الدِّيْـــنُ مُعْتَـــدِلاً حنيْفـــا

وتُنْســـى الـــلاتُ والعُـــزّى وودٌّ ... ونَسْـــلِبُها القَلائِـــدَ والشُّنُوفَـــا

وعلى الرغم من الدعوة الصريحة إلى القتال في كل ما سبق من الآيات القرآنية الكريمة إلا أن هناك أمراً ربانياً للمقاتلين بعدم الاعتداء، ذلك أن للقتال أسبابه التي سبق الإشارة إليها وإذا تحقق الهدف فلا عدوان إلا على الظالمين، {وقَاتِلُوهُم حتَّى لا تَكُوْنَ فِتْنَةٌ ويَكُونَ الدِّيْنُ للهِ فَإن انْتَهَوا فلا عُدْوَانَ إلاّ علَى الظّالمين}[٢]، ويقول الله تعالى أيضاً: {وقَاتِلوا في سَبِيْلِ الله الذِيْن يُقَاتِلُونَكُم ولا تَعْتَدُوا إنَّ الله لا يُحِبُّ المُعْتَدِين}[٣].

ولقد وجدنا الشعر العربي في هذه المرحلة يمثل هذا المعنى السامي، فهذا كعب بن مالك يخاطب أهل الطائف بقوله[٤]:

فـإنْ تُلْقُـوا إلَيْنَـا السِّـلْمَ نَقْبَـل ... ونَجْعَلُكُـم لَنَـا عَضُـداً وريفـا[٥]

وإن تـأبَوْا نُجَـاهِدُكُم ونَصْـبِر ... ولا يـكُ أمْرُنَـا رَعِشـاً ضَعِيْفـا

ويخاطب قريشاً في يوم الخندق فيقول[٦]:

أجيبونـا إلـى مـا نَجْتَدِيكُـم ... مـنَ القَـولِ المُبَيَّـنِ والسِّـداد[٧]

وإلا فـاصبروا لجـلادِ يَـومٍ ... لَكُـمْ مِنَّـا إلـى شَـطْرِ المَـذَاد[٨]

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٣٦.

(٢) البقرة: ١٩٣.

(٣) البقرة: ١٩٠.

(٤) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٣٦.

(٥) الوريف: المتسع الممتلئ، الظل الوريف: الظل المتسع الممتد.

(٦) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص٢٧٧.

(٧) نجتديكم: نطلبكم.

(٨) الشطر: الناحية والقصد. والمذاد: موضع بالمدينة حيث حفر الخندق.

وفي هذا المعنى نفسه يقول عباس بن مرداس عقب معركة حنين[١]:

فإنْ يُهْدَوْا إلى الإسلامِ يَلْقَوا ... أُنُوْفَ النّاسِ ما سمرِ السّميرْ[٢]

وإن لم يُسْلِمُوا فهم أذانٌ ... بحرب الله ليس لهم نصيرْ

كأنّ بني معاويةَ بنِ بكرٍ ... إلى الإسلامِ ضائنةٌ تَخُورْ[٣]

فقُلْنا أسْلِموا إنّا أخوكُم ... وقَدْ برأت مِن الإحنِ الصُّدُورْ

فلا عدوان ولا تشاحن أو بغضاء بعد أن يدخل الطرف الآخر في الإسلام، بل أخوة ومحبة ومساواة. هذه هي دعوى الإسلام وقد تمثلها الشعر العربي في هذه المرحلة خير تمثيل. وكل ما تقدم يمثل العنصر الأول من عناصر المفهوم الجديد لمعنى البطولة في الإسلام وهو الدافع إلى القتال.

١- الجهاد بدلاً من القتال:

أما المعيار الثاني من معايير المفهوم الجديد لمعنى البطولة في العهد النبوي فهو ظهور كلمة جديدة مرادفة للفظة القتال وهي كلمة الجهاد. وقد ورد في لسان العرب في مادة جهد: الجَهْدُ والجُهْدُ: الطاقة. وقيل: الجَهْد: المشقة والجُهْد: الطاقة. وجاهدَ العدوَ مجاهدة وجهاداً: قاتله وجاهد في سبيل الله. وفي الحديث: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيةٌ. والجهاد محاربة الأعداء وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل. والجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء[٤].

على أن كلمة الجهاد لا تقف في المعنى العام لها على معنى القتال فحسب، فهي تعني أيضاً الدعوة إلى الله تعالى والثبات على هذا الدين ولا أدل على ذلك من ورود كلمة الجهاد في الآيات المكية ولم يكن التكليف بالقتال قد نزل بعد ومن ذلك قوله تعالى: {ثُمَّ إنَّ ربَّكَ للذين هاجرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثمّ جاهَدوا وصبَروا إنّ ربَّك مِنْ بَعْدِها لَغَفُوْرٌ رَحِيْم}[٥]، وقوله تعالى: {والذين

---

(١) **ديوان عباس بن مرداس**، مرجع سابق، ص٥٢.

(٢) أنوف الناس: أشرفهم. السمير: جماعة السمار.

(٣) تخور: تصيح.

(٤) **لسان العرب**، مادة جهد.

(٥) النحل: ١١٠.

جاهدوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وإنّ الله لَمعَ المُحْسِنِيْن}[١]، وكذلك قوله تعالى: {فلا تُطِعِ الكافرِيْن وجاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً كَبِيْراً}[٢].

أما الآيات القرآنية التي تحدثت عن الجهاد بمفهوم القتال فهي كثيرة ومنها قوله تعالى: {انفِرُوا خِفَافاً وثِقالاً وجَاهِدُوا بأمْوالِكُم وأنْفُسِكُم في سَبِيلِ الله ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُم إنْ كُنْتُم تَعْلَمُون}[٣]، وقوله تعالى: {إنّما المُؤْمِنونَ الذِيْنَ آمنُوا باللهِ ورَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابوا وجاهَدُوا بأمْوالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ في سَبِيْلِ الله أولئكَ هُمُ الصّادِقُون}[٤]، وكذلك قوله تعالى: {أمْ حَسِبْتُم أنْ تَدْخُلوا الجَنّةَ ولمّا يعْلَمِ اللهُ الذِيْنَ جاهَدُوا مِنْكُم ويَعْلَمَ الصّابرين}[٥].

على أن ذلك لا يعني أبداً أن لفظة القتال لم يعد لها وجود في القرآن الكريم، بل هي كثيرة ومنها قوله تعالى: {إنّ الله يُحِبُّ الذين يُقَاتِلُونَ في سَبِيْلِهِ صَفّاً كأنَّهُم بُنْيَانٌ مرْصُوص}[٦]، وقوله تعالى: {فَلْيُقَاتِلْ في سَبِيْلِ الله الذِيْنَ يَشْرُون الحياةَ الدُّنيا}[٧]، وكذلك قوله تعالى: {وقَاتِلُوا المُشْرِكِيْنَ كافّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُم كافّة}[٨].

على أن الذي نريد أن نخلص إليه هو هذا التغير والتحول الذي أحدثه هذا الدين الجديد في كافة مناحي الحياة بما فيها أمر القتال والاحتراب الذي هو المجال الأول في إظهار البطولة وظهور الأبطال. لنرى بعدها كيف أن الشعر العربي الذي لم يكن للفظة الجهاد مكانٌ في شعر البطولة منه أخذ يستوعب هذا المعنى ويظهره ضمن الأعمال البطولية التي يفتخر بها الأبطال ويتغنى بها الشجعان في ساحات القتال. فهذا عُمير بن الحُمام الأنصاري[٩] يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم بدر يقول: (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض) فيقول عمير: بخٍ بخٍ، فيسأله رسول الله: ما يحملك على قول ذلك؟ قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) الفرقان: ٥٢.

(٣) التوبة: ٤١.

(٤) الحجرات: ١٥.

(٥) آل عمران: ١٤٢.

(٦) الصف: ٤.

(٧) آل عمران: ٧٤.

(٨) التوبة: ٣٦.

(٩) عماد الدين بن كثير، **البداية والنهاية**، الطبعة الثانية، الجزء الرابع، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٧، ص٢٧٧. وكذلك ينظر في ترجمة عمير بن الحمام في **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، الجزء الثالث، ص١٢١٤.

أن أكون من أهلها، قال فإنك من أهلها. قال فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة، فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتل المشركين حتى قتل رحمه الله، وقيل بأنه كان يقاتل وهو يقول:

ركضاً إلى اللهِ بغَيْرِ زادِ ... إلاّ التُّقى وعملِ المعادِ

والصَّبْرُ في اللهِ على الجهادِ ... وكُلُّ زادٍ عُرْضة النَّفادِ

غير التُّقى والبِرِّ والرَّشادِ

وهذا كعب بن مالك يخاطبُ أهل الطائف حين قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إليهم بعد أن فرغ من حنين فيقول[١]:

نطيعُ نبيّنا ونطيعُ رباً ... هو الرَّحمن كان بنا رؤوفا

فإن تُلْقوا إلينا السِّلم نقبل ... ونجعلْكم لنا عَضُداً وريفا

وإن تأبَوا نجاهدْكم ونصبرْ ... ولا يكُ أمرُنا رعِشاً ضعيفا

نجالد ما بقينا أو تُتيبوا ... إلى الإسلام إذعاناً مضيفا

نجاهد لا نبالي من لقينا ... أأهْلَكْنا التِّلاد أم الطريفا

أما حسان بن ثابت فإنه وفي معرض ذكره لمناقب قومه الأنصار، فإنه يذكر جهادهم في سبيل الله، حيث يقول[٢]:

سماهمُ الله أنصاراً لِنَصرهم ... دينَ الهدى وعوانُ الحربِ تستعرْ

وجاهدوا في سبيل الله واعترفوا ... للنائبات فما خامُوا وما ضَجروا

والناس أَلْبٌ علينا ثم ليس لنا ... إلا السيوف وأطراف القَنَا وزرْ

ويقول عبدالله بن رواحة في رثاء نافع بن بُديل الخزاعي، الذي قتل يوم بئر معونة[٣]:

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٣٦.

(٢) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٢٥٥.

(٣) **ديوان عبد الله بن رواحة**، وليد قصاب، الطبعة الثانية، دار الضياء، عمان، ١٩٨٨، ص١٣٥.

رحـــم الله نـــــافع بـــــن بديـــــــل رحمـــةَ المُبتَغـــي ثـــــواب الجـــــهاد

صـــابراً صـــــادق اللِّقـــــاءِ إذا مـــــا أكـــثَر القـــومُ قـــال قـــول الســـــــداد

على أنه ورد في شعر هذه الفترة الحديث عن الجهاد في غير معنى القتال، وهـــو معنـــى جهاد النفس على الآثام والمعاصي والإقبال على الدين والتمسك بتعاليمه، ومن ذلـــك مـــا أورده صاحب الاستيعاب[١] في معرفة الأصحاب في خبر الصحابي مازن بن الغضوية، الـــذي جـــاء يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مولع بالطرب وحب الخمر والنساء وطلـــب منـــه عليه السلام أن يدعو له، فدعا له. فأذهب الله عنه كل ذلك، وأنشد في كل هذا مقطوعة منها:

وكنتُ امـــرأً باللـــهوِ والخمـــرِ مُولَعـــاً شبابِي إلـــى أنْ آذن الجِسْـمُ بالنَّهْـــجِ

فَبَدَّلَنـــي بـــالخمْرِ خَوفـــاً وخِشْيـــــةً وبالعُهْرِ إحصاناً فحَصَّـــنَ لـــي فَرْجِـــي

فأصْبَحتُ هَمِّـــي فـــي الجِـــهادِ ونِيَّتِـــي فلله ما صَوْمِـــي ولله مـــا حجِّـــــي

وفي هذا المعنى يقول النابغة الجعدي حين وفد على النبي صلى الله عليه وســـلم مســـلماً، وأنشده قصيدته الرائية والتي منها[٢]:

أتَيْـــتُ رَســـولَ اللهِ إذْ جـــاءَ بالهُـــــدى ويتلـــو كِتابـــاً كـــالمجرَّةِ نَيِّـــــــرا

وجاهَدْتُ حتَّى ما أُحِـــسُّ ومَـــن مَعِـــي سُـــهَيْلاً، إذا مـــا لاح ثُمَّـــتَ غَـــوّرا

أقِيْمُ علـــى التَّقْـــوى وأرْضـــى بِفِعْلِـــها وكُنْـــتُ مِـــنَ النَّـــارِ المَخُوفَـــةِ أحْـــذَرا

٣- الشهيد والشهادة:

والركن الثالث من أركان المفهوم الجديد للبطولة في الإسلام، هو أنه عمل على اســـتبدال لفظة القتيل بلفظة أخرى هي لفظة الشهيد، على الرغم من أنه أبقى على استعمال اللفظة القديمـــة في القرآن الكريم حيث جاء قوله تعالى: {ولا تَقُولوا لِمَن يُقْتَلُ في سَبِيْلِ اللهِ أمْـــواتٌ بَـــلْ أحْيَـــاءٌ ولكن لا تَشْعُرُون}[٣]. وكذلك قوله تعالى: {ولَئِنْ قُتِلْتُمْ في سَـــبِيْلِ اللهِ أو مُتُّـــم لَمَغْفِـــرةٌ مِـــن اللهِ

---

(١) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. مرجع سابق، الجزء الثالث، ص١٣٤٤.

(٢) عبد القادر البغدادي، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، الجزء الثالث، مكتبـــة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٩، ص١٦٩.

(٣) البقرة: ١٥٤.

ورحْمةٌ خَيْرٌ ممَّا يجْمعُون}[١]. إلاّ أن لفظة الشهيد جاءت في القرآن الكريم بكثرة تلفت النظر إلى أن بناء مفهوم البطولة في الإسلام يستدعي تغيير هذا الركن من المفهوم إلى لفظة شهيد بدلا من قتيل، حيث وردت لفظة شهيد في القرآن الكريم خمساً وخمسين مرّة سواء مفردة أو مجموعة، غير أنها ليست جميعها بمعنى المفهوم الاصطلاحي المتعارف عليه، بل جاءت في المعنى اللغوي لأصل الكلمة أيضاً.

أما تعريف الشهيد في اللغة فقد جاء في لسان العرب: "الشهيد الذي لا يغيب عن علمه شيء، والشهيد: الحاضر، والجمع شُهَداء وشُهَّدٌ وأشهاد وشهود. والشهيد: المقتول في سبيل الله والجمع شهداء، وفي الحديث أرواح الشهداء في حواصل طيرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ من ورقِ الجنّة، والاسم الشهادة، واستُشْهِدَ: قُتِلَ شَهيداً، والشهيد: الحي، أي عند ربه حيٌّ. وقال ابن الأنباري: سُمِّيَ الشَّهيد شهيداً لأن الله وملائكته شهودٌ له بالجنة. وقيل سُمُّوا شهداء لأنهم ممن يُستَشهدُ يوم القيامة مع النبي صلى الله عليه وسلم على الأمم الخالية. قال أبو منصور: والشهادة تكون للأفضل فالأفضل من الأمة. فأفضلهم من قُتِلَ في سبيل الله"[٢].

وعليه فإن المعنى اللغوي للفظة الشهيد هو الحاضر. أما المعنى الاصطلاحي فهو المقتول في سبيل الله.

أما الآيات القرآنية التي وردت بها لفظة الشهيد فهي كثيرة ومنها قوله تعالى: {إن يَمْسَسْكُم قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْم قَرْحٌ مِثْلُهُ وتِلْكَ الأيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاس وليعْلَمَ الله الذيْنَ ءامنوا ويتَّخذ منْكُم شُهَداء والله لا يُحِبُّ الظَّالمين}[٣]، وقوله تعالى: {ومَن يُطِعِ اللهَ والرَّسُول فأولَئكَ مع الذيْنَ أنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهدَاء والصَّالحيْن وحَسُنَ أولئكَ رَفِيْقا}[٤]، وأخيراً قوله تعالى: {والَّذيْنَ آمَنوا باللهِ ورسُولِهِ أولَئكَ هُمُ الصِّدِّيْقُون، والشُّهَدَاءُ عِنْدَ ربِّهِم لَهُمْ أجْرُهُم ونُورُهُم، والَّذيْنَ كَفَروا وكَذَّبُوا بآياتِنَا أولَئكَ أصْحَابُ الجَحيْم}[٥].

وعليه فإن الشهادة أصبحت من المعاني الإسلامية التي يتوق لها الأبطال في ساحات القتال ويتغنى بها الشعراء في شعرهم، فهذا حسان بن ثابت يرثي شهداء مؤتة فيقول[٦]:

---

(١) آل عمران: ١٥٧.

(٢) **لسان العرب**: مادة شهد.

(٣) آل عمران: ١٤٠.

(٤) النساء: ٦٩.

(٥) الحديد: ١٩.

(٦) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٢٣٦.

فـلا يُبْعِـدنَّ اللهُ قَتْلَـى تَتابعُـــــوا ... بِمُؤتَـةَ مِنْـهُمْ ذُو الجنَـاحيْنِ جعْفَـرُ

وزَيْـدٌ وعَبْـدُ اللهِ حيْـن تَتابعُـــوا ... جَمِيْعاً وأسْـبابُ المنِيَـة تَخْطِـرُ[١]

غَـداةَ غَـدوْا بـــالمُؤمِنِيْن يَقُودُهُـمْ ... إلى الموْتِ ميْمُـونُ النَّقِيْبَـةِ أزْهَـرُ[٢]

فَطَاعَنَ حتَّـى مـات غَـيْرَ مُوسَّـدٍ ... بِمُعْـتَرَكٍ فِيْـهِ القَنَـا يتَكَسَّـرُ

فَصـارَ مَـعَ المُسْتَشـهِدِينَ ثَوابُـهُ ... جِنـانٌ ومُلْتَـفُّ الحدائِـقِ أخْضَـرُ

ويقول حسان بن ثابت في يوم بني قريظة يبكي سعد بن معاذ[٣]:

لَقَدْ سجَمَتْ مِـنْ دمْـعِ عيْنِـي عَـبْرَةٌ ... وحُقَّ لِعيْنِي أنْ تَفِيْـضَ علـى سـعْدِ[٤]

قَتِيْلٌ ثَـوَى فِـي مَعْـرَكٍ فُجِعَـتْ بِـهِ ... عُيُونٌ ذَوارِي الدَّمْـعِ دائمـةُ الوجْـدِ[٥]

علـى مِلَّـةِ الرَّحْمَـن وارثَ جَنَّـةٍ ... مَعَ الشُّـهَدَاءِ وفْدُهَـا أكْـرَمُ الوفْـدِ

ويبكي حسان بن ثابت خبيباً فيقول[٦]:

ما بالُ عَيْنِـكَ لا تَرقَـا مدامِعُهـا ... سحّاً على الصَّدْرِ مِثْلُ اللؤلـؤِ القَلِـقِ[٧]

على خُبيب وفـي الرحمـن مصرعـه ... لا فَشِلٍ حيْـنَ تَلْقَـاهُ ولا نَـزِقِ[٨]

فاذْهَبْ خُبَيْـبُ جَـزاكَ اللهُ طَيِّبَـةً ... وجَنَّةَ الخُلْدِ عِنْـدَ الحُـوْرِ فـي الرُّفُـقِ

ماذا تقُولـونَ إنْ قَـالَ النَّبِـيُّ لَكُـم ... حيْنَ الملائكَـةُ الأبـرارُ فـي الأُفُـقِ

فِيمَ قَتَلْتُم شَـهِيْدَ اللهِ فـي رَجُـلٍ ... طَاغٍ قد أوْعَثَ في البُلْـدانِ والرُّفَـقِ[٩]

---

(١) تخطر: تختال وتهتز.

(٢) ميمون النقيبة: مسعود الجد. وأزهر: أبيض.

(٣) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص٢٨٢.

(٤) سجمت: سالت.

(٥) ثوى: أقام. ذواري الدمع: تسكبه.

(٦) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٣٤٦.

(٧) لا ترقا مدامعها: لا تجف. القلق: المتحرك الساقط.

(٨) الفشل: الجبان. النزق: السيئ الخلق.

(٩) أوعث: اشتد فساده. والرفق: جمع رفقة.

ويقول حسان بن ثابت أيضا في معرض بكائه على حمزة[١]:

دعْ عنْـــكَ داراً عفـــا رسْمُهـــــا ... وابْـكِ علـــى حمْـــزة ذي النَّـــائل

أبْيَـضُ فـــي الـــذِّرْوَةِ مِـــنْ هاشِـــمٍ ... لَـــمْ يمْـــرِ دُون الحَـــقِّ بالباطِـــــل[٢]

مَـــالَ شَـــهِيْداً بيـــنَ أسْيافِكُـــــم ... شُـــلَّتْ يـــدا وحْشِـــيَّ مِـــنْ قَاتِـــل[٣]

ويخاطب حسان بن ثابت أمامةَ بنت حمزة حين قَدِمت المدينـــة تســـأل عـــن قـــبر أبيـــها ومَصْرَعِهِ[٤]:

تُســـائِلُ عَـــنْ قَـــرْمٍ هِجـــانٍ سَـــمَيْدَعٍ ... لَدَى البأسِ مِغْـــوارِ الصَّبَـــاحِ جَسُـــوْرِ

أخـــي تِقَـــةٍ يَـــهْتَزُّ لِلعُـــرْفِ والنَّـــدى ... بَعِيْدِ المَـــدى فـــي النَّائبـــات صَبُـــورِ

فَقُلْـــتُ لَـــهَا إنَّ الشَّـــهَادَةَ رَاحَـــةٌ ... وَرِضْـــوَانُ ربٍّ يـــا أُمـــامَ غَفُـــــورِ

وهذا كعب بن مالك يقول في أبطال يوم خيبر[٥]:

ونَحْـــنُ وَرَدْنـــا خَيْـــبَراً وفُرُوضَـــهُ ... بِكُـــلِّ فَتَـــىً عـــارِي الأشَـــاجِعِ مِـــذْوَدِ

يَرى القَتْلَ مَدْحَـــاً إنْ أصـــابَ شَـــهَادَةً ... مِـــنَ اللهِ يَرْجُوهـــا وفَـــوْزاً بِـــأحْمَدِ

ومما يلاحظ أن الأبطال كانوا يتمنون الشهادة ويطلبونها وهم مقبلون على المعارك وكأنـــها بغيتهم وإذا انتهت المعركة دون أن ينال أحدهم الشهادة فإنه يصيبه الهم والحزن، فهذا شاعر مـــن المسلمين ممن رجع من غزوة مؤتة يقول[٦]:

كَفَى حَزَنـــاً أنِّـــي رَجَعْـــتُ وجَعْفَـــرُ ... وَزَيْدُ وعَبْـــدُ اللهِ فـــي رَمْـــسِ أقْبُـــرِ

قَضَـــوا نَحْبَـــهُم لَمَّـــا مَضَـــوا لِسَـــبِيْلِهِم ... وَخُلِّفْتُ لِلبَلْـــوَى مَـــعَ المتغَبِّـــــرِ[٧]

---

(١) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٣٨٦.

(٢) لم يمر: من المراء، وهو الجدل.

(٣) حذف التنوين من وحشي للضرورة.

(٤) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٢٤٢.

(٥) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص١٩٦.

(٦) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص٣٠.

(٧) المتغبر: الباقي.

ثلاثـــةُ رهـــطٍ قدَّمُـــوا فتَقَدَّمـــــــوا إلى وِرْدٍ مكْـــرُوهٍ مِـــن المـــوْتِ أحْمَـــر

ولعل من أجمل ما قيل في طلب الشهادة مقطوعة قالها عبد الله بن رواحة يخـــاطب بـــها ناقته وهو في طريقه إلى مؤتة حيث يقول(١):

إذا أدَّيْتِنِـــي وحملْـــتِ رحْلِـــــيْ مسِـيْرة أرْبَـــعٍ بعْـد الحِســـــــاء(٢)

فَشـــأْنَكِ أنْعُـــمٌ وخـــــــلاكِ ذمٌّ ولا أرْجِـــعْ إلـــى أهْلِـــي ورائِـــــي(٣)

وجَـــاءَ المُسْـــلِمُون وغـــــادرُونِي بـــأرضِ الشَّـــام مُشْـــتَهَى الثَّـــــواءِ(٤)

هنـــالكَ لا أُبـــــالِيْ طَلْـــعَ بَعْـــلٍ ولا نَخْـــــــلٍ أسافِلُهـــــــــا رِواءِ

وحين دعا له المسلمون ولمن معه حين خروجهم إلى مؤتة أن يَرُدَّهُمُ اللهُ سالِمِيْن، يُجِيْبُـــهُم عبد الله بن رَوَاحة رَحِمَهُ الله قائلاً(٥):

لكننـــي أســـأل الرحمـــن مغفـــــــرةً وضربـــةً ذاتَ فَـــرْغٍ تَقْـــذِفُ الزَّبَـــــدا

أوْ طَعْنَـــةً بِيَـــدَيْ حَـــرَّانَ مُجْهِـــــزَةً بِحرْبَـــةٍ تَنْفَـــذُ الأحشـــاء والكبـــــــدا

حَتَّى يُقَـــالَ إذا مَـــرُّوا علَـــى جَدَثِـــي: أرْشَـــدَه اللهُ مِـــن غَـــازٍ وقَـــدْ رَشَـــدا

١- الثواب:

كثيراً ما كان القتال في الجاهلية لأسباب قد لا تستحق أن يراق لها قطرة دم واحدة، وكثيراً ما كان الفوز لا يعدو العشب أو الماء أو قطيعاً من الماشية قلّ عدده أو كَـثُر. وكـانت تظـهر بطولات الأبطال وشجاعة الشجعان من بين ذلك السبب وهذه النتيجة. ولمّا جاء الإسلام تغـيّرت الأسباب وتبدلت الأهداف والمغانم. {الذينَ آمَنوا يُقاتِلونَ في سَبيلِ الله والذِيْنَ كَفَروا يُقاتِلون فـــي

---

(١) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٥١، وكذلك الواقدي، **كتاب المغـــازي**، تحقيـق: مارسـدن جونسْن، الجزء الثاني، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ص٧٥٩.

(٢) **الحساء**: جمع حسي، وهو ما يغور في الرمل وإذا بحث عنه وجد.

(٣) ولا أرجع: مجزوم عن الدعاء، دعا على نفسه أن يستشهد ولا يرجع إلى أهله.

(٤) ثوى بالمكان ثواء إذا أطال الإقامة به أو نزل به.

(٥) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٤٧.

سبيْل الطاغُوْت}[١]. فكما مرّ سابقاً أصبح الدافع للقتال هو نصرة هذا الدين وإعلاء شأنه. أما المغانم والمكاسب التي أصبحت تؤجج البطولة وتبعث على الشجاعة والتضحية فقد بينها القرآن الكريم في قوله تعالى: {لكِن الرّسول والذيْن آمنُوا معه جاهَدوا بأمْوالِهم وأنْفُسِهم وأولئك لهُمُ الخَيْرات وأولئك هُمُ المُفْلِحُون * أعدّ الله لهم جنّات تَجْري مِن تَحْتها الأنْهارُ خالدين فِيْها ذلك الفَوْزُ العظيم}[٢].

هذا هو ثواب القتال والجهاد الذي أصبح الأبطال يتسابقون إليه، وهو أن ينالوا ثواب الجهاد الذي وعدهم الله به. فهذا عبد الله بن رواحة يرجو لنافع بن بديل هذا الثواب حيث يقول في رثائه[٣]:

رَحِمَ اللهُ نافِعَ بْنَ بُدَيْلٍ رَحْمَةَ المُبْتَغِي ثَوابَ الجِهادِ

فالجنة التي تجري من تحتها الأنهار هي الفوز العظيم والجزاء الأوفى الذي أعدّه الله تعالى للمجاهدين والشهداء في سبيله، هذه الجنة هي التي يُرَغِّب نفسه بها عبد الله بن رواحة في معركة مؤتة وهو مقدم على الشهادة فيقول[٤]:

أقْسَمْتُ يا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ طائعةً أو لتُكْرَهِنَّهْ

مالي أراكِ تَكْرَهيْنَ الجنَّة قَدْ طالَما قَدْ كُنْتِ مطمئنّة

وعليه، فقد شعر الأبطال بأن القتل والشهادة مكرمة وعمل صالح ينشدونه ويطلبونه في ساحات المعارك وتحت ظلال السيوف، وقد جاء هذا الشعور امتثالاً لقوله تعالى: {ذلك بِأنَّهُم لا يُصيبُهُم ظَمأٌ ولا نَصْبٌ ولا مخْمَصةٌ في سَبيْلِ الله ولا يَطَئونَ موطئاً يغيْظُ الكُفّار ولا ينالوْنَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إلا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صالِح}[٥]. فهذا حسان بن ثابت يرثي أصحاب الرجيع فيقول[٦]:

صلّى الإلهُ على الذيْنَ تَتَابَعوا يَوْمَ الرَّجيعِ فأُكْرِموا وأُثيبوا

---

(١) النساء: ٧٦.

(٢) التوبة: ٨٨-٨٩.

(٣) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٣٥.

(٤) **المرجع ذاته**، ص١٥٣.

(٥) التوبة: ١٢٠.

(٦) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٨٤. وفيها حديث عن قصة أصحاب الرجيع.

وفي هذا المعنى نفسه يقول في رثاء خبيب[١]:

صبْراً خُبَيْبُ فإنّ القَتْل مكْرُمةٌ ... إلى جِنَانٍ نَعيمٍ يرْجِعُ النَفَسُ

ويجيب كعب بن مالك عبد الله بن الزبعرى الذي افتخر بيوم أحد[٢]:

أبلغ قريشاً وخَيْرُ القولِ أصدقُه ... والصِّدْقُ عِندَ ذوي الألبابِ مقبولُ

إنْ تَقْتُلونا فدِيْنُ الحقِّ فِطْرَتُنا ... والقَتْلُ في الحقِّ عِنْد الله تَفْضيلُ

ولقد رغَّب الله تعالى المسلمين بالجهاد والاستشهاد في سبيله في مواضع كثيرة من القرآن الكريم فمنها قوله تعالى: {ولا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلُوا في سَبِيْلِ الله أمْواتاً بَلْ أحْيَاءٌ عِنْدَ ربِّهم يُرْزَقُون *فَرِحين بِما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ويَسْتَبْشِرونَ باللذيْنَ لَمْ يَلْحَقُوا بهم مِنْ خَلْفِهِم ألاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنون}[٣]. وفي معرض هذا الترغيب أيضاً يقول الله تعالى: {إنَّ الله اشْتَرى مِنَ المؤْمِنِيْنَ أنْفُسَهُم وأموالَهُمْ بأنَّ لَهُم الجنَّة، يُقاتِلُونَ في سَبِيْلِ الله فيَقْتُلُونَ ويُقْتَلون...}[٤]. وقد باع الأبطال المسلمون حياتهم في هذه الدنيا ليشروا بها الجنة، ومنهم سعد بن معاذ الذي حكَّمه رسول الله ﷺ في بني قريظة، وفيه يقول حسانُ بن ثابت[٥].

فَوَافَقَ حُكْمَ اللهِ حُكْمُكَ فِيْهِمُ ... ولَمْ تَعْفُ إذْ ذُكِّرْتَ ما كَانَ مِنْ عَهْدِ

فإنْ كَانَ رَيْبُ الدَّهْرِ أمْضاكَ في الأُلَى ... شَرَوْا هذهِ الدُّنيا بِجَنَّاتِها الخُلْدِ

فَنِعْمَ مَصِيْرُ الصادقين إذا دُعُوا ... إلى اللهِ يوماً للوَجَاهَةِ والقَصْدِ

ومنهم عبيدة بن الحارث الذي قُطعت رجله في المبارزة التي سبقت معركة بدر حيث يقول[٦]:

فإنْ تَقْطَعُوا رِجْلِي فإنِّي مُسْلِمٌ ... أرجِّي بِها عَيْشاً مِنَ اللهِ دانِيا

وبِعْتُ بِها عَيْشاً تعرَّفْتُ صَفْوَهُ ... وعالَجْتُهُ حَتَّى فَقَدْتُ الأدانِيا

---

(١) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٢٨٩.

(٢) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٥٥.

(٣) آل عمران: ١٦٩-١٧٠.

(٤) التوبة: ١١١.

(٥) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص٢٨٢.

(٦) **المرجع ذاته**، ص٢٤.

وفي الوقت الذي يذكر فيه الشعر هذا الفوز العظيم الذي يناله شهداء المسلمين فإنه يبين أيضاً المصير المغاير الذي يؤول إليه قتلى المشركين وذلك كله بنوع من الموازنة بين مآل الفريقين. ومن ذلك في رثاء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه لدى كلٍّ من كَعب بن مالك وحسّان بن ثابت حيث يقول كعب[١]:

شَتّانَ مَنْ هوَ في جَهنَّمَ ثاوِياً ... أبداً ومَنْ هو في الجِنانِ مُخَلَّدُ

وأما حسان بن ثابت فيقول[٢]:

فإنْ تَذْكُروا قَتْلَى وحَمْزةَ فيْهِم ... قَتِيْلٌ ثَوى للهِ وهو مُطِيْعُ

فإنَّ جِنانَ الخُلْدِ مَنْزِلَةٌ لَهُ ... وأمْرُ الذي يقْضي الأُمور سريْعُ

وقَتْلاكُمُ في النّارِ أفضَلُ رِزْقِهِم ... حَمِيْمٌ معاً في جوْفِها وضريعُ[٣]

وفي هذا المعنى يقول كعب بن مالك في مآل شهداء المسلمين وقتلى المشركين[٤]:

وقتلاهُمُ في جِنانِ النَّعِيْمِ ... كِرامُ المَداخِلِ والمَخْرَجِ

أولئِكَ لا مَنْ ثَوَى مِنْكُمُ ... مِنَ النّارِ في الدَّرَكِ المُرْتَجِ

أما الجنة التي وُعِدَ الشهداء والمجاهدون فقد تغنى الشعراء بأوصافها بما فيها من الخير العميم وجاء كل ذلك انعكاساً لما وصفت به الجنة في القرآن الكريم، وفيما يلي بعضٌ من أوصاف الجنة:

{تلك الجَنَّةُ التي أورثتموها بِمَا كُنْتُم تَعْمَلُون، لَكُمْ فِيْها فَاكِهَةٌ كَثِيْرَةٌ مِنْها تأكُلُون}[٥].

{لا يَمَسُّهُمْ فِيْها نَصَبٌ وما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِين}[٦].

{ولَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيْها بُكْرَةً وعَشِيًّا}[٧].

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص١٩٦.

(٢) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٣١٥.

(٣) الضريع: نبات أخضر يرميه البحر.

(٤) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص١٨٧.

(٥) الزخرف: ٧٢.

(٦) الحجر: ٤٨.

(٧) مريم: ٦٢.

{حُورٌ مَقْصُوراتٌ في الخيام}[١].

{قُطُوفُها دانِيَة}[٢].

{وظِلٍّ مَمْدود، وماءٌ مَسْكُوب، وفاكِهَةٌ كَثِيْرة، لا مَقْطُوعَةٌ ولا ممْنُوعة}[٣].

{فيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِن وأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّر طَعْمُهُ وأَنْهارٌ من خَمْرٍ لذة للشَّاربين وأَنْهارٌ مِنْ عسلٍ مُصفًى}[٤].

{يُطَافُ عليْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وأَكْوابٍ وَفِيْها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ، وتلذّ الأَعْيُنْ وأَنْتُمْ فِيها خالِدُون}[٥].

وكذلك جاء في الشعر بعض من هذه الأوصاف وكان ذلك في حديث الشعراء عن الأبطال والشهداء. فهذا كعب بن مالك يجيب ضرار بن الخطاب في يوم الخندق[٦]:

فإمّا تَقْتُلُوا سَعْداً سِفَاهاً ... فإنَّ اللهَ خَيْرُ القَادِرِيْنا

سَيُدْخله جِناناً طيباتٍ ... تَكُونُ مقامةً للصَّالِحِيْنا

وفي رثاء حمزة يقول حسان بن ثابت[٧]:

فَطَاعَنَ حَتَّى ماتَ غَيْرَ مُوَسَّدٍ ... بِمُعْتَرَكٍ فِيْهِ القَنَاً يَتَكَسَّرُ

فَصَارَ مَعَ المُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابُهُ ... جِنانٌ ومُلْتَفُّ الحدائِقِ أَخْضَرُ

وفي رثاء خُبيب يقول حسان بن ثابت[٨]:

فاذْهَبْ خُبَيْبُ جَزاكَ اللهُ طَيِّبَةً ... وجَنَّةَ الخُلْدِ عِنْدَ الحُوْرِ في الرُّفُقِ

---

(١) الرحمن: ٧٢.

(٢) الحاقة: ٢٣.

(٣) الواقعة: ٣٠.

(٤) محمد: ١٥.

(٥) الزخرف: ٧١.

(٦) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٨٠.

(٧) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٢٣٦.

(٨) **المرجع ذاته**، ص٣٤٦.

وهذا أحد المسلمين الذين شهدوا مؤتة يُحدِّثُ عن بطولة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في تلك المعركة فيقول[١]: "والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقَرها، ثم قاتل حتى قتل وهو يقول:

يا حبَّذا الجنةُ واقترابُها طَيِّبةً وباردا شرابُها

ويحث أحد الصحابة رضوان الله عليهم المسلمين في معركة خيبر على الجهاد وطلب الشهادة للفوز بالجنة ذات النعيم المُعْجِبْ، فيقول هذا الصحابي وهو ناجية بن جُنْدب الأسلمي[٢]:

يا عِبَادَ الله فِيْمَا نَرغَبْ ما هُو إلاَ مأْكَلٌ ومشْرَبْ

وجَنَّةٌ فِيها نَعِيمٌ مُعْجِبْ

ونعيم الجنة ليس معجب فحسب بل هو دائم لا يزول، وقد جاء ذلك في وصف الجنة على لسان كعب بن مالك في رثائه حمزة بن عبد المطلب حيث يقول[٣]:

أبا يَعْلى، لكَ الأرْكَانُ هُدَّت وأنْتَ الماجِدُ البرُّ الوصُولُ

عَلَيْكَ سلامُ ربِّكَ في جِنانٍ مُخالِطُها نَعِيْمٌ لا يَزُولُ

١- نصر الله للمسلمين:

يتضح مما سبق ذكره أن مفهوم البطولة في العهد النبوي قد تغير تغيراً كاملاً بل أصبحت له معايير جديدة لم تكن موجودة من قبل ابتداءً من السبب والدافع الذي يثير بطولة الأبطال وحماسة الشجعان وانتهاءً بالغاية المتوخاة من أية معركة أو غزوة يخوض غمارها الأبطال وهم يعلمون أن هذه الحرب قد تكلفهم الكثير بل إنها ربما أودت بحياتهم.

ومن الطبيعي أن مفهوم البطولة كان يجب أن ينتهي عند الثواب والجزاء الذي أُعدّ للمجاهدين والشهداء وهو إما النصر والغنائم في الدنيا وإما الشهادة والفوز بالجنة في الآخرة. ولكن هناك بعداً جديداً أضافه الإسلام إلى مفهوم البطولة وإلى عملية الجهاد والقتال وهو بعد نفسي ومعنوي في الأصل، ولكنه يصل إلى درجة الحقيقة واليقين لدى المجاهدين الذين آمنوا بهذا الدين، بل ويعتمدون عليه اعتماداً حقيقياً في حسم أُمور المعارك، ولكن بعد أن يقوموا بالاستعداد المادي الذي يتطلبه دخول المعركة في تجهيز الأفراد والجيوش، وهذا الأمر هو

---

(١) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص٢٠.

(٢) **المغازي**، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص٧٠١.

(٣) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٧٢.

التدخل الرباني والإرادة الإلهية في نصر المقاتلين والمجاهدين في سبيل الله، وهذا أمر بينه القرآن الكريم في أكثر من آية من آياته ومنها:

{يا أيُّها الّذين آمنوا إنْ تَنْصُروا الله ينْصُركُم ويُثَبِّت أقدامكُم}(١).

{إنْ ينْصُرْكُم اللهُ فلا غَالِب لَكُمْ وإنْ يَخْذلكُم فمن ذا الّذي ينْصُركُم من بعده}(٢).

{ولَيَنْصُرنَّ اللهُ منْ ينْصُره إنَّ الله لَقَوِيٌّ عزيز}(٣).

{قَاتِلُوهُم يعذِّبْهُمُ اللهُ بأيْديكُم ويَخْزهم وينْصُركُم عَلَيْهِم ويشْفِ صُدُور قَوْمٍ مُؤْمِنين}(٤).

ولعل هذا الأمر هو أهم ما طرأ على مفهوم البطولة من تغيير وهو أن الله سبحانه وتعالى ربط حسم أمور المعارك ونتائجها بإرادته هو فقط، {ولنْ تُغْنِي عنْكُم فِئَتُكُمْ شَيْئاً ولَوْ كَثُرت وأنَّ الله مع المُؤْمِنين}(٥). ونتيجة لهذه الإرادة في حسم أمر معركة ما فإنه تعالى قد يكون له فعل الفاعل المشارك في مجريات المعركة، {فَلَمْ تَقْتُلُوهُم ولكِنَّ اللهَ قَتَلَهُم وما رَمَيْتَ إذْ رميْتَ ولَكِنَّ اللهَ رَمى}(٦). أو أنه تعالى يَمُدُّ هؤلاء المجاهدين ويعينهم بجنود من عنده وهم الملائكة وهذا ما سيتناوله الجزء الأخير من هذا الفصل بعد أن ننتهي من استعراض شعر البطولة لكي نتبين كيف أن الشعر العربي في هذه المرحلة استوعب حقيقية التدخل الإلهي في حسم أمور المعارك وأن النصر أمر من عند الله يهبه لهؤلاء الأبطال المجاهدين الذين وعوا المفهوم الجديد للبطولة وآمنوا به ضمن عقيدة شمولية في الدنيا وفي الآخرة.

فقد جاء في طبقات ابن سعد أن عامر بن الأكوع -وكان من الصحابة الشعراء- أخذ يرتجز يوم خيبر ويقول(٧):

لاهُمَّ لولا أنتَ ما اهْتَدَيْنا ... ولا تَصَدَّقْنا ولا صَلَّيْنا

فألْقِيَنْ سكِينةً علَيْنا ... وثَبِّتْ الأقْدام إنْ لاقَيْنا

إنّا إذا صِيْحَ بِنا أتَيْنا ... وبالصِّياحِ عَوّلوا علَيْنا

---

(١) محمد: ٧.

(٢) آل عمران: ١٦٠.

(٣) الحج: ٣٩.

(٤) التوبة: ١٤.

(٥) الأنفال: ١٩.

(٦) الأنفال: ١٨.

(٧) **الطبقات الكبرى**، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص٣٠٣.

وذلك إيماناً من هذا المقاتل بأن الأمر مرده كله إلى الله تعالى. وهذا كعب بن مالك يقول في قصيدة قالها في وقعة الأحزاب بعد أن يتحدث عن جيش المسلمين واستعدادهم[١]:

ويُعِيْنُنا اللهُ العَزِيزُ بِقُوَّةٍ ... مِنْهُ، وصِدقِ الصَّبْرِ ساعةَ نَلْتَقِي

ونُطِيعُ أمرَ نبيِّنا ونُجِيبُه ... وإذا دعا لِكَرِيهةٍ لَمْ نُسْبَقِ

فبِذاكَ يَنْصُرُنا ويُظهِرُ عِزَّنا ... ويُصِيْبُنا مِن نَيْلِ ذاك بِمِرْفَقِ

أما حديث الشعراء عن نصر الله للمجاهدين فقد جاء منه الكثير في شعر هذه الفترة، فهذا حسان بن ثابت يقول في بدر[٢]:

فما نَخْشَى بِحَوْلِ اللهِ قَوْماً ... وإنْ كَثُرُوا وأُجْمِعَتِ الزُّحُوفُ

إذا ما ألَّبُوا جَمْعاً علينا ... كفانا حَدَّهم ربٌّ رءُوفُ

سَمَوْنا يَوْمَ بَدْرٍ بالعوالي ... سِراعاً ما تُضَعْضِعُنا الحُتُوفُ

وفي بدر يقول حسان بن ثابت أيضاً[٣]:

عَرَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بالكَثِيْبِ ... كَخَطِّ الوَحْيِ في الورقِ القَشِيْبِ

فَدَعْ عَنْكَ التَذَكُّرَ كُلَّ يَوْمٍ ... وَرُدَّ حَزَازَةَ القَلْبِ الكَئِيبِ[٤]

وخَبِّر بالّذي لا عَيْبَ فِيْهِ ... بِصِدْقٍ غير إخْبارِ الكَذُوْبِ

بما صَنَعَ المَلِيْكُ غَدَاةَ بَدْرٍ ... لَنَا في المُشْرِكِيْنَ مِن النَّصِيْبِ

وفي غزوة الخندق يتجلى التدخل الإلهي في نصر المسلمين دونما حدوث قتال أو نزال مع المشركين، ويبين ذلك حسان بن ثابت متحدثاً عن جيش الأعداء حيث يقول[٥]:

حتَّى إذا وَرَدُوا المَدِيْنَةَ وارتَجَوا ... قَتْلَ الرَّسُولِ ومَغْنَمَ الأسْلابِ

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ٢٤٧.

(٢) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص٢٣.

(٣) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص ٧٠.

(٤) الحزازة: ما حز في القلب وأوجعه من غيظ ونحوه.

(٥) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص٢٧٠.

وغَـدوا علينـا قـادرين بأيْدِهـــــم ... رُدُّوا بغَيْظِـهِمْ علـــى الأعقـــاب

بِـهُبوبِ مُعْصِفَـةٍ تُفَـرِّقُ جَمْعَهُـــم ... وجنـودِ ربِّـك سـيِّد الأربـــاب

فَكَفَـى الإلـه المؤمنيـن قِتَالَهُـــم ... وأثابَـهُمْ فـي الأجْـرِ خَـيْرَ ثَـواب

مِنْ بعْـدِ مـا قَنَطـوا فَفَـرَّقَ جمْعَـهُم ... تَـنزيلُ نَصْـرِ مليكِنـا الوهَّـاب

وأقَـرَّ عَيْـنَ مُحَمَّـدٍ وصِحَابِـــهِ ... وأذلَّ كُـلَّ مُكَـذِّبٍ مُرْتَـاب

بل إن كعب بن مالك يستبشر بنصر الله للمسلمين في فتح مكة حيث يخاطب الكفار إثر معركة بدر فيقول[١]:

لَعَمْـرِ أبيكُمـا يـابْنَي لُـؤيٍّ ... علـى زهْـوٍ لَديْكُـم وانتِخـاءِ[٢]

فمـا ظَفِـرَتْ فَوارِسُـكُم بِبَـدْرٍ ... ومـا رَجعـوا إلَيْكُـم بالسَّـواءِ

فـلا تَعْجَـل أبـا سُـفيان وارقُـبْ ... جِيـاد الخَيْـل تَطْلُـعْ مِـن كَـداءِ[٣]

بِنَصْـرِ اللهِ رُوْحُ القُـدْسِ فيـها ... وميْكَـالٌ، فَيـا طِيْـب المَـلاءِ[٤]

٦-قتال الملائكة مع المسلمين:

لقد مر بنا في المبحث السابق أن الإسلام أضاف بعداً جديداً في مفهوم البطولةِ، وهو بعد نفسي ومعنوي يصل إلى درجة اليقين في نفوس المجاهدين، وله أثر كبير في حسم الأمور في معاركهم وغزواتهم، وكان هذا البعد يقوم على ركيزتين؛ أولاهما: التدخل الإلهي في حسم الأمور والنتائج، -وقد تناوله المبحث السابق-. وثانيهما: قتال الملائكة مع المسلمين المجاهدين، حيث أوكل الله تعالى إلى الملائكة هذه المهمة، وقد تحقق هذا الأمر في أكثر من موقعة ومعركة، ففي معركة بدر الكبرى يقول الله تعالى: {إذْ تَستَغِيثُونَ رَبَّكُم فاستَجَابَ لَكُمْ أنِّي مُمِدُّكُمْ بألْفٍ مِنَ الملائكَةِ مُرْدِفِين * وما جعَلَهُ اللهُ إلا بُشْرى ولِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُم وما النَّصْرُ إلا مِنْ عِنْدِ اللهِ إنَّ اللهَ عزيزٌ حَكِيم * إذْ يُوْحِي رَبُّكَ إلى الملائكَةِ أنِّي مَعَكُم فَثَبِّتُوا الَّذين آمَنُوا سأُلْقِي فـي

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سبق، ص ١٦٩.

(٢) الانتخاء: الإعجاب والتكبر.

(٣) كداء: موضع بمكة.

(٤) الملاء: أراد الملأ، وهم أشراف القوم وسادتهم.

قُلُوبِ الذِيْنَ كَفَروا الرُّعْبَ فاضْرِبوا فَوْقَ الأعْنَاقِ واضْرِبُوا مِنْهُم كُلَّ بَنَان}[١]. ومن ذلك أيضاً ما كان في معركة حنين حيث يقول الله تعالى: {لَقَدْ نَصرَكُمْ اللهُ في مواطن كثيرة ويوْم حُنَيْن إذ أعْجَبَتْكُم كَثْرَتُكُم فَلَمْ تُغْنِ عنْكُمْ شيئاً وضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأرْضُ بما رَحُبَت ثُمَّ وَلَيْتُم مُدْبِرِيْن * ثُمَّ أنْزَلَ اللهُ سَكِيْنَتَهُ على رَسُولِهِ وعلى المُؤمِنين وأنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وعذّب الذين كَفَرُوا وذلك جَزَاءُ الكافِرين}[٢]. وفي سورة آل عمران يقول الله تعالى: {إذْ تَقُولُ للمُؤمِنين ألَنْ يكْفيكُمْ أنْ يُمِدَّكُمْ ربُّكُمْ بِثلاثةِ آلافٍ مِن الملائكَةِ مُنْزَلِين}[٣].

ولن ندخل في مناقشة طبيعة مشاركة الملائكة في القتال وماهيتها، على أن هذا الأمر كان عند المقاتلين على أنه أمر واقع يأخذ طبيعة الفعل الواقع المؤثر في سير المعركة ونتيجتها. وبالرغم مما لهذا الأمر من دلالة العون والمساعدة في القتال والتي تكون خارجة عن نطاق طبيعة جنس المتقاتلين وهو أمر يكون له وقع كبير بين بني البشر، فبالرغم من كل ذلك إلا أن المجاهدين المسلمين رضوا بهذا التدخل الملائكي، بل وفخروا به أيضاً معتبرين ذلك ميزة لهم على من سواهم من المقاتلين، وقد جاء ذلك في أكثر من موضع من شعر الجهاد في هذه الفترة حيث ترى في هذا الشعر اعترافاً بيّناً بأن الملائكة تقاتل مع المسلمين ولها أثر واضح في حسم المعركة لصالحهم معتبرين قتال الملائكة معهم عاملاً في النصر الذي تم إحرازه.

على أنه من نافلة القول الإشارة إلى أن المسلمين لم يدخلوا معركة وفي حسبانهم أن معهم أعداداً من الملائكة تقاتل وكأنهم جزء من الجيش يأخذ حيزاً أو موقعاً داخل صفوفهم، ذلك أن إشارتهم إلى أثر الملائكة معهم تكون بعد انتهاء المعركة وبعد أن يخبرهم الله تعالى في آياته بتدخل الملائكة وقتالهم معهم، ومن ذلك ما كان في معركة بدر الكبرى ومعركة حنين مثلاً.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشعر في هذه المرحلة قد ذكر الملائكة بصفة عامة ولكنه كان يخص في تسمية اثنين من الملائكة هما جبرائيل وميكائيل. ومن الشواهد الشعرية التي نسوقها في هذا المقام ما نُسب إلى حمزة بن عبد المطلب رحمه الله في يوم بدر حيث يقول:[٤]

فكانوا غداة البئر ألفاً، وجمعنا ثلاث مئين كالمسدّمةِ الزُّهر[٥]

وفينا جنود الله حين يَمُدُّنا بهم في مقام ثَمَّ مُسْتَوضح الذِّكر

---

(١) الأنفال: ٩-١٢.

(٢) التوبة: ٢٥-٢٦.

(٣) آل عمران: ١٢٤.

(٤) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص٩.

(٥) المُسَدّمة: الفحول من الإبل، والزهر: البيض.

فشد بهم جبريل تحت لوائنا لدى مأزق فيه منايا هوج تجري

وهذا حسان بن ثابت يخاطب قريشاً ولم تأتِ لميعادها مع المسلمين في غزوة بدر الآخرة فيقول:(١)

دعُوا فَلَجات الشام قد حال دُونها جلادٌ كأفواه المخاض الأوارك(٢)

بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقّاً وأيْدِي الملائك

إذا سَلَكَتْ للغورِ من رملِ عالجٍ فقولا لها ليس الطَّريق هنالكِ

وفي معرض رده على عبد الله بن الزبعرى الذي يفخر بعد معركة أحد يذكره حسان بن ثابت ما كان من المسلمين في معركة بدر فيقول:(٣)

ضاق عنا الشِّعبْ إذ نَجْزَعُهُ وملأنا الفَرْطَ منهم والرِّجلْ(٤)

برجالٍ لستُمُ أمثالَهُمْ أيّدُوا جبريل نصراً فَنَزلْ

وعلونا يوم بدرٍ بالتُّقى طاعةِ اللهِ وتصديق الرُّسُل

وفي يوم الفتح يقول حسان بن ثابت أيضاً: (٥)

فإمَّا تُعرِضوا عنَّا اعتمرنا وكان الفتحْ وانكشف الغِطاءْ

وإلا فاصبروا لجلاد يومٍ يعزُّ الله فيه من يشاءْ

وجبريلٌ رسول الله فينا وروح القدسِ ليس له كِفاءْ

وقد جاء في كتاب الاستيعاب عن الصحابي جَنَاب الكلبي الذي أسلم يوم الفتح "أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمعه يقول لرجل رَبْعَةٍ: إن جبرئيل عن يميني وميكائيل عن يساري والملائكة قد أظلّت عسكري، فخُذ في بعض هناتِك، فأطرق الرجل شيئاً، ثم طفق يقول:

---

(١) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص ٣٥١.

(٢) الفلجات: جمع فلج وهو الماء الجاري، المخاض: الحوامل من الإبل. الأوارك: التي ترعى الأراك، وهو الشجر.

(٣) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص ٣٩٥.

(٤) نجزعه: نقطعه، والفرط: ما علا من الأرض، والرجل: جمع رجله وهو المطمئن من الأرض.

(٥) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص ٦١.

يـا ركـن معتَمـدٍ وعصمـةَ لائـذٍ ومـلاذ منتَجـع وجـار مُجـاور

يـا مـن تَخَـيّرهُ الإلـه لخلقِـهِ فَحبـاهُ بـالخلق الزكـي الطـاهر

أنـت النَّبـيُّ وخـير عصبـةِ آدم يا مَـن تجـودُ كفيـض بحـر زاخـر

ميكـالُ مَعْـكَ وجـبرئيل كلاهمـا مَـددٌ لنصـرك مِـن عزيـز قـاهر

قال: قلت من هذا الشاعر؟ فقيل: حسان بن ثابت الأنصاري، فرأيت رسول الله ﷺ يدعو له ويقول له خيراً"[١].

ويجيب كعب بن مالك كُلاًّ من ابن الزبعرى وعمرو بن العاص عن كلمتين افتخرا بهما بيوم أحد مُذَكِّراً ما كان في معركة بدر حيث يقول: [٢]

أبلـغ قريشـاً وخـير القـول أصدقُـهُ والصِّدق عنـد ذوي الألبـاب مقبـولُ

أن قـد قتلنـا بقتلانـا سَـراتكمُ أهـل اللـواء فيمـا يكـثُرُ القيـلُ؟

ويـوم بـدرٍ لقينـاكم لنـا مـددٌ فيـه مـع النصـر ميكـالٌ وجـبريلُ

وختام القول في هذا الفصل أننا نرى أن الدين الإسلامي الجديد، قد أوجد مفـهوماً جديـداً للبطولة، ابتداءً من الدوافع والأسباب التي تكون وراء القتال، وحتى يصل المقاتلون إلى النتيجـة أو الثواب الذي ينالونه من جراء ذلك، وبين هذه وتلك فقد عمل على إيجاد مفاهيم جديدة لم تكـن موجودة من قبل، فأوجد مفهوم الجهاد بدلاً من القتال، ومفهوم الشهيد بدلاً من القتيل، وتعـهد الله سبحانه وتعالى بأن ينصر هؤلاء المجاهدين في سبيله، وأن يعينهم بقتال الملائكة معـهم. وقـد استوعب أبطال المسلمين هذه المعايير الجديدة، وتمثلوها على خير ما يكون ذلـك، فكـان لـهم النصر الذي على أساسه قامت دولة الإسلام وانتشرت الدعوة الإسلامية لتكون دعوة عالمية.

هذا وقد استطاع الشعر العربي أن يواكب هذا التحول -كما مرَّ في هذا الفصـل- وكمـا سنرى في الفصل القادم، حيث سيحدثنا هذا الشعر عن موضوعات البطولة في هذا العهد.

---

(١) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. مرجع سابق، الجزء الأول، ص٢٧٦.

(٢) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

الفصل الثاني
موضوعات شعر البطولة

ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:

١- المبحث الأول: صفات البطل والأبطال.

١- المبحث الثاني: وصف النبي ﷺ.

١- المبحث الثالث: وصف الجيش والمعركة.

١- المبحث الرابع: الخيل والأسلحة.

صفات البطل والأبطال

مرّ بنا في التمهيد لهذا البحث أن أول خاطر ينصرف إليه الذهن عند الحديث عن البطولة إنما هو الشجاعة، شجاعة القلب والجسد في القتال، وقد جاء التعريف اللغوي مدعّماً لهذا الرأي حين عرّف البطل بأنه الشجاع. ومرّ بنا أن البطل النموذج يختلف فعله وسلوكه في كل مجتمع حسب حاجات الأمة في ذلك العصر، فالأمة التي تنطوي حياتها على سلسلة متواصلة من الحروب لا يكاد يظهر فيها من الأبطال إلا الأقوياء الشجعان. ويكاد يخيل إلى الدارس أن الأمة الإسلامية في العهد النبوي في المدينة المنورة إما ذاهبة إلى معركة أو قادمة من معركة استعداداً لأخرى[١]، وذلك لما يتطلبه أمر نشر هذا الدين والدفاع عنه من القتال والجهاد حتى يتم الله نوره على العالمين. وعليه فإن الأبطال الذين تفرض طبيعة المرحلة وجودهم هم أبطال القتال والطعان والجهاد، وإنّ أهمّ صفات أولئك الأبطال ستكون حتماً صفات الشجاعة وحسن البلاء في المعارك والصبر على مقارعة الأبطال والإقدام في ساحات القتال وعدم الخوف من الموت، بل وطلب الموت حباً في الشهادة.

على أن هناك وقفات وملاحظات تفرض نفسها على الدارس لشعر البطولة في هذه المرحلة، أولها أن شعر البطولة لم يتطرق إلى بطولة الأفراد فقط بل وجدنا هناك شعراً يتحدث عن بطولة الجماعة بشكل عام. وثانيها أنه لم نجد شخصية محددة من عامة المسلمين تناولها الشعر على أنها تمثل البطل الرمز لهذه المرحلة، ولتجلية أمر النقطة الأولى فإنه سيتم تناول صفات البطل الفرد بمعزل عن صفات الجماعة. وأما النقطة الثانية فسيتم تناولها بعد الانتهاء من الحديث عن كل هذه الصفات من خلال الشواهد الشعرية التالية، والتي نبدأها بالحديث عن صفات البطل الفرد وأول هذه الصفات صفة الشجاعة.

الشجاعة:

(فالشجاعة من المعاني والمثل العربية القديمة التي كانت في العصر الجاهلي، وكانت في العربي طبعاً وسجية، وليس أدل على شجاعته من أيامه الكثيرة التي خاضها لأنه يرفض الذل والهوان ولا يقبل الضيم... وجاء الإسلام فأقر قيمة الشجاعة مؤكداً عليها مسخراً إياها خدمة

---

(١) ينظر: جملة الغزوات والسرايا والبعوث في العهد النبوي في **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج٤، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

للحق. وبهذا تكون الشجاعة قد خرجت من غايتها الضيقة المحدودة إلى غاية أرحب وأوسع وأسمى)[١].

وعليه، فالشجاعة من المعاني المتطورة في غايتها وهدفها عن الموروث الجاهلي فيها. فانظر إلى قول سعد بن أبي وقاص الذي يتغنى بشجاعته، حيث يقول[٢]:

ألا هل أتى رسولَ اللهِ أنّي ... حميْتُ صحابتي بصُدور نَبْلي

أذودُ بها أوائلَهم ذياداً ... بكلِّ حُزونةٍ وبكلِّ سَهْلِ[٣]

فما يَعْتَدُّ رامٍ في عدوٍّ ... بِسَهْمٍ يا رسولَ الله قَبْلي

صحيح أن سعداً يفخر ويتغنى بشجاعته تلك، ولكنه يريد أن يسجّل موقفاً على قدر كبير من الأهمية بأنه أول من رمى سهماً في سبيل الله في الإسلام، ويُشهدُ رسول الله ﷺ على ذلك. فالشجاعة قديمة متأصلة وموروثة لديهم. والأمثلة الشعرية التي تحكي شجاعة أبطال المسلمين أكثر من أن تحصى، ولكن الجديد فيها الغاية التي أصبحت ترمي إليها الشجاعة.

وهذا أبو دُجانة ﷺ فإنه يأخذ سيف رسول الله بحقه، وحقُّهُ أن يضرب به الكفار حتى ينحني، ويعصب عصابته الحمراء، وكانت تسمى عصابة الموت، ويُبلي بلاءً حسناً في معركة أحد ويأبى إلاّ أن يكون في مقدمة المقاتلين ويقول[٤]:

أنا الذي عاهدني خليلي ... ونحنُ بالسَّفْحِ لدى النَّخيلِ

ألاّ أقوم الدهرَ في الكَيُّول ... أضْربْ بسيفِ اللهِ والرسولِ[٥]

والشجاعة عنوان عريض يستطيع المرء أن يجد فيه أقساماً عدة تتدرج في هذا العنوان ومنه:

---

(١) محمود علي سليم حمدان، **شعر الفخر والحماسة في العصر الإسلامي**، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٦، ص ١١٤.

(٢) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج٣، ص ٢٤٤.

(٣) الحزونة: الوعر من الأرض.

(٤) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج٣، ص ٧٣.

(٥) الكَيُّول: آخر الصفوف في الحرب.

الإقـــــدام: فالإقدام والإقبال على القتال والنزال في ساحات المعـــارك كـــانت صفـــة ظاهرة لدى أبطال المسلمين، وبغض النظر عن النتيجة التي ينتظرها هؤلاء الأبطال. ومن ذلـك موقف الصحابي عاصم بن ثابت في يوم الرجيع الذي يرفض إجارة المشركين له ويُصرّ علـــى قتالهم حيث يقول[١]:

مـــا عِلّتـــي وأنـــا جَلْـــدٌ نابـــــــلْ والقـــوسُ فيـــها وتَـــرٌ عَنابِـــــــلْ[٢]

تَـــزِلُّ عـــن صفْحتـــــها المعابِـــــل المـــوتُ حـــقٌّ والحيـــاةُ باطـــــلْ[٣]

وكـــلُّ مـــا حَـــمَّ الإلـــهُ نـــــــازِلْ بـــالمرْءِ والمـــرءُ إليـــــه آئـــــــلْ

إن لم أُقاتِلْكم فأمّي هابِل

وفي هذا الشعر من المعاني الإسلامية ما يبرر مثل هذا الإقدام، فـــالموت حـــق والحيـــاة باطل، وكل ما حَمَّ الإله نازلُ، فهذا تأثر واضح بالمعاني الإسلامية الجديدة.

وتتضح صفة الإقدام والإقبال على القتال بشجاعة متناهية في هذا الشـــعر الـــذي يقولـــه العباس بن مرداس في أمر الضحّاك بن سفيان، وكان رسول الله ﷺ قد بعث سريّة وأمّر عليـــهم الضحّاك بن سفيان وكان بطلاً يُعدُّ بمائة[٤] فارس. وفيه يقول عباس بن مرداس[٥]:

ثُـــمَّ الذيـــن وفَـــوْا بمـــا عاهدتَهُـــــم جيـــشٌ بعثْـــتَ عليـــــهم الضحّاكـــــا

رَجُـــلاً بِـــهِ ذَرِبُ السِّـــــلاحِ كأنَّـــــهُ لمـــــا تكنَّفـــــهُ العـــدوّ يراكـــــــا

طـــوراً يعـــانِقُ بـــــاليدين وتـــــارةً يفـــري الجمـــاجِمَ صارمـــــاً بتّاكـــا

يغشى بـــــهِ هـــامَ الكُمـــاةِ ولـــو تـــرى مِنْـــهُ الـــذي عـــاينتُ كـــان شِـــــفاكا

ويقول عن نفسه كعب بن مالك وهو يجيب مرحباً اليهودي يوم خيبر[٦]:

---

(١) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج٣، ص ١٧٩. وفيه حديث عن يوم الرجيع.

(٢) النابل: صاحب النبل. عنابل: غليظ شديد.

(٣) المعابل: جمع معبلة، وهو نصل عريض طويل.

(٤) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، مرجع سابق، ج٢، ص ٧٤٢. وفيه ذكر للضحاك.

(٥) **ديوان عباس بن مرداس**، مرجع سابق، ص ٥٩.

(٦) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ١٨٣.

قَـدْ علِمـتْ خيـبرْ أنّـي كَعْـــــبْ وأننـــي متـى تُشَـــبُّ الحـــــرْبْ

ماضٍ علـــى الـهوْلِ جـريءٌ صَلْـبْ معـــي حُسَـامٌ كـالعقيق عضْـــــبْ[١]

بكفِّ مـــاضٍ ليـس فيـه عَتْـــــبُ نَدُكُّكُـم حتـى يـــذِلَّ الصَّـعْـــــبْ

وتتضح صفة الإقدام هذه في المبارزة التي سبقت معركة بدر، وذلك على لسان عبيدة بن الحارث الذي يتحدث عن نفسه وعن رفيقيه، فقد كانوا ثلاثتهم لا يكرهون هذه المبارزة بل أجابوا النداء وكأنهم أسود. ولكن نزالهم وقتالهم هذا كان في الرحمن وفي سبيل هذا الدين وما برحت أقدامهم أرض النزال حتى أوردوا أعداءهم حوض المنايا[٢]:

وما كـــانَ مكروهـاً إلـيَّ قِتالُهـــم غداة دعا الأكْفَاء مـــنْ كـان داعيـا

ولَمْ يَبْـــغِ إذْ سَـالوا النَّبـيَّ سواءنـــا ثلاثَتنا حتـــى حَضرْنـا المناديـــا

لَقِينـاهم كالأُسْـدِ نَخْطِـر بالقَنـــا نُقاتِلُ في الرَّحْمنِ مـــنْ كـان عاصيـا

فمـا برِحَـتْ أقدامُنـا مـن مقامِنـــا ثلاثتنـا حتـى أُزِيـروا المنائيـــا[٣]

الاستعداد الدائم للحرب والقتال:

إن حياة المسلمين في العهد النبوي كانت حافلة بمقارعة المشركين وقتالهم، فهم إما في سرية أو غزوة أو معركة، فما يكادون ينفضون غبار معركة حتى يعودوا إلى أسلحتهم من جديد، وكأنهم في استعداد دائم للحرب والنزال، فهم لا يخلعون عنهم ثياب الحرب أبداً. فهذا الجَحَّاف بنُ حكيم السُّلمي يفخر بشجاعته واستعداده الدائم للحرب فيقول[٤]:

شَـهِدْنَ مَـعَ النَّبـيِّ مُسَوَّمـــاتٍ حُنَيْنـاً وهِـيَ داميـةُ الكِـــلامِ[٥]

وغـزوةَ خـالدٍ شَـهِدَت وجَـــرَّت سـنابكَهُنَّ بـــالبَلَدِ الحَـــرامِ

---

(١) العقيق: شعاع البرق، شبه السيف به.

(٢) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج٣، ص٢٥.

(٣) المنائيا: يريد المنايا.

(٤) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج٤، ص٧٥.

(٥) مُسَوَّمات: الخيل. الكلام: الجراح.

نُعَـــرِّضُ للطِّعَـــانِ إذا اتَّقَيْنَـــــا وُجُوهـــاً لا تُعَـــرَّضُ للَّطَـــــام

ولســتُ بخـــالِعٍ عنِّـــي ثِيابـــــي إذا هـــزّ الكُمـــاةُ ولا أُرامـــــي

ولكنـــي يجُـــولُ المُـــهْرُ تَحْتِـــــي إلـــى العَلَـــواتِ بـــالعضْبِ الحُســـام

عدم الاهتمام بالخسائر:

ولَمْ يكُنْ هؤلاء الأبطالِ الشُّجعان يأبهون بما يحدث لهم أو يفزعون إن حدث لهم مكـــروه، فهذا الوليد بن الوليد بن المغيرة يكلفه النبي عليه السلام بفك أسر اثنين من المسلمين حُبِسا فـــي مكة، فينجز مهمته، وهو في طريق عودته عَثَرَ فَدَمِيَت إصبعُه، فيقول[١]:

هَـــل أنْـــتِ إلا إصْبَـــعٌ دمِيـــتِ وفـــي ســـبيلِ اللهِ مـــا لَقِيْـــتِ

وهذا عبيدة بن الحارث يقول في قطع رجله في مبارزة معركة بدر[٢]:

فإنْ تَقْطَعُـــوا رِجْلـــي فـــإنِّيَ مُسْلِـــمٌ أُرَجِّـــيْ بِـــها عَيْشـــاً مـــن اللهِ دانيـــا

مع الحـــورِ أمثـــالِ التَّمـــاثيلِ أُخْلِصـــت مع الجنَّـــةِ العُليـــا لِمـــنْ كـــان عاليـــا

وبعتُ بـــها عَيْشـــاً تَعَرَّقْـــتُ صَفْـــوَهُ وعالجتُـــه حتـــى فقـــدتُ الأدانيـــا

فهؤلاء الأبطال وإن فقدوا أعضاءهم في ساحات القتال، فإن ذلك يعتبر ثمنـــاً قليـــلاً لمـــا يرجون ثواباً عليه من الله تعالى الذي وعدهم بجنات الخلد وما فيها من نعيم مقيم.

وأكثر من هذا وذاك ما قاله خُبيب بن عدي، حين بلغه أن القومَ قد اجتمعوا لصلبه[٣]:

وقد خَـــيَّرُوني الكُفْـــرَ والمـــوتُ دُونَـــهُ وقَدْ هَمَلَتْ عَيناي مِنْ غَيْرِ مَجْـــزَعِ

وما بي حِـــذارُ المـــوتِ، إنِّـــي لَمَيِّـــتٌ ولكنْ حِذاري جحْم نار مُلَفَّـــــعِ[٤]

فـــواللهِ مـــا أرجُـــو إذا مِـــتُّ مُسْلِمـــاً على أيِّ جنْبٍ كانَ في اللهِ مصْرَعِـــي[٥]

فلســتُ بِمُبْـــدٍ للعَـــدُوِّ تَخَشُّعـــــاً ولا جَزَعاً إني إلـــى اللهِ مَرْجِعِـــــي

---

(١) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج٢، ص١٢٠.

(٢) **المرجع ذاته**، ج٣، ص٢٥.

(٣) **المرجع ذاته**، ج٣، ص١٨٥.

(٤) الجَحْم: المُلتهب، ومنه سُمِّيَت الجحيم. مُلَفَّع: مشتمل عام، تلفع بالثوب: إذا اشتمل به.

(٥) أرجُو: أخاف.

فهذا البطل لم يواجه مصيبة بتر عضو من أعضاء جسمه، بل إنه كان يواجه الموت وانقضاء حياته، ولم يأبه لذلك أو يجزع، وهنا تتجلى الروح والمعاني الإسلامية الجديدة، فقد هانت عليه حياته على أن يعود إلى الكفر ثانية وما خشي الموت ولكنه خشي نار جهنم، فلم يُبد لعدوه تَخَشُّعاً أو تذللاً، فهو يعلم علم اليقين بأن مصيره ومآله إلى الله تعالى.

الصبر:

الصبر من الصفات الإنسانية التي لا تكون وقفاً على أمة أو فئة أو فرد، ويتسع نطاق الصبر ليدخل في كثير من أمور الحياة اليومية للفرد أو الجماعة، والصبر على القتال صفة موروثة لدى أبطال المسلمين، ولكن الإسلام ربط هذه الصفة في هذا المجال بصلب العقيدة الإسلامية، فقد حث الله تعالى المقاتلين على الصبر والثبات في المعارك، حيث يقول: {يا أيُّها الذينَ آمنُوا إذا لَقيتُمْ فِئَةً فاثبُتُوا واذكروا الله كثيراً لَعلَّكُم تُفلِحون * وأطيعوا الله ورسولهُ ولا تنازعُوا فتفشلُوا وتَذهَبَ ريحُكُم واصبِروا إن الله مع الصابرين}(١). وكذلك قوله تعالى: {يا أيُّها الذينَ آمنُوا اصبِرُوا وصابِرُوا ورابِطُوا واتَّقوا اللهَ لعلَّكُم تُفلِحون}(٢).

وقد استوعب المسلمون هذا الأمر الإلهي وعلموا إنما هي إحدى الحسنيين؛ النصر أو الشهادة، فكان صبرهم في ساحات القتال ليس سجيّة من سجايا الأبطال فقط، بل كان أيضاً تمثلاً لهذا الأمر الإلهي، وعليه فقد كانوا يستلهمون هذا الصبر من الله تعالى، لأن صبرهم كان في الله أولاً.

فهذا خبيب بن عدي يواجه محنته التي تعرض لها بالصبر، مبيناً بأن الله تعالى صبّره على ذلك، حيث يقول(٣):

وقد جَمّعوا أبناءهُم ونِساءهُم ... وقُرِّبْتُ مِنْ جِذْعٍ طَويلٍ مُمنَّعِ

إلى اللهِ أشكو غُرْبَتي ثُمَّ كُرْبَتي ... وما أرْصَدَ الأحزابُ لي عند مصْرَعي

فذا العرشِ، صبِّرني على ما يُرادُ بي ... فقد بَضَّعُوا لَحْمي وقد ياس مَطْمَعِي

وهذا عُمير بن الحُمام رحمه الله قبل أن يستشهد في معركة بدر ينشد شعراً بطولياً يبين فيه صبره على الجهاد في سبيل الله ويقول(٤):

---

(١) سورة الأنفال، اية ٤٥-٤٦.

(٢) سورة آل عمران، آية ٢٠٠.

(٣) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج٣، ص١٨٥.

(٤) **البداية والنهاية**، مرجع سابق، ج٤، ص٢٧٧.

ركْضـــا إلـــى الله بغَيْـــــر زاد إلاّ التُّقـــــى وعمـــــل المعـــــاد

والصـبرُ فـي الله علـــى الجـــهاد وكـــــلُّ زاد عُرْضـــــة النَّفـــــاد

غيرِ التُّقى والبِرِّ والرَّشادِ

ويبين حسان بن ثابت أن صفة الصبر كانت من أهم صفات البطل نافع بـن بُديـل الـذي استشهد يوم بئر معونة، فيقول[١]:

رَحِـم اللهُ نـافِعَ بْـــن بُدَيْـــــلٍ رَحْمَـةَ المُشْـتَهِي ثَـــواب الجِـــهاد

صـابِراً صـادِقَ الحَدِيْـــثَ إذا مـــا أكْـثَرَ القَـوْمُ قـال قَـوْل السَّـــداد

طلب الشهادة:

ولعل من أهم صفات الأبطال في هذه المرحلة إقبالهم على الموت طلباً للشـــهادة، وكـأن الشهادة هي الغاية التي يسعون إليها وينشدونها وتهون لديهم الأرواح عندهـــا، وهـم يفضلـون الموت على العودة، والسلامة كانت لديهم في أن يمضوا في طريق الشهادة لا أن يعـودوا إلـى أهلهم وديارهم، ولعل من أبرز الشعراء الذين نظموا هذه الصفة شعراً، الشـهيد عبـد الله بـن رواحة وفي أكثر من مقطوعة شعرية، حيث قال عندما خرج إلى معركة مؤتة وقد خرج النـاس لتوديعهم، ودَعوا لهم بالسلامة[٢]:

لكنَّنـي أسـألُ الرَّحْمـن مَغْفِـــرَةً وضَرْبَـةً ذات فَـرْغٍ تَقْـذِفُ الزَّبَـدا[٣]

أو طَعْنَـةً بيـدَيْ حَـرَّانَ مُجْهِـــزَةً بِحَرْبَةٍ تُنْفِـذُ الأحْشَـاءِ والكَبِـــدا

حتَّى يُقَـــالَ إذا مَـرُّوا علـى جَدَثـي: أرْشَدَهُ اللهُ مِـنْ غـازٍ وقَـدْ رَشَـــدا

هذا ما كان يتمناه عبد الله بن رواحة والناس يودعونه في المدينة، وفي الطريق إلى مؤتـة وقبل أن يصل إلى أرض المعركة يخاطب راحلته بهذا الهاجس الذي بداخله والـذي يبيـن فيـه شوقه إلى الاستشهاد، فيقول[٤]:

---

(١) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٢١٨.

(٢) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٤٧.

(٣) الفَرْغ: مخرج الماء من الدلو.

(٤) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٥١.

إذا أدّيْتِنـــي وحملْـــتِ رحْلـــي مسـيرة أربْـــعٍ بعْـــد الحســـاء

فشَـــأْنُكِ أنعُـــمٌ وخَـــلاكِ ذمٌّ ولا أرجِـعْ إلـــى أهلـــيْ ورائـــي

وجـاءَ المســـلمون وغادرونـــي بـأرضِ الشّـامِ مُشْـتهي الثّـواء

وردّكِ كـــلُّ ذي نَسَـــبٍ قَرِيْـــبٍ إلـى الرّحْمـــنِ مُنْقَطِـــعِ الإخـــاء

هُنـالِكَ لا أُبـاليْ طَلْـــعَ بعْـــلٍ ولا نَخْـــلٍ أسافلُهـــا رواء

وفي ساحة الوغى، وأمام الموت وجهاً لوجه، وقد رأى استشهاد صاحبيه زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب، فكأنه يُحسُّ أن دَخَل نفسهُ شيءٌ من الرَّوْعِ، يقول مقطوعتين يستَنْزِلُ نَفْسَهُ بهما ويستحثها على الإقدام وطلب الشهادة واغتنام هذه الفرصة في تحقيق أمنيته، فيقول في المقطوعة الأولى[١]:

أقْسَـمْتُ يـا نَفْـسُ لَتَنْزِلَنَّـهْ طائِعَـةً أوْ لَتُكْرَهِنَّـهْ

إنْ أجْلَـبَ النـاسُ وشَـدُّوا الرَّنَّـه مـاليْ أراكِ تَكْرهيـن الجنَّـهْ[٢]

قـد طالمـا قـدْ كُنـتِ مُطْمَئِنَّـهْ هـلْ أنـتِ إلا نُطْفَـةٌ فـي شَـنَّة[٣]

جعفرُ ما أطْيَبَ رِيْحَ الجَنَّة

ويقول في المقطوعة الثانية[٤]:

يـا نفـسُ إلاّ تُقْتَلـي تَموتِـي هـذا حِمـامُ المـوتِ قَـدْ صليـتِ

إن تَسْـلَمي اليـومَ فلـنْ تفوتـي أو تُبْتَلـي فطالمـا عُوفيـتِ

ومـا تمنَّيْـتِ فَقَـدْ أعطيْـتِ إن تَفْعَلـي فِعْلَـهُما هُديـتِ

وإن تأخَّرْتِ فقد شَقِيْتِ

---

(١) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٥٣.

(٢) الجلَبة: الصياح. الرنّة: صوت فيه ترجيع يشبه البُكاء.

(٣) النطفة: الماء القليل الصافي. الشنة: القربة البالية.

(٤) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٥٤.

وقد عبّر عبد الله بن رواحة في شعره هذا عما كان يجول في نفوس أبطال المسلمين. هؤلاء الأبطال الذين كانوا يخطبون الشهادة ويطلبونها، وطلب الشهادة ونيلها ليس بالأمر الذي تحققه الأماني المغلفة بألفاظ معينة، بل هو أكبر من ذلك بكثير، فهو في المحصلة النهائية استبدال حياة بأخرى، وكأنّ لهذه العملية أسساً ومعاييرَ واجبة الحدوث، ولعل في أبيات عبد الله ابن رواحة السابقة ما يمكن استخلاصه من هذه الأسس. فهو أولاً يسأل الله المغفرة لتَجنبَ عنه كل ما كان في دنياه، ثم يسأله ضربة بيد عدوه تنقله هذه النقلة، وهي نقلة تعني زهده في دنيا يحب تركها وراءه، وترك كل ما فيها من راحلةٍ تعني المال والمتاع وكذلك ترك أهله وبلاده. ويخاطب نفسه -خوفاً من أن يداخلها شيءٌ من حبِّ الدنيا- بأنها إن لم تقبل طائعة على الشهادة فإنه سيجبرها على ذلك، ويُذكِّرها بقضاء الله وحتمية الموت سواء عبر جسر الشهادة، أم عبر جسر الموت الطبيعي، ولكن جسر الشهادة يوصلها إلى تلك الجنة وما فيها من نعيم وهو غاية المنى.

وهذا ضرار بن الأزور يؤكّد كُلّ تلك المعاني حيث أنه يترك لهو الدنيا ويبيع أهله وماله في صفقة مع الله سبحانه وتعالى، ويقول[١]:

خَلَعْتُ القِداحَ وعَزَفَ القِيـ ... ـنِ والخَمْرَ أشْرَبُها والثُّمالا

وكَرِّي المُحَبَّرْ في غَمْرَةٍ ... وَجَهْدِي على المُشْرِكين القِتالا[٢]

وقالتْ جميلة بدَّلْتَنا ... وطرحْتَ أهْلَكَ شَتّى شمالا

فيا ربُّ لا أُغبنَنْ صفْقَتي ... فقدْ بِعْتُ أهلي ومالي بِدالا

فيقول له رسول الله ﷺ: ما غُبِنَتْ صفْقَتُكَ يا ضِرار.

وأكثر من ذلك أن بعضهم كان يصيبه الأسى والحزن إذا ما عاد سالماً من المعركة دون أن ينال الشهادة، ومن ذلك قول شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مؤتة[٣]:

كَفَى حزناً أنّي رَجَعْتُ وجعفرُ ... وزيدٌ وعبدُ الله في رَمْسِ أقْبُرِ

قَضَوا نَحْبَهُمْ لَمّا مَضَوا لِسَبيلِهِم ... وخُلِّفْتُ للبَلْوى مع المُتَغَبِّرِ[٤]

---

(١) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، مرجع سابق، ج٢، ص٧٤٧.

(٢) المحبر: اسم فرسه.

(٣) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج٤، ص٣٠.

(٤) المتَغَبِّر: الباقي.

ثلاثــةُ رهْــطٍ قُدِّمُــوا فَتَقَدَّمــــــــوا ... إلى وردٍ مكْــروهٍ مــن المــوت أحمــر

كانت تلك هي الصفات التي تحلى بها أبطال المسلمين في هذه المرحلـــة كمـــا وضّحـــها الشعر، ولعل كعب بن مالك يوجزها في مقطوعته التي قالها في يوم خيبر من حيث قوة الأبطـال وشجاعتهم وإقدامهم على الموت طلباً للشهادة حيث يقول[١]:

ونحنُ وَرَدْنــا خَيْــبَراً وفروضَــــــهُ ... بِكلِّ فَتَىً عــاري الأشــاجعِ مِــذْودِ[٢]

جواد لدى الغايات لا واهِــنِ القــوى ... جريء على الأعداءِ فــي كُــلِّ مشْــهدِ

عَظيم رماد القِدر فــي كــل شَتْــوةٍ ... ضَروبٍ بِنَصْلِ المشْــرفيِّ المُهنَّــدِ

يرى القتلَ مَدحــاً إن أصــابَ شــهادةً ... منَ اللهِ يَرْجوهــا وفــوزاً بأحْمَــدِ

وعليه وسواء أكان من خلال المقطوعة الأخيرة أم من خلال الشواهد الشـــعرية الســـابقة، فإنّ تلك الصفات التي وردت تمثل ملامح صورة البطل المسلم بشكل عام ولكن علـــى مســـتوى الفرد الواحد.

أما الحديث عن صفات الجماعة المسلمة، فإن صفات البطولة كلها تجدها في ثنايا الشـــعر الذي قيل في هذه المرحلة، ولا يكاد شعر قيل عقب معركة أو غزوة يخلو مـــن الحديـــث عـــن الجماعة وصفاتها البطولية من شجاعة وإقدام وحسن بلاء ومقدرة فائقة على مقارعـــة الأقـــران وغيرها من الصفات الأخرى والتي يرد بعضها في هذه الأبيات المختارة من قصيدة حسان بـــن ثابت يجيب فيها الزِّبْرقان بن بدر في عام الوفود[٣]:

قَوْمٌ إذا حـــاربُوا ضَـــرُّوا عَدوَّهُـــــمْ ... أو حاوَلُوا النَّفْعَ في أشـــياعِهِم نَفعُـــوا

سجيَّةٌ تلكَ مِنْـــهُمْ غـــيرُ مُحْدَثَـــــةٍ ... إنَّ الخلائِقَ فاعْلَم شَـــرُّها البِـــــدَعُ

فأبطال المسلمين –وفي الوقت الذي يحمون فيه أنصارهم وأشياعهم– فإنهم إذا ما حـــاربوا عدواً لهم يهزمون هذا العدو وينتصرون عليه، وهذه عادتهم وديدنهم في الحروب والمعارك.

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص١٩٦.

(٢) الفروض: المواضع التي يُشرب منها من الأنهار. الأشاجع: جمع، والأشجع هو العصب الممـــدود فـــوق السلامي من بين الرسغ إلى أصول الأصابع فوق ظهر الكف. وعاري الأشاجع: من أشاجعه عارية اللحم غـــير غليظة لممارسته الحروب. ومذود: شديد البأس في القتال.

(٣) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٣٠٤.

ومن صفاتهم أيضاً أنهم لا يأبهون بنتائج المعارك التي يخوضونها، ذلك أنهم يدركون أن النتائج مردها إلى الله تعالى، فهم يترفعون فوق نتائج المعركة إذا نالت منهم مخالبها وكانت نتيجة المعركة عليهم وليس لهم، في حين أنَ غيرهم يصيبهم الذُلُ والهوان إذا ما دارت عليهم نتائج المعارك. وأكثر من ذلك فإن أبطال المسلمين لا يفخرون إذا ما انتصروا في معاركهم كما أنهم لا يجزعون إن نالت الحرب منهم:

نسْمُوا إذا الحربُ نالَتْنا مخالِبُها ... إذا الزّعانِفُ مِنْ أظْفارِها خَشَعُوا[١]

فلا فَخْرَ إنْ هُمْ أصابُوا مِنْ عَدُوِّهِم ... وإنْ أُصيبُوا فلا خُورٌ ولا جَزَعُ

وإذا ما اشتدت المعارك وحمي الوطيس، واقترب الموت من الرجال تراهم أسوداً لا تلين عزيمتهم أو تضعف همتهم:

كأنَّهُمْ في الوغى والموتُ مُكْتَنِعٌ ... أُسْدٌ ببيشَةَ في أرساغِها فَدَعُ[٢]

أكْرِمْ بِقَوْمٍ رسولَ اللهِ شيعتُهُمْ ... إذا تَفرَّقَتِ الأهواءُ والشِّيَعُ

ويتكرر تشبيه الشاعر لهؤلاء الأبطال بالأسود في شجاعتهم وقوتهم وإقدامهم، حتى وهم يقاتلون عدوهم في عقر داره؛ حيث يقول حسان بن ثابت عن هؤلاء الأبطال الذين قَتَلوا ابن أبي الحُقَيق وكعب بن الأشرف[٣]:

للهِ دَرُّ عِصابَةٍ لاقيتَهُمْ ... يا ابْنَ الحُقَيْقِ وأنْتَ يا ابنَ الأشْرَفِ

يَسْرُوْنَ بالبيض الرِّقاقِ إليْكُمْ ... مَرَحاً كأُسْدٍ في عَرِينٍ مُغْرِفِ[٤]

حتَّى أتَوْكُم في مَحَلِّ بلادِكُم ... فَسقَوْكُمُ حَتْفاً ببيضٍ ذُفَّفِ[٥]

مُسْتَبْصِرينَ لِنَصْرِ دِيْنِ نَبِيِّهِمْ ... مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أمْرٍ مُجْحِفِ[٦]

---

(١) الزعانف من الناس: أسفلهم ومن لا خير فيهم.

(٢) الموت مكتنع: قريب. وبيشة: موضع تنسب إليه الأسود. والفَدع: عوج وميل في المفاصل.

(٣) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٣٢٩، وفيه ذكر عن هذين الرجلين.

(٤) الغريف: الأجمة.

(٥) بيض ذفّف: سيوف سريعة القتل.

(٦) مُجْحِف: أي ذاهب بالنُفُوس والأموال.

ويتحدث كعب بن مالك عن شجاعة أبطال المسلمين مبيناً أن هذه الشجاعة التي تتجلى في ساحات المعارك إنما ورثوها كابراً عن كابر، وإن كان في هذا فخرٌ بأجدادهم من غير المسلمين، ولكنه فخر محمود في هذا المقام لبعث الخوف والرعب في نفوس المشركين. وهذه الشجاعة والمقدرة الفائقة على القتال ورثوها عن أبطالٍ صناديد، وتحلّوا هم بها أيضاً، وفوق ذلك يعملون على نقلها إلى أبنائهم، فما يهلك جيل من الأبطال إلاّ ويشب جيلٌ جديد، فيقول[١]:

فإنْ كنتَ عن شأنِنا جاهِلاً ... فَسَلْ عَنْهُ ذا العِلْمِ مِمّنْ يَلِينا

بِنا، كَيْفَ نَفْعَل إنْ قلّصَتْ ... عَوَاناً ضَرُوساً عَضُوضاً حجُونا[٢]

أَلَسْنا نَشُدُّ عَلَيها العِصَا ... بَ حتى تَدُرَّ وحتى تَلِينا[٣]

ويومٌ لَهُ وَهَجٌ دائمٌ ... شديد التَّهادُل حامي الأرينا[٤]

شَهِدْنا فكُنّا أُولي بأسِهِ ... وتَحْتَ العَمائة والمُعْلَمِينا[٥]

وعَلَّمَنَا الضربَ آباؤُنا ... وسَوْفَ نُعَلِّمُ أيضاً بنينا

جِلادَ الكُماة، وبَذْلَ التِّلا ... دِ، عن جُلِّ أحْسابنا ما بقينا

إذا مَرَّ قِرْنٌ كَفَى نَسْلُهُ ... وأَوْرَثَهُ بَعْدهُ آخرينا

نَشِيبُ وتَهْلَكُ آباؤنا ... وبينا نُرَبِّي بَنِيْنا فَنِيْنا

ومن صفات الجماعة المسلمة الصبر، وقد صبرت هذه الجماعة عند الشدائد ولعل ما كان في يوم أحد من البلاء والامتحان ما يستدعي مثل هذه الصفة، فهذا كعب بن مالك يتحدث عن هذه الصفة وهو يجيب عمرو بن العاص عقب معركة أحد، فيقول[٦]:

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٧٤.

(٢) قلصت: ارتفعت وانقبضت، كناية عن شدة الحرب. والعوان: الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة. والضروس: الشديدة. والعضوض: الكثرة العض. والحجون: المعوجة الأسنان.

(٣) العِصاب: ما يعصب الضرع.

(٤) الوهج: الحرب، ويروى الرهج: وهو الغبار. والتهادل: الهول والشدة. والأرين: جمع إرن، وهي مستوقد النار.

(٥) العمائة: السحابة. والمعلمون: من يعلمون أنفسهم بعلامة في الحرب يعرفون بها.

(٦) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٤٢.

ألا أبْلِغاً فِهْراً علَـــى نَـأيِ دارِهـــــا وعِنْدهم مِنْ عِلْمنـــا اليـوم مصْـــدقُ

بأنّا غَداةَ السَّـفْحِ مـن بطـنِ يثْـــرِبٍ صبرْنا ورايـــاتُ المنيّـة تَخْفِـــــقُ

صَبَرْنا لَـــهُم والصـبرُ منّـا سَجِيّـــةٌ إذا طارتْ الأبْـــرامُ نَسْـمو ونرْتَـقُ[1]

على عادةٍ تِلْكُـــم جَرَيْنـا بِصَبْرِنـــــا وقِدْماً لَدى الغايـات نَجْـري فَنَسْبِـــقُ

وعن صبر المسلمين في معركة أحد يقول حسان بن ثابت وهـــو يجيـب عبـد الله بـن الزبعرى[2]:

فَدَعْ ذِكْرَ دارٍ بَـــدَّدَتْ بيـن أهْلِهـــا نَوًى فَرَّقَـــتْ بيـنَ الجميْـعِ قَطُـــوعُ

وقُلْ إنْ يَكُـنْ يَـوْمٌ بـأُحْدٍ يَعُـــــدُّهُ سَفيهٌ فـــإنَّ الحَـقَّ سَـوْف يَشِيـــعُ

فَقَدْ صابَرتْ فيـــه بَنُـوا الأوْسِ كُلُّـهُم وكانَ لَـــهُمْ ذِكْـرٌ هُنـاك رفِيـــــعُ

وحامَى بنـــو النَّجَّـارِ فيـه وصـابَرُوا وما كـــانَ مِنْـهُم فـي اللقـاءِ جَـزُوْعُ

ولا نريد الإطالة في إيراد الشواهد الشعرية التي تتحدث عن بطولـة الجماعـة المسـلمة وصفاتها، خاصة وأن ما تم إيراده أجتُهِد فيه أن يكون –ما أمكن– ممثلاً لمعظم الشـــعر الـذي تحدث عن بطولة الجماعة الإسلامية.

وقبل الانتهاء من هذا الجزء من البحث لا بدَّ من العودة إلى الملاحظة التي تفرض نفسـها على الدارس وهي أن شعر البطولة لم يحدد بطلاً بعينه من عامة المسلمين يصلـح لأن يكـون رمزاً للبطولة في هذه المرحلة، بل كان الحديث عن بطولة الفرد –أي فرد– إنما يأتي من واقـع الحدث الذي مرّ به هذا البطل أو ذاك من أبطال المسلمين، مثلما كان الأمر مع حمزة بـن عبـد المطلب أو خُبيب بن عدي أو نافع بن بديل أو قادة معركة مؤتة أو غيرهم. وفي معظم الأحيـان يأتي الحديث عن بطولة هذا البطل بعد أن يكون قد قضى نحبه ويكون هذا الحديث في معـرض الرثاء له.

على أن هذه المرحلة بكل ما فيها من الأحداث الحربية إنما تستدعي –بل تفرض– وجـود بطل رمز لهذه الأمة يخلع عليه الشعر صفات الأبطال ويلبسه ثوب البطولة، ولكن من يكون هـذا البطل؟ أهو شخص رسول الله ﷺ؟ وهل استطاع الشعر أن يتعامل معه وصفـاً ضمـن هـذا المنظور؟ هذا ما سيتم تجليته فيما سيأتي من هذا البحث.

---

(١) الأبرام: اللئام؛ والواحد: برم. وأصله الذي لا يدخل مع القوم في المسير للؤمه. نرتق: نسد ونصلح.

(٢) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٣١٤.

وصف النبي ﷺ

إذا كان قد مضى الحديث عن البطل المسلم وصفاته من وحي الشعر العربي في العهد النبوي، وحيث أن تلك الصفات لم تتجسد في شخصية بطل واحد بمفرده بل كان الشعراء يخلعون صفات البطولة على الأفراد حسب المواقف البطولية التي تتجلى منهم في ساحات المعارك. وحيث أنه لا بد لكل تلك الغزوات والمعارك التي خاضها المسلمون من قائد رمز وبطل شجاع يلتفون حوله ويستمدون منه العزيمة. فقد كان رسول الله ﷺ هذا القائد والبطل رغم أن مهمته في الحياة لم تكن تنحصر في أن يكون قائد فرقة أو سيد جماعة فحسب، بل تتعدى ذلك إلى ما هو أسمى وأعظم، وهي كونه رسولاً يبلغ رسالة ربه إلى الناس كافة، وعلى أتباعه واجب الطاعة والانقياد إلى كل ما يقول ويأمر به.

من هنا جاءت أهمية الحديث عن وصف النبي ﷺ في شعر هذه الفترة، وذلك لتسليط الضوء على هذا الوصف الشعري لهذا النبي القائد البطل. وربما يكون من المستحسن قبل الدخول في وصف النبي من الشعر أن نعرّج إلى وصفه عليه السلام من خلال بعض الآيات القرآنية والتي سنرى بأن الشعراء قد تأثروا بها في وصفهم للنبي ﷺ وفي الحديث عنه.

وأول ما يجب الإشارة إليه هو المهمة الأساسية التي بُعث من أجلها ﷺ والتي بيّنها الله سبحانه وتعالى لرسوله بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيْراً * وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيْراً﴾[١]. ومهمة الرسول هذه لم تكن قصراً على فئة من الناس بل كانت للناس كافة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَةً لِلنَاسِ بَشِيْراً وَنَذِيْراً...﴾[٢]. وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يُقدّم نفسه إلى الناس على هذا الأساس: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُم نَذِيْرٌ مُبِيْنٌ﴾[٣].

وضمن هذا الإطار فرض الله تعالى على من يتبع هذا النبي الطاعة والامتثال لأوامره وتعليماته، بل إنه تعالى قد قرن طاعة الرسول بطاعته. فقد جاء في التنزيل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيْعُوْا اللهَ وَأَطِيْعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُم وَإِنْ تُطِيْعُوْهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ البَلاغُ المُبِيْنُ﴾[٤]. وكذلك قوله تعالى ﴿...وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ وَمَا

---

(١) الأحزاب، ٤٥-٤٦.

(٢) سبأ، ٢٨.

(٣) الحج، ٤٩.

(٤) النور، ٥٤.

نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيْدُ العِقَابِ﴾[١]. بل أكثر من ذلك جاء في القرآن الكريم بأن طاعةَ الرسول طاعةٌ لله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيْظاً﴾[٢]. والآياتُ في هذا المعنى كثيرة وهي منتشرة في الكثير من سور القرآن الكريم تتحدث عن المهمة الأساسية للنبي ﷺ وكيفية تفاعل المسلمين مع هذه المهمة.

على أن هذه المهمة الرئيسة للنبي ﷺ، مهمة الرسول المبلّغ عن ربه، استَوجبَت مهمة أخرى وهي أن يكون قائداً وزعيماً للجماعة الإسلامية التي أُنيطَ بها مهمة نشر الإسلام والدفاع عنه. فكان فرض القتال والجهاد في سبيل الله، وكانت تلك المعارك والغزوات المتعددة والكثيرة نسبة إلى الفترة الزمنية التي وقعت بها. وكان الرسول فيها قائداً عسكرياً ناجحاً ومظفراً، وكان مقاتلاً شجاعاً.

وقد جاء الحديث الرّباني عن النبي ﷺ ضمن إطار مهمته كقائد عسكري وكذلك في وصفه بالقوة والشجاعة الحربية. ففي سورة آل عمران جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ المُؤْمِنِيْنَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ واللهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ﴾[٣]. وفي سورة النساء جاء قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيْلِ اللهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ المُؤمِنِيْنَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا واللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيْلاً﴾[٤]. فهذا خطاب رباني إلى قائد عسكري أكثر منه إلى رسول ونبي. وتتضح هذه المهمة -مهمة القائد العسكري- أكثر في خطاب الله تعالى إلى نبيه ﷺ في سورة الأنفال، حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤْمِنِيْنَ عَلَى القِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُم عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُم مَائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بِأَنَّهُم قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُون * الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُم وَعَلِمَ أَنَّ فِيْكُم ضَعْفاً فَإِنْ يَكُن مِنْكُم مَائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مَائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُم أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ واللهُ مَعَ الصَّابِرِيْنَ﴾[٥]. وأما في مجال وصفه ﷺ بالقوة والشجاعة الحربية، فقد جاء في حديث الله عنه وعن المسلمين قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ والَّذِيْنَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ...﴾[٦].

أما في مجال الحديث عن إنسانيته وصفاته الشخصية ﷺ، فالآيات القرآنية كثيرة ومتعددة ونذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُم وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيْظَ القَلْبِ

---

(١) الحشر، ٧.

(٢) النساء، ٨٠.

(٣) آل عمران، ١٢١.

(٤) النساء، ٨٤.

(٥) الأنفال، ٦٥-٦٦.

(٦) الفتح، ٢٩.

لانْفَضُّوا مِنْ حولِك...﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جاءكُم رسُولٌ منْ أنْفُسكُم عزيزٌ عليْه مـــا عنتُّـــم حَرِيْصٌ علَيْكُم بِالمؤمِنِيْن رؤُوفٌ رحِيْمٌ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿وما أرْسلْناك إلاّ رحْمة لِلعـــالمِيْن﴾[٣]. ويكفيه ﷺ شهادة ربه له بقوله عز وجل: ﴿وإنَّك لَعلَى خُلُق عظِيْم﴾[٤].

وبعد، فإنما ذكرنا ما تقدّم عن النبي ﷺ من وحي القرآن الكريم ليكون مدخـــلاً للحديـــث عنه كرمز وبطل في هذه المرحلة، جمع صفات الأبطال وتجسدت فيه معاني البطولة الإســـلامية، كما استوحاها الشاعر العربي المسلم من هدي القرآن الكريم. وإذا ما دخلنا في ثنايا شعر هـــذه الفترة، فإن الدارس لهذا الشعر سيرى بأنّ الحديث عن النبي ﷺ جاء من خلال ثلاثـــة محـــاور؛ أولها الحديث عنه ﷺ كنبي ورسول له مهمة تبليغ رسالة ربه. وثانيها أنه كـــان يمثـــل القـــائد والزعيم العسكري الذي يلتف حوله الجند ويستمدون منه العزم والإرادة على القتـــال بالإضافـــة إلى أنه كان البطل الشجاع الذي لا يعرف الخوف والجبن طريقاً إلى قلبه. وثالثـــها أنـــه كـــان الإنسان الذي يتمتع بكل الصفات الإنسانية الحميدة والخلق العظيم. على أنه يجب الانتباه إلـــى أن هذا المحور الثالث جاء حديث الشعراء فيه من خلال المقطوعات الشعرية التي كانت تتحدث عن الحرب والقتال أثناء المعارك والغزوات. وكان الوصف الإنساني له ﷺ متلازماً للحديث عـــن بطولته وشجاعته وقيادته، ولم يكن بينهما قاطع. ذلك أن رسول الله ﷺ لم يكن كـــأي قـــائد أو زعيم أو ملك يجلس متربعاً على عرش مملكته، ويدخل عليه المدّاحون بأشعار المديح والثنـــاء؛ فقد كانت حياته في المدينة المنورة مليئة بالغزوات والمعارك لنشر الدين والدفاع عنه. بـــل إن حديث الشعراء عن صفاته الإنسانية وأخلاقه الحميدة يكاد يغلب ويزيـــد علـــى حديثـــهم عنـــه كمحارب ومقاتل، ولعل مردّ ذلك أن المسلمين بشكل عام والشعراء بشـــكل خـــاص كـــانوا قـــد استوعبوا أن مهمة الرسول ﷺ هي بالدرجة الأولى مبشر وهادي ونذير قبل أن يكـــون مقـــاتلاً ومحارباً. ولم يغب عن بالهم ما تتطلبه هذه المهمة من الصفات الإنسانية العالية والخلق العظيـــم حتى يستطيع أن يؤديها. وقد جاء ذلك محاكاة لوصفه ﷺ من القرآن الكريم، كما مرّ آنفاً.

صفات النبوة:

وإذا ما عدنا إلى المحور الأول من هذه المحاور الثلاثة وهو الحديث عن النبي ﷺ بصفتـــه رسولاً، فإننا نجد في هذه الفترة العديد من المقطوعات الشعرية التي تتناوله ﷺ من هذه الناحية.

---

(١) آل عمران، ١٥٩.

(٢) التوبة، ١٢٨.

(٣) الأنبياء، ١٠٧.

(٤) القلم، ٤.

ومنها قول حسان بن ثابت في مدحه ﷺ[١]:

أغَـرُّ عليـه للنُبُـوّةِ خاتَـــــمٌ ... مِن اللهِ مشهودٌ يلـــوح ويُشْهَـــــدْ

وضَمَّ الإلـــهُ اسْـمَ النبـيِّ إلـى اسـمِهِ ... إذا قالَ في الخمسِ المـــؤذِّنُ أشْهَـــدْ

وشقَّ لـــه مـــن اسـمِهِ لِيُجلَّـــــهُ ... فَذُو العرْشِ محمودٌ وهـذا محمّـــــدْ

نبيٌّ أتانـــا بعـد يَـأسٍ وفتـــــرةٍ ... من الرُّسْلِ والأوثانُ فـــي الأرضِ تُعبَـدْ

فأمســـى ســراجاً مستنيراً وهاديـــاً ... يلوحُ كما لاحَ الصقيـلُ المهنّـــــدْ

وأنذرنـــا نـــاراً وبَشَّـــرَ جنَّـــــةً ... وعلَّمنَا الإسلام فـــالله نحمـــــدْ

فالأبيات السابقة تتحدث عن النبي ﷺ من حيث أنه رسولٌ مبعوث من الله وعليـــه خـــاتم النبوة ظاهرٌ واضح للعيان. ثم تتحدث عنه من حيث أن اسمه يمثل نصف أهم ركن من أركـــان الإسلام وهو الشهادتين. وأن الله تعالى قد سماه بهذا الاسم وهو اسمٌ خصّه الله به وشقه له مـــن أسماء الذات الإلهية، وقد جاءهم بعد فترة انقطاع من الرسل تخبط فيها العبـــاد حتـــى أصبحـــوا يعبدون الأوثان من دون الله، فجاءهم هادياً ومنيراً لهم معالم الطريق، وحذرهم النـــار وبشـــرهم بالجنة. فهذا الكلام كلّه ليس فيه حديث إلا عن نبي رسول، وتتكرر مثـــل هـــذه المعـــاني فـــي مقطوعةٍ لعبد الله بن رواحة، حيث يقول[٢]:

وفينـــا رســـولُ اللهِ يتلـــو كتابَـــــهُ ... إذا انشَقَّ معروفٌ من الصُّبْـــحِ ســـاطِعُ

أرانـــا الـــهُدَى بعـــد العَمـــى فَقُلُوبُنـــا ... بهِ مُوقِناتٌ أنَّ ما قـــال واقِـــــعُ

يبيـــتُ يُجـــافِي جَنْبَـــهُ عـــن فِراشِـــهِ ... إذا استُثقِلَتْ بالكـــافرينَ المضاجِـــعُ

فهو نبي يتلو كتاب الله، وقد بين لهم طريق الهداية بعد ما كانوا يتخبطـــون فـــي طريـــق الضلالة، فآمنوا به وصدّقوه، وهو نبي مُتَعبِّدٌ يبيت ليله على ذلك. وهذه الصفات وغيرهـــا مـــن الصفات التي تتحدث عن نبوة النبي ﷺ تتكرر كثيراً في شعر هذه الفترة. ونختم بهذه الأبيـــات

---

(١) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص١٣٤.

(٢) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٦٢.

التي تكرر المعاني السابقة وهي للشاعر عبد الله بن الزبعرى قالها حين أسلم في معرض اعتذاره إلى النبي ﷺ، حيث يقول[١]:

وعليك من عِلْم المليك علامةٌ ... نورٌ أغرُّ وخاتم مختومْ

أعطاك بعد محبةٍ برهانَهُ ... شَرَفاً وبُرهانُ الإلهِ عظيمْ

ولقد شَهِدتُ بأن دينَكَ صادقٌ ... حقٌّ وأنك في العباد جسيمْ

والله يشهد أن أحمدَ مُصْطَفىً ... مُسْتَقبلٌ في الصالحين كريمْ

صفات القيادة:

أما المحور الثاني الذي نجده في شعر هذه الفترة عن النبي ﷺ فهو الحديث عنه كقائد وبطل محارب في المعارك والغزوات التي خاضها ﷺ، ومن الأمثلة الشعرية على ذلك قول كعب بن مالك في غزوة أُحُد[٢]:

سائِلْ قُريشاً غداة السَّفح من أُحُدٍ ... ماذا لَقِينا وما لاقَوْا من الهربِ

كُنّا الأسودَ وكانوا النُّمْرَ إذْ زَحَفُوا ... ما إنْ نراقِب من آلٍ ولا نَسَبِ

فينا الرسولُ شِهابٌ ثم يَتْبعه ... نورٌ مَضيءٌ له فضل على الشُهُبِ

الحقَّ منطِقه والعَدْلَ سيرَتُهُ ... فَمَنْ يُجِبْه إليه يَنْجُ من ثَبَبِ[٣]

نَجْد المُقَدَّمِ، ماضي الهَمِّ، مُعْتَزِمٌ ... حين القلوبُ على رجْفٍ من الرُّعُبِ[٤]

يَمْضي ويَذْمُرنا عن غير مَعْصيةٍ ... كأنه البدرُ لم يُطْبَع على الكذبِ[٥]

ففي هذا الشعر نلمح صفات القائد التي كانت في شخص النبي ﷺ؛ فالحق منطقه ولا يحكم إلا بالعدل، ولا يمكن أن يخسر تابعوه، وتستلزم القيادة أن يكون القائد شجاعاً، وقد كان كذلك، فهو نجد المقدَّم، وذو همة وعزيمة لا تلين حين ترتعد قلوب الأبطال من الخوف، ومن

---

(١) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج٤، ص٦١.

(٢) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص١٧٤.

(٣) الثبب: الخسران.

(٤) نجد المقدم: شجاع.

(٥) يذمرنا: يحضنا ويدفعنا.

صفاته كقائد أيضاً أنه يكون في بداية الركب يحض جنوده ويدفعهم إلى الأمام، وهو صادق معهم لا يكذبهم قط.

وتتكرر مثل هذه الصفات القيادية في شخص النبي ﷺ في الكثير من شعر هذه الفترة، وتتوالى صفات قيادية أخرى جديدة كلما قرأت المزيد من هذا الشعر، ففي أبيات كعب بن مالك التي قالها حين أجمع الرسول ﷺ السير إلى الطائف يقول عنه أنه رئيس صلب مع أنه نقي القلب صابر، وهو يتمتع بالعديد من الصفات القيادية، فهو رشيد الأمر، حكيم، عليم، حليم، فيقول(١):

وأنّا قد أتَيْنَاهُم بزحفٍ ... يُحيطُ بسورِ حِصْنِهم صُفوفا

رئيسهم النبيُّ وكان صلباً ... نقيَّ القلبِ مُصْطَبِراً عزُوفا(٢)

رشيدُ الأمر ذو حُكْمٍ وعلمٍ ... وحِلمٍ لم يكنْ نَزِقاً خفيفا

وانظر إلى صفة الشجاعة والبطولة والإقدام التي تمتع بها النبي القائد أمام جيشه حيث يتقدم هذا الجيش في المعركة ويمضي إلى الهول غير هيّاب إذا ما اشتدت المعركة وارتعدت قلوب الأبطال؛ ويبين ذلك حسان بن ثابت في حديثه عن النبي ﷺ في يوم بدر حيث يقول(٣):

مُسْتَشْعِرِي حَلَقَ الماذِيِّ يَقْدُمُهُمْ ... جَلْدُ النَّحيزَةِ مَاضٍ غيرُ رِعديدِ(٤)

أعْنِي الرَّسولَ فإنَّ اللهَ فَضَّلَهُ ... على البريَّةِ بالتقوى وبالجُودِ

وقد وَرَدْنا ولم نَسْمَعْ لقولِكُمُ ... حتّى شَرِبْنا رواءً غيرَ تَصْدِيدِ(٥)

فينا الرَّسولُ وفينا الحقُّ نَتْبَعُهُ ... حتى الممات ونصرٌ غيرُ محدود

ماضٍ على الهَوْلِ ركّابٌ لِمَا قَطَعُوا ... إذا الكُماةُ تَحَامَوْا في الصَّناديدِ

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٣٦.

(٢) العزوف: المنصرف عن الشيء زاهداً فيه.

(٣) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص١٣٦.

(٤) قوله مستشعري حلق الماذي: يصف جيش المسلمين في غزوة بدر، ويقال استشعرت الثوب إذا لبسته على جسمك من غير حاجز. والشعار: ما ولي الجسم من الثياب، والماذية من الدروع البيضاء، وقيل السهلة اللينة. والماذي: الحديد كله، أي السلاح أجمع. ويقدمهم جلد النحيزة: يريد النبيﷺ يتقدم الجيش. النحيزة: الطبيعة. وجلدها: قويها. والرعديد: الجبان.

(٥) الرِّواء: الماء الكثير العذب. والتصريد: شرب دون الري.

واف وماضٍ شِـــهابٌ يُسـتَضاءُ بِـــهِ بدْرٌ أنَـــار علـــى كُـــلّ الأماجيـــــد

ويوضح كعب بن مالك في الأبيات التالية كيفية التعامل فيما بين الجيش الإســلامي وبيــن قائده النبي ﷺ فهم يشاورونه في أمرهم، وإذا أبدى رأياً أصبح أمراً واجب التنفيذ فلا يُــردُ لــه قول، وهذه هي طاعة الجند لقائدهم. ومن جانبه كقائد كان النبي ﷺ إذا ما التقى جيشه بجيــش الأعداء يعمل على رفع معنويات جنده، يقتلع من نفوسهم الخوف، ويمنيهم ويعدهــم بثــواب الله وجنّاته، فَيُرَغِّبهم في الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، ويدعوهم إلى التوكل على الله في النصــر ولكنْ على أن لا يكون تواكلاً، فعليهم بأخذ الأسباب أولاً[١]:

وفينـــا رســـولُ اللهِ نَتْبَـــع أمْـــــــره إذا قال فينـــا القـــول لا نَتَطلّـــــــعْ[٢]

نُشَـــاوِره فيمـــا نُريـــد وقَصْرُنـــــــا إذا ما اشتهى أنّـــا نُطيـــع ونَسْمـــــعْ[٣]

وقـــال رســـولُ الله لمـــا بَـــدَوْا لنـــــا ذَرُوا عنكم هَـــوْلَ المنيّـــات واطمعُـــوا

وكونـــوا كَمَـــنْ يَشْـــرِ الحيـــاة تَقَرُّبـــاً إلى مَلِكٍ يُحْيـــا لَدَيـــهِ ويُرْجـــــعْ

ولكـــن خُـــذوا أســـيافكم وتوكّلـــــوا علـــى الله إنّ الأمـــرَ لله أجْمـــــعْ

هذا هو رسول الله ﷺ كبطل محارب وقائد مظفر، كما ورد في هذا الشعر. فمــن حيــث هو بطل مقاتل تجده نجد المقدم و جلد النحيزة، شجاع، غير رعديد، ماض علـــى الـــهول حيــن ترتعد القلوب خوفاً، صلباً قوياً مقداماً إذا ما تحامت الكماة في الصناديد. وهو ﷺ كقـــائد تجـــده مُطاعاً في جماعته لا يُردُّ له قولٌ، يدفعُ جماعته إلى الخير والنصر، فهو رشيد الأمـــر ذو حلـــم وعلمٍ وحُكم، يعمل على رفع معنويات جنده ويستثيرهم للقتال والجهاد، ويُذكّرهم بفضل الجـــهاد والاستشهاد في سبيل الله، ويوضّح لهم حقيقة التوكل على الله في المعركة بأن "خـــذوا أســـيافكم وتوكّلوا على الله". وفي نهاية المطاف، فإن النصر من عند الله.

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٢٢.

(٢) لا نتطلع: لا نميل عن قوله.

(٣) قصرنا: غايتنا.

الصفات الإنسانية:

أما الحديث عن الصفات الشخصية للنبي ﷺ، وهو المحور الثالث الذي تناوله شعر هذه المرحلة، فقد جاء وافراً. وأول ما نبدأ به قول الصحابي جَنَاب الكلبي عن النبي ﷺ، حيث يقول(١):

يا ركنَ مُعتَمدٍ وعِصْمَةَ لائذٍ ... ومَلاذ منتجع وجار مُجاور

يا من تخيَّره الإله لَخَلْقِهِ ... فحَبَاهُ بالخُلق الزكيّ الطاهرِ

أنْتَ النبيُّ وخيرُ عُصْبَةِ آدم ... يا مَنْ تجود كفيض بحرٍ زاخرِ

ويقول أنس بن زُنَيْم الدّيلي في رسول الله ﷺ(٢):

أأنتَ الذي تُهدَى مَعَدُّ بأمرِهِ ... بَلِ اللهُ يَهديهم وقال لَكَ اشْهَدِ

فما حملتْ مِن ناقةٍ فوقَ رَحْلِها ... أبَرَّ وأوْفى ذِمَّةً من مُحمّدِ

أحَثَّ على خيرٍ وأوسعَ نائلاً ... إذا راحَ يَهْتَزُّ اهتزاز المُهنّدِ

وأكْسَى لِبُرْدِ الخالِ قبل اجتِذابِهِ ... وأعطَى برأسِ السابق المُتَجرِّدِ(٣)

وهذه بعض من صفاته الشخصية ﷺ كما وردت في أبيات منتقاة من قصيدة رثاء قالها حسان بن ثابت(٤):

فَبُورِكتَ يا قَبْرَ الرَّسولِ وبورِكَتْ ... بلادٌ ثَوَى فيها الرَّشيدُ المُسدَّدُ

لَقَد غيَّبوا حِلْماً وعِلْماً ورَحْمَةً ... عَشِيَّةَ علَّوْهُ الثَّرى لا يُوسَّدُ

عَفُوٌّ عن الزلّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ ... وإنْ يُحْسِنُوا فالله بالخيرِ أجْودُ

عَطُوفٌ عليهم لا يُثَنِّي جناحَه ... إلا كَنَفٍ يَحْنُوا عليهم ويَمْهِدُ(٥)

---

(١) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٦.

(٢) **المغازي**، مرجع سابق، ج٢، ص٧٩٠.

(٣) الخال: ضرب من برود اليمن. السابق: الفرس. المتجرد: الذي يتجرد من الخيل فيسبقها.

(٤) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص١٤٥.

(٥) لا يثني جناحه: لا يصرف عطفه عن أحد. يمهد: يجعل لهم مكاناً.

وما فَقَدَ الماضون مثل مُحمدٍ ولا مثلُهُ حتى القيامةِ يُفْقَدُ

أعفُّ وأوفى ذِمَّةً بعدَ ذِمَّةٍ وأقْرَبُ مِنهُ نائلاً لا يُنَكَّدُ

وأبْذَلُ مِنهُ للطَّريفِ وتالدٍ إذا ضَنَّ مِعْطَاءٌ بما كان يُتْلِدُ[١]

هذه الصفات التي وردت في هذه الأبيات وغيرها كلها تدخل ضمن نطاق الصفات الإنسانية الكثيرة التي كان يتحلى بها النبي ﷺ. وقد لمسها الشعراء في تعامله اليومي مع أصحابه وأتباعه، فجاءت هذه الصفات في شعرهم غيضاً من فيض، فكان عليه الصلاة والسلام كريماً جواداً، يوفي العهد والذمة، يسعى إلى الخير ويحثّ عليه، لا يردّ قاصداً جاءه ولا يرفض طلباً لأحد، يتمتع بالحلم والعلم والرحمة، يعفو عن الزلاّت ويقبل العذر، وغير ذلك من الصفات الإنسانية العالية، بل إنه لم يكن به عيب واحدٌ يشينه أو مأخذٌ لأحدٍ عليه، وفي ذلك يقول حسان ابن ثابت[٢]:

وأحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عيني وأجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدْ النِّسَاءُ

خُلِقْتَ مُبَرَّءاً مِن كُلِّ عَيْبٍ كأنَّكَ قَد خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

ولم يغب عن بال الشعراء ذكر النسب الطيب والحسب الرفيع للنبيﷺ، ومن أمثلة ذلك ما قاله حسان بن ثابت وهو يتحدث عن قومه الأنصار[٣]:

قومي الذين هُمُ آوَوْا نَبِيَّهُم وصَدَّقوهُ وأهلُ الأرضِ كُفَّارُ

إلا خَصائِصَ أقوامٍ هُمُ سَلَفُ للصالحينَ مع الأنصارِ أنْصَارُ

مُسْتَبْشِرِيْنَ بِقِسْمِ اللهِ قَوْلُهُم لمّا أتاهُمْ كريمُ الأصلِ مُختارُ[٤]

أهلاً وسهلاً ففي أمْنٍ وفي سَعَةٍ نِعْمَ النبيُّ ونِعْمَ القِسْمُ والجارُ

وكذلك ما قاله كعب بن مالك من قصيدة قالها إثر معركة بدر[٥]:

---

(١) يتلد: أي يتخذ من مال.

(٢) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٦٦.

(٣) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج٢، ص٣١٨. وهذه القطعة لم ترد في الديوان.

(٤) القسم (بالكسر): الحظ والنصيب.

(٥) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٦٦.

نَبِـيٌّ لَـهُ فـي قومِـهِ إرْثُ عِـزَّةٍ وأعـراقُ صِـدْقٍ هذَّبَتْـها أُرومـها[١]

وهناك مقطوعات شعرية -على قلة عدد أبياتها- قد جمع قائلوها جميع هذه المحاور في الحديث عن النبي ﷺ، ومن ذلك ما قاله مالك بن عوف[٢]:

مـا إنْ رأيـتُ ولا سـمِعتُ بمِثْلِـهِ فـي النَّـاسِ كُلِّـهِمْ بِمِثْـلِ مُحمّـدِ

أوْفـى وأعْطَـى للجزيـلِ إذا اجْتُـدِي ومتى تشأْ يُخْـبِرْكَ عمّـا فـي غَـدِ

وإذا الكَتيبـةُ عـرَّدَتْ أنْيابُهـا بالمشْـرَفِيِّ وضـرْبِ كُـلِّ مُهنَّـدِ[٣]

فكأنَّـهُ لَيْـثٌ علـى أشْبالِـهِ وَسْطَ الـهباءةِ خـادِرٌ فـي مرْصَـدِ[٤]

وكذلك ما قاله مالك بن نَمط الهمداني[٥]:

حَلَفْتُ بِرب الرّاقِصـاتِ إلـى مِنـىً صَوادِرَ بالرُّكْبان من هَضْبِ قَـرْدد[٦]

بأنَّ رسـولَ اللهِ فينـا مُصَـدَّقٌ رسولٌ أتى مِن عندِ ذي العَرشِ مُهْتَدي

فما حَمَلَتْ نَاقـةٌ فَـوقَ رَحْلِهـا أَشَدَّ على أعْدائِهِ مِـنْ مُحمّـدِ

وأعْطى إذا ما طـالِبُ العُـرْفِ جـاءهُ وأمْضَى بحدِّ المشْرَفـيِّ المهنَّـدِ

فنلحظ في هاتين المقطوعتين حديثاً عن النبي ﷺ من حيث هـو رسـول وكذلـك بطـل محارب وقائد عسكري إضافة إلى الحديث عن بعض صفاته الشخصية.

على أنه إذا أردنا أن نخلص من كل ما تقدم من حديث الشعر عن النبي ﷺ فإن هناك عدة وقفات يحسن الوقوف عندها وتناولها ولو بشكل مختصر. وأولها أنه لو أردنا أن نعقد مقارنـة

---

(١) هذَّبتها: أخلصتها. والأروم: جمع أرومة، وهي الأصل.

(٢) **المغازي**، مرجع سابق، ج٣، ص٩٥٦.

(٣) عردت أنيابها: قويت اشتدت.

(٤) الهباءة: الغبار يثور عند اشتداد المعركة. الخادر: الأسد في عرينه، وهو حينئذ أشد ما يكون بأساً خوفاً على أشباله. المرصد: المكان يرقب منه.

(٥) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، مرجع سابق، ج٣، ص١٣٦١.

(٦) الراقصات: الإبل، والرقص ضرب من السير فيه حركة. صوادر: رواجع. والقـردد: مـا ارتفـع مـن الأرض.

بين حديث الشعر عن النبي ﷺ وبين ما تختزنه الذاكرة عن بقية الأفراد الذين أثاروا الشعراء فتحدثوا عنهم وخلدهم الشعر في ديوانه، لوجدنا أن كل واحد من هؤلاء الأفراد قد استفرد بصفحة واحدة من صفحات ديوان الشعر العربي، فبرز هذا على أنه قائد مظفر، وذاك على أنه بطل شجاع، وثالث استحوذ على صفحة الكرم، أو الحلم أو العلم أو العفة أو الوفاء أو حماية الجار والملهوف أو غيرها. ولكن الأمر مختلف مع النبي ﷺ، فقد جمع له الشعر العربي كل هذه الصفات وغيرها، وهذا لم يكن شعر مادح متكسب بل كان شعراً نابعاً من خلال الموقف الذي كان فيه النبي ﷺ سواءٌ أكان هذا الموقف في مجال القيادة والبطولة في المعارك أم في مجال صفاته الشخصية التي تحكي قصة تعامله اليومي مع الآخرين.

والوقفة الثانية التي يحسن الوقوف عندها هي أنه لو جمع هذا الشعر الذي قيل في النبيﷺ في مجال البطولة أو في مجال الصفات الإنسانية لوجدنا أنفسنا أمام شخصية متميزة تبذّ الآخرين وتطوي ذكر كل من خلده الشعر وحكى قصته، فالنبي ﷺ كان يمثل البطولة بمفهومها الجديد وحسب معطيات الدين الجديد، إلا أنه لا الشعر العربي ولا أي من أتباع النبي ﷺ قصر وصفه ضمن هذا الإطار، لما في ذلك من تحجيم واضح لدوره في الحياة وهو أن يكون نبياً رسولاً، وهذا أسمى وأرفع من كل ما يمكن أن يُنْعَتَ به بشر.

وعليه وإذا كنا لا نستطيع أن نحجم دور النبي ﷺ ونضعه ضمن دائرة البطل الرمز لهذه المرحلة، وإذا كنا لم نجد في حديث الشعراء عن بطولة الأفراد من المسلمين حديثاً عن فرد بعينه استطاع أن يرقى إلى مستوى البطل الرمز، وحيث أن إنجازات المسلمين في هذه المرحلة كانت كبيرة جداً في تحقيق الهدف وهو انتشار الإسلام عبر هذه المساحات الشاسعة في الجزيرة العربية، فإن جماعة المسلمين يقودهم النبي ﷺ بكل أفرادها تمثل وحدة البطل الرمز لهذه المرحلة ولعل فيما سيأتي من حديث عن جيش المسلمين في معاركهم التي خاضوها ما يدعّمُ هذا الرأي ويقويه.

وصف الجيش والمعركة

من المعلوم أنه لم يكن للعرب في الجاهلية أو في بداية الدولة الإسلامية جيش نظامي بالمعنى المتعارف عليه عسكرياً لمعنى كلمة الجيش "وقد كان الجيش الإسلامي على عهد النبيﷺ يجري على الأسلوب الذي كان يجري عليه العرب قبل الإسلام من حيث استدعاؤه إلى القتال كلما دعت الحاجة إلى استدعائه. ولهذا لم تكن له معسكرات مخصصة لإقامته بصورة دائمة ولا كان أفراده ينقطعون عن أعمالهم التي يزاولونها من أجل الكسب والعيش"(١).

ولقد جاء دخول جيش المسلمين في المعارك حسب التوجيه الرباني في كتابه العزيز، فقد جاء قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُم ظُلِمُوا وإنَّ اللهَ على نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(٢)، وبعد هذا الإذن بالقتال حدد الله تعالى لهذا الجيش الفئة التي يقاتلها: ﴿وقَاتِلوا المُشْرِكِينَ كافَّةً كما يُقاتِلُونَكُم كافَّةً واعْلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ﴾(٣). وبيّن الله تعالى لهذا الجيش أن يكون صفاً واحداً كالبنيان المرصوص: ﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ الذِينَ يُقاتِلُونَ في سَبِيْلِهِ صفًّا كأنَّهُم بُنْيانٌ مرصُوص﴾(٤)، ودعاهم الله تعالى إلى الصبر والثبات في المعارك: ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنُوا إذا لَقِيْتُم فِئَةً فاثْبُتُوا واذْكُرُوا اللهَ كَثِيْراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾(٥)، بل إنّ عليهم أن يُظْهِروا القوة والغلظة في قتال جيش الأعداء ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذينَ يَلُوْنَكُم مِنَ الكُفَّارِ ولْيَجِدُوا فيكُم غِلْظَةً واعْلَموا أنّ اللهَ مَعَ المُتَّقِين﴾(٦). ولقتال الجيش الإسلامي غايةٌ فإن تحققت فلا قتال ولا عدوان ﴿وقاتِلُوهُم حتَّى لا تكُون فِتْنَةٌ ويكُونَ الدِّينُ للهِ فإنِ انْتَهَوا فلا عُدْوانَ إلاّ على الظَّالمين﴾(٧).

وعلى هذا الأساس خاض الجيش الإسلامي معاركه وغزواته في العهد النبوي وتجلّت بطولاته في هذه المعارك كما بينتها كتب السيرة والمغازي، واستطاع الشعر في العهد النبوي أن يحدثنا عن هذه المعارك وعن الجيش الإسلامي وبطولاته وشجاعة جنده وتضحياتهم وعن أسلحة هذا الجيش وكذلك نجد فيه حديثاً عن جيش الأعداء وما كان يحلّ به من الهزيمة، إضافة إلى

---

(١) محمد خير هيكل، **الجهاد والقتال في السياسة الشرعية**، المجلد الثاني، دار البيارق، بيروت، ١٩٩٣، ص٩٨٩.

(٢) سورة الحج، ٣٩.

(٣) التوبة، ٣٦.

(٤) الصف، ٤.

(٥) الأنفال، ٤٥.

(٦) التوبة، ١٢٣.

(٧) البقرة، ١٩٣.

أمور أخرى سنعرض لها مفصلة إن شاء الله. كل ذلك جاء من خلال المقطوعات والقصائد الشعرية التي قالها شعراء المسلمين.

على أنّ الدارس لشعر هذه الفترة يلحظ بأن معظم هذا الشعر قد جاء على شكل مقطوعات شعرية أكثر منها على شكل قصائد مطولة، وهذا أمر سيتم الوقوف عنده لاحقاً عند دراسة هذا الشعر من الناحية الفنية، وعليه فإنّ الدارس يجدُ صعوبة في إيجاد قصيدة مطولة واحدة من قصائد هذه الفترة تصلح لأن تكون مثالاً يعطي صورة واضحة متكاملة عن كل العناصر التي يحتاجها المرء في دراسة موضوع الجيش والمعركة. ومع هذا فإن الباحث سوف يعتمد على قصيدة لكعب بن مالك ﷺ يرى أنها تحوي معظم هذه العناصر، وهي القصيدة التي قالها يجيب بها هبيرة بن أبي وهب في معركة أحد والتي مطلعها[١]:

ألا هَلْ أتى غَسَّانَ عنَّا ودُونَهُمْ ... مِنَ الأرْضِ خَرْقٌ سَيْرُهُ مُتَتَعْتِعُ[٢]

على أنّه لن نقف عند هذه القصيدة فقط، بل سنطوف بين أرجاء ديوان شعر هذه الفترة لإلقاء الضوء على كل العناصر التي وردت فيه والتي تكون عوناً في إظهار صورة الجيش والمعركة في العهد النبوي.

أما قصيدة كعب بن مالك فإنه أول ما يبدأها يقرر فيها حقيقة تتعلق بالعقيدة الإسلامية، وهي أن هذا الجيش إنما يقاتل في سبيل هذا الدين، فيقول:

مُجالَدُنا عن دِيْنِنا كُلَّ فَخمةٍ ... مُذَرَّبَةٍ فيها القوانِسُ تَلْمَعُ[٣]

وكل صَمُوتٍ في الصِّوانِ كأنَّها ... إذا لُبِستْ نَهْيٌ من الماءِ مُتْرَعُ[٤]

وجيش المسلمين هذا على أتم الاستعداد للقتال في سبيل هذه الغاية وبغض النظر عن قوة الأعداء حتى لو كان أمام جيش مدرب جنوده ويحملون من السلاح أفتكه، ويستشهد لذلك بوقعة بدر، فيقول:

ولكِنْ بِبَدْرٍ سائِلُوا مَنْ لَقِيْتُمُ ... مِنَ النّاسِ والأنْباءُ بالغَيْبِ تَنْفَعُ

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٢٢.

(٢) الخرق: الفلاة الواسعة. متتعنع: مضطرب.

(٣) الفخمة: الكتيبة العظيمة. المذربة: المتعودة للقتال، الماهرة فيه. والقوانس: رؤوس بيض السلاح.

(٤) الصموت: الدرع أحكم نسجها فلا يسمع لها صوت. والصوان: كل ما يُصان فيه الشيء. والنهي: الغدير. ومترع: مملوء.

وإنّا بأرْضِ الخوْفِ لـو كـان أهلُهـا سِوانا لقَد أجْلَوا بليـلٍ فأفْشَعـوا

إذا جاءَ مِنّا راكـبٌ كـان قَوْلُـهُ أعِدُّوا لما يُزْجِي ابنُ حـربٍ ويجْمَـعُ[1]

فَمَهْما يُهِمُّ النـاسَ ممّـا يكِيْدُنـا فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سائرِ النّـاسِ أوْسَـعُ

فَلَوْ غَيْرُنا كـانَتْ جَميعـاً تَكِيْـدُهُ الْـ ـبريّةُ قَدْ أعْطَوا يـداً وتَوزّعُـوا

نُجـالِدُ لا تَبْقـى عَلَيْنـا قَبِيْلَـةٌ مِنَ النّاسِ إلاّ أنْ يـهابوا ويفْظَعُـوا

فعلى أرض معركة بدر -أرض الخوف- صبر جيش المسلمين، ولو كان غيرهم مكانهم لما طلعت عليهم الشمس خوفاً من عدوهم الذي يمتاز بكثرة العدد والعدّة.

وقبل أن يتحدث عن سير المعركة يحدثنا عن قائد جيش المسلمين، وهو رسول الله ﷺ من حيث هو قائد عسكري يقوم بواجب القيادة على أكمل وجه، فيقول:

وفِيْنـا رسـولُ اللهِ نَتْبَـعُ أمْـرَهُ إذا قَالَ فِينـا القَـوْلَ لا نَتَطَلّـعُ

تَدَلّى عَلَيْهِ الـرُّوْحُ مِـنْ عِنْـدِ رَبِّـهِ يُنَزّلُ مِنْ جَـوِّ السّماءِ ويُرْفَـعُ

وقالَ رَسـولُ اللهِ لمّـا بَـدَوْا لنـا ذَرُوا عنكم هَـوْلَ المَنِيّـاتِ واطْمَعُـوا

وكُونوا كَمَـنْ يَشْـرِ الحيـاةَ تَقَرُّبـاً إلى مَلِكٍ يُحْيـا لَديـهِ ويُرْجَـعُ

ولكـنْ خُـذوا أسْـيافَكُم وتَوَكّلُـوا علـى اللهِ إنّ الأمـرَ للهِ أجْمَـعُ

فهذا هو دور قائد جيش المسلمين -والذي له ميزة الاتصال مع السماء بصفته رسولاً- فهو مطاع في جنده، يقوي عزيمتهم ويذكرهم بالشهادة وفضلها، ويدعوهم للتوكل على الله سبحانه ولكن بعد أن يأخذوا حذرهم واستعدادهم. وبعد انتهاء القائد من إلقاء توجيهاته وأوامره تسير كتيبة المسلمين دون خوفٍ من الأعداء وهي تحمل أسلحتها استعداداً للقتال:

فَسِـرْنا إلَيْـهِمْ جَـهْرَةً فـي رِحالِـهِم ضُحَيَّـاً عَلَيْنـا البيـضُ لا نَتَخَشّـعُ

بِمَلْمُومـةٍ فيـها السَّـنَوَّرُ والقَنـا إذا ضَرَبـوا أقْدامَـها لا تَـورّعُ[2]

---

(١) يُزجي: يسوق.

(٢) الملمومة: الكتيبة المجتمعة. والسنور: السلاح. ولا تورع: لا تكف.

أما جيش الأعداء فكان ضخماً كثير العدد في حين كان جيش المسلمين يقل كثيرا عنه:

فَجِئنا إلى مَوْجٍ مِنَ البحْرِ وسْطه أحابيشُ منهم حاسِرٌ ومُقَنَّعُ[١]

ثلاثةُ آلافٍ ونحن نَصيَّةٌ ثلاثُ مئين إن كَثُرنا وأربعُ[٢]

وتبدأ المعركة، ويبدأ الموت يتخطف الأبطال من كلا الفريقين:

نُغاوِرُهُم تَجْري المَنِيَّةُ بيننا نُشَارِعُهُم حَوْضَ المَنايا ونَشْرَعُ[٣]

وللدلالة على قوة المعركة يعطيك صورة للأسلحة المستخدمة فيها:

تَهادَى قِسِيُّ النَّبْعِ فِيْنا وفِيهِمُ وما هوَ إلا اليَثْرِبِيُّ المُقَطَّعُ[٤]

ومَنْجُوفَةٌ حِرْمِيَّةٌ صاعِدِيَّةٌ يُذَرُّ عليها السَّمّ ساعةَ تُصْنَعُ[٥]

تَصُوبُ بِأبْدانِ الرِّجالِ وتارةً تَمُرُّ بأعراضِ البِصارِ تَقَعْقَعُ[٦]

وأما خيل الفريقين فكأنها -لسرعتها- جراد يلعب به الريح في الفضاء:

وخَيْلٍ تَراها بالفَضاءِ كأنَّها جَرادُ صَبَاً في قَرَّةٍ يَتَرَيَّعُ[٧]

ثم يبين الشاعر فعل جيش المسلمين في هذه المعركة الملتهبة، ويبين نتيجتها من حيث خسارة جيش الأعداء واندحاره، وفوز جيش المسلمين، فيقول:

فَلَمَّا تلاقَيْنا ودارَتْ بِنا الرَّحَى ولَيْسَ لأمْرٍ حَمَّهُ اللهُ مدْفَعُ

ضَرَبْناهُمُ حتى تَرَكْنا سَراتَهُم كأنَّهُمُ بالقاعِ خُشْبٌ مُصَرَّعُ

لَدُنْ غُدوةً حتَّى اسْتَقَلْنا عَشِيَّةً كأنَّ ذكانا حَرُّ نارٍ تَلَفَّعُ[٨]

---

(١) الحاسر: الذي لا درع عليه ولا مغفر. والمقنع: الذي لبس المغفر على رأسه.

(٢) النصية: الخيار من القوم.

(٣) نغاورهم: نداولهم. نشارعهم: نشاربهم. نشرع: نشرب.

(٤) النبع: شجر تصنع منه القسيّ. اليثربي: الأوتار، نسبة إلى يثرب.

(٥) المنجوفة: السهام. حرمية: نسبة إلى الحرم. صاعدية: نسبة إلى صاعد، وهو صانع سهام معروف.

(٦) تصوب: تقع. البصار: حجارة لينة. تقعقع: تصوت.

(٧) الصبا: ريح شرقية. والقرة: البرد. ويتريع: يجيء ويذهب.

(٨) ذكانا: أي التهابنا في الحرب.

وراحـــوا سِـــراعاً مُوجفيـــن كأنَّـــــهُم جهامٌ هَراقَـــتْ مـــاءهُ الرّيـــحُ مُقْلَـــعُ[١]

ورُحْنـــا وأُخْرانـــا بِطـــاءٌ كأنَّنـــــــا أُسُوْدٌ علـــى لَحْـــمٍ بِبِيْشَـــةَ ظُلَّـــــعُ[٢]

وبعد أن انتهت المعركة وانجلت النتيجة يتوقف الشاعر عند موضوع القتلى ومـــا تتركـــه المعارك وتجرُّه الحروب من آثار، ولكن هذا الجيش الإسلامي لا يأبه لهذه النتائج، فجنوده جـــلادٌ على الحوادث، لا يبكون قتلاهم، فهم أبناء الحرب الذين لا يجزعون مما تجرّه عليهم من نتـــائج، فيقول:

ونَحْنُ أُناسٌ لا نَـــرى القَتْـــلَ سُبَّـــــةً على كُلِّ مَنْ يَحْمِـــي الذِّمـــار ويمنَـــعُ

جِلادٌ على رَيْـــبِ الحَـــوادِثِ لا نَـــرَى على هالكٍ عيناً لنـــا الدّهْـــر تَدْمـــــعُ

بَنُو الحـــربِ لا نَعْيـــا بِشـــيءٍ نَقُولُـــهُ ولا نَحْنُ ممّا جَـــرَّتِ الحَـــرْبُ نَجْـــزَعُ

وما كل ذلك إلا من صفات الأبطال الذين خاضوا هذه المعركة وانتصـــروا فيـــها ومـــن صفاتهم أيضاً التي يحق للشاعر أن يتغنى بها:

بَنُو الحَـــرْبِ إنْ نَظْفَـــرْ فَلَسْـــنا بِفُحَّـــشٍ ولا نَحْـــنُ مِـــنْ أظْفارِهـــــا نَتَوجَّـــعُ

وكُنَّا شِهاباً يَتَّقِـــي النـــاسُ حَـــــرَّهُ ويَفْـــرُج عنـــهُ مـــن يليـــهِ ويَسْـــفَعُ[٣]

بهذا ينتهي الحديث عن معركة بدر الكبرى في هذه القصيدة، والتي لو أعدنا اســـتعراضها لوجدنا الشاعر قد جمع فيها الأركان الهامة للمعركة، ففي البداية يحدد الغاية من المعركة وهـــي الدفاع عن الدين، ثم وصف لجيش الأعداء وقوته وعدده. ثم الحديث عن جيش المسلمين وقوتـــه وصفاته البطولية التي تدفعه لخوض مثل هذه المعركة غير المتكافئة، ثم يتعرض للحديـــث عـــن قائد جيش المسلمين ودوره في المعركة. وبعد ذلك ينقلنا إلى جو المعركة مصوراً هذا الجو مـــن خلال الحديث عن الخيل والأسلحة المستخدمة فيها، لينقلنا بعد ذلك إلى نتيجة المعركة وحال كـــل من الفريقين سواء المنهزم أو المنتصر فيها، خاتماً حديثه بالفخر بهذه الصفات البطوليـــة التـــي تحلى بها جيش المسلمين.

---

(١) موجفين: مسرعين. الجهام: السحاب الرقيق الذي ليس فيه ماء.

(٢) بيشة: موضع تنسب إليه الأسود.

(٣) يسفع: يحرق.

على أن هذه القصيدة رغم أنها من أكثر قصائد هذه الفترة التي تناولت العديد من عناصر الجيش والمعركة في هذه المرحلة، إلا أنها لم تتناول جميع هذه العناصر والتي برزت لدى الشعراء المسلمين في قصائد ومقطوعات أخرى، سواء لدى الشاعر نفسه أو لدى غيره من الشعراء، وعليه -ولإعطاء الموضوع حقه- فإنه لا بد من تناول جميع هذه العناصر بشيء من الإيجاز مع ذكر الشواهد الشعرية التي توضح هذا العنصر أو ذاك بما فيها العناصر التي تم تناولها في قصيدة كعب بن مالك السابقة. وأول ما نبدأ به هو الحديث عن المصطلحات العسكرية التي وجدناها في شعر هذه المرحلة.

فمن المصطلحات العسكرية التي وردت في شعر هذه الفترة كلمة (الجند) وقد وردت في أكثر من موضع، ومنها في القصيدة التي تنسب إلى حمزة بن عبد المطلب قالها في يوم بدر حيث يقول فيها[١]:

وفينا جنودُ الله حينَ يُمِدُّنا ... بهم في مقامٍ ثَمَّ مُسْتَوْضحُ الذِّكْرِ

وكذلك في قول حسان بن ثابت في فتح مكة[٢]:

وقالَ اللهُ قد يَسَّرْتُ جُنْداً ... هُمُ الأنصارُ عُرْضَتُها اللقاءُ

وفي قول العباس بن مرداس في مدح النبي ﷺ[٣]:

ثُمَّ الذينَ وَفَوْا بِما عاهَدْتَهُم ... جُنْدٌ بَعَثْتَ عَلَيْهِمُ الضَّحَّاكَ

وكذلك ورد مصطلح (الجيش) ومنها ما جاء في قول العباس بن مرداس[٤]:

أبْلِغْ هَوازِنَ أعْلاها وأسْفَلَها ... مِنِّي رِسالةَ نُصْحٍ فِيْهِ تِبْيانُ

أنِّي أظُنُّ رَسُولَ اللهِ صابَحَكُم ... جَيْشاً لَهُ في فَضاءِ الأرْضِ أرْكانُ

ومصطلح آخر وهو مصطلح (الكتيبة) حيث جاء في قول حسان بن ثابت[٥]:

---

(١) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج٣، ص٩.

(٢) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٦٢.

(٣) **ديوان العباس بن مرداس**، مرجع سابق، ص٩٥.

(٤) **المرجع ذاته**، ص١٠٧.

(٥) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص١٢٥.

نجّـى حكيمـاً يـوْم بـدْرٍ شَـــــدُّه كَنَجاءِ مُـــهْرٍ مِـنْ بنَـات الأعْـوجِ[١]

لمّـا رأى بَـدْراً تَسِـــيْلُ جِلاهُـــها بِكَتَـائِبٍ مِـــلأوْسِ أو مِلخَـــزْرَجِ[٢]

وكذلك في قول حسان أيضاً[٣]:

صلّـى الإلـهُ علـى الذيْـنَ تَتَـابَعُوا يَـوْمَ الرَّجِيـعِ فَـــأكْرِمُوا وأُثِيبُـــوا

رَأْسُ الكَتِيْبَـــةِ مَرْثَـــدٌ وأميرُهُـــم وابْـنُ البكِـيرِ أمامَـــهُمْ وخُبَيْـــبُ

ومصطلح (الجحفل) حيث ورد في قول حسان بن ثابت[٤]:

هَـــلْ سَـــرَّ أوْلادَ اللقيطَـــةِ أنَّنـــا سِـــلْمٌ غَـــداةَ فَـــوارِسِ المِقْـــدادِ

كُنَّـــا ثمانيَـــةً وكـــانوا جَحْفَـــلاً لَجِبـــاً فَشَـــكُّوا بالرِّمـــاحِ بَـــدادِ

ومصطلح (اللواء) وقد جاء في القصيدة المنسوبة إلى حمزة بـــن عبـد المطلـب حيـث يقول[٥]: فَشَـدَّ بِـهِمْ جِـبْرِيْلُ تَحْـتَ لِوائنـــا لَـدَى مـأزِقٍ فِيْـهِ مَنَايـاهُمْ تَجْـــرِي

ومصطلح (الأسير) حيث قال حسان بن ثابت[٦]:

مِـنْ كُـلِّ مَأسُـوْرٍ يُشَـــدُّ صِفَـــارُهُ صَعْـرٍ إذا لاقَـى الكَتِيْبَـــةَ حـــامِي

وكذلك في قوله أيضاً[٧]:

كَـمْ مِـنْ أَسِـيْرٍ فَكَكْنَـاهُ بِـلا ثَمَـنٍ وجَـزٍّ ناصِيَـةٍ كُنَّـا مَوالِيهـــــا

ويلاحظ في شعر البطولة في هذه المرحلة أن الشعراء كانوا يذكرون تعداد الجيش، سـواء جيش المسلمين أو جيش الأعداء، وقد جاء ذلك في أكثر من موضع، ومن ذلك مـا جـاء فـي القصيدة المنسوبة إلى حمزة بن عبد المطلب[٨]:

---

(١) الأعوج: اسم فرس مشهور في الجاهلية.

(٢) الجلاة: ما استقبلك من حروف الوادي، الواحدة: جلهة (بالفتح).

(٣) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٨٤.

(٤) **المرجع ذاته**، ص١٦٤.

(٥) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج٣، ص٩.

(٦) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٤٢٠.

(٧) **المرجع ذاته**، ص٤٨٥.

(٨) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج٣، ص٩.

فكـــانوا غَـــداةَ البِـــئرِ ألفـــاً وجمْعُنـــــا ثـــلاثُ مئيـــن كالمُســـدّمة الزُّهْـــــر[١]

وأيضاً ما جاء في قول كعب بن مالك يجيبُ هُبيرة بن أبي وهب في معركة أحد[٢]:

فجِئْنا إلى مـــوجٍ مِـــنَ البَحْـــرِ وَسْـــطَهُ أحـــابيشُ مِنْـــهُم حاســـرٌ ومُقَنَّـــعْ[٣]

ثَلاثَـــةُ آلافٍ ونحـــنُ نَصيَّـــــــــةٌ ثـــلاثُ مئيـــنٍ إن كَثُرْنـــا وأربَـــــعْ[٤]

وكذلك ما جاء في قول حسان بن ثابت في يوم ذي قَرَد[٥]:

هَـــلْ سَـــرَّ أولادَ اللقيطـــةِ أنَّنـــــــا سَـــلْمٌ غَـــداةَ فـــوارِسِ المِقْـــداد

كُنَّـــا ثمانيـــةً وكـــانوا جَحْفَـــــــلاً لَجِبـــاً فســـكُوا بالرِّمـــاح بـــداد

وكان الشعراء يذكرون أسماء القتلى من الفريقين، فمن الشعر الذي ذكر أســـماء شـــهداء المسلمين في المعارك قول كعب بن مالك في حمزة وقتلى أحد[٦]:

فكُلُّـــهُم مـــاتَ حُـــرَّ البـــــــلاءِ علـــى مِلَّـــةِ اللهِ لَـــمْ يحْـــرجِ[٧]

كَحَمْـــزَةَ لمّـــا وَفَـــى صادقـــــاً بِـــذِي هبَّـــةٍ صـــارِمٍ سلْجـــجِ[٨]

ونُعْمَـــانُ أوْفَـــى بِمِيثاقِـــــــهِ وحَنْظَلَـــةَ الخَـــيْرِ لَـــمْ يُحْنِـــجِ[٩]

عَـــنِ الحَـــقِّ حَتَّـــى غَـــدَت رُوْحُـــهُ إلـــى مَـــنْزِلٍ فـــاخِرِ الزَّبْـــرجِ[١٠]

---

(١) المسدمة: الفحول من الإبل. والزهر: البيض.

(٢) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٢٥.

(٣) الحاسر: الذي لا درع عليه ولا مغفر. والمقنع: الذي لبس المغفر على رأسه.

(٤) النصية: الخيار من القوم.

(٥) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص١٦٤.

(٦) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص١٨٨.

(٧) حر البلاء: خالص الاختيار.

(٨) بذي هبة: يعني سيفاً، وهبة السيف: وقوعه بالعظم. والصارم: القاطع. وسجج: مرهف.

(٩) لم يحنج: لم يصرف عن وجهه الذي أراده من الحق.

(١٠) الزبرج: الوشي.

وكذلك قول حسان بن ثابت في أهل مؤتة[١]:

فـلا يُبْعِـدَنَّ اللهُ قَتْلَـــى تَتابعُـــوا بِمُؤتَـةَ مِنْـهُمْ ذُو الجنـاحيْنِ جعْفَـرْ

وزَيْـدٌ وعبـدُ اللهِ حيـــن تَتَـابعُوا جَميعـاً وأسْـبابُ المنيّـةِ تَخْطِـرْ

وأما الشعر الذي ذكر أسماء قتلى الأعداء فمنه قول حسان بن ثابت في بدر[٢]:

إلا لَيْتَ شِعْري هَـلْ أتَـى أهْـلَ مَكَّـةٍ إبارتُنَا الكُفَّـار فـي سـاعةِ العُسْـرِ[٣]

قَتَلْنا أبـا جَـهْلٍ وعُتْبَـةَ قَبْلَـهُ وشَـيْبَةَ يَكْبُـو لليَدَيْـنِ وللنحْـرِ

ومنه قول عبد الله بن رواحة يخاطب أهل مكة[٤]:

نَسِـيْتُم ضَرْبَنـا بِقَليـبِ بَـدْرٍ غَـداةَ أتـاكُمُ المـوتُ العَجِيْـلُ

غَـداةَ ثَـوَى أبُـو جَـهْلٍ صَرِيْعـاً عَلَيْـهِ الطَّـيْرُ حائمَـةً تَجُـوْلُ

وعُتْبَـةُ وابْنُـهُ خَـرَّا جَمِيْعـاً وشَـيْبَةُ عَضَّـهُ السَّـيْفُ الصَّقِيْـلُ

ومَتْرَكُنـا أُمَيَّـةَ مُجْلَعِبَّـاً وفـي حَيْزُومِـهِ لَـدْنٌ نَبِيْـلُ[٥]

وهَـامَ بَنِـي رَبيعَـةَ سائلُوهـا ففـي أسْـيافِنا مِنْـها فُلُـولُ

ومن ذلك ما قاله كعب بن مالك[٦]:

فَكُبَّ أبو جَـهْلٍ صَرِيْعـاً لِوَجْهِـهِ وعُتْبَـةُ قَـدْ غادَرْنَـهُ وهْـوَ عاثِـرُ

وشَيْبَةَ والتَّيْمِيّ غـادَرْنَ فـي الوَغَـى ومـا مِنْـهُمُ إلا بِـذِي العَـرْشِ كـافِرُ

---

(١) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٢٣٥.

(٢) **المرجع ذاته**، ص٢٤٣.

(٣) إبارتنا: إهلاكنا.

(٤) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٣٣.

(٥) مجلعباً: ممتداً مع الأرض. الحيزوم: أسفل الصدر. اللدن: الرمح اللين. والنبيل: العظيم.

(٦) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٠١.

ومن الأمور التي نجدها في ثنايا شعر البطولة في هذه المرحلة وصف جيش الأعداء وجنوده من حيث تصويرهم على أنه جيش قوي وجنود شجعان وأبطال يحسب لهم في ساحات المعارك، ولا يخفى ما في هذا الأمر من حديث غير مباشر عن قوة جيش المسلمين وبطولة أفراده الذين استطاعوا الوقوف أمام شجاعة مثل هؤلاء الأعداء بل والانتصار عليهم أيضا. فهذا كعب بن مالك يصف جنود الأعداء بأنهم كالأسود وإن كان ذلك في معرض الحديث عن بطولة جيش المسلمين حيث يقول(١):

فَسَارُوا وَسِرْنا فالْتَقَيْنا كأنَّنا ... أُسُودُ لِقَاءٍ لا يُرجَّى كَلِيْهِما

ويصفهم كعب بن مالك أيضاً في موقع آخر بأنهم نمور أبطال أسيادٌ في قومهم يحمون الذمار ومن أصلٍ طيّبٍ فيقول(٢):

سائِلْ قُرَيْشاً غَداةَ السَّفْحِ مِنْ أُحُدٍ ... ماذا لَقِيْنا وما لاقَوْا مِن الهَرَبِ

كُنَّا الأُسُودَ وكانُوا النُّمْرَ إذا زَحَفُوا ... ما إنْ نُراقِبُ مِنْ آلٍ ولا نَسَبِ

فَكَمْ تَرَكْنا بِها مِن سَيِّدٍ بَطَلٍ ... حامي الذِّمَارِ كَرِيمِ الجَدِّ والحَسَبِ

وهذا حسان بن ثابت يصف قتلى المشركين بقوله(٣):

فَكَمْ قَدْ قَتَلْنا مِنْ كَرِيمٍ مُزَرَّإٍ ... لَهُ حَسَبٌ فِي قَوْمِهِ نابِهِ الذِّكْرِ

تَرَكْنَاهُمُ لِلعَاوِياتِ يَنُبْنَهُم ... وَيَصْلُونَ ناراً بَعْدَ حامِيَةَ القَعْرِ

ويبين كعب بن مالك ضخامة جيش الأعداء إذ يتحدث عنهم فيقول(٤):

فَجِئْنا إلى مَوجٍ مِن البحرِ وسْطَهُ ... أحَابِيْشُ مِنْهُمْ حاسِرٌ ومُقَنَّعُ

أما النتيجة التي آلت إليها المعركة وما حلّ بجيش الأعداء فقد تطرق الشعراء إلى ذلك موضحين ما حلّ بالقوم من القتل والهزيمة فهذا حسان بن ثابت يبين مصير جيش الأعداء في معركة بدر الكبرى، فيقول(٥):

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٦١.

(٢) **المرجع ذاته**، ص١٧٤.

(٣) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٢٤٣.

(٤) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٢٥.

(٥) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص١٩٦.

لَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَدَاةَ الأَسْرِ والقَتْلِ الشَّدِيْدِ

بأَنَّا حِيْنَ تَشْتَجِرُ العَوالِي حُمَاةُ الرَّوْعِ يَوْمَ أَبِي الوَلِيْدِ[١]

قَتَلْنَا ابْنَي رَبِيْعَةَ يَوْمَ سَارُوا إِلَيْنَا فِي مَضاعَفَةِ الحَدِيْدِ[٢]

وفَرَّ بِها حَكِيْمٌ يَوْمَ جالَتْ بَنُوا النَّجَّارِ تَخْطِرُ كالأُسُودِ

وَوَلَّتْ عِنْدَ ذاكَ جُمُوعُ فِهْرٍ وأَسْلَمَها الحُوَيْرِثُ مِنْ بَعِيْدِ

لَقَدْ لاقَيْتُمُ خِزْيًا وذُلاً جَهِيزاً باقِياً تَحْتَ الوَرِيدِ

وكانَ القَوْمُ قَدْ وَلَّوْا جَمِيْعاً ولَمْ يَلْوُوا على الحَسَبِ التَّلِيدِ

فقد بيَّنت هذه المقطوعة الشعرية ما حل بجيش الأعداء من القتل والأسر وفرار بقية الجيش يحملون معهم الذل والعار الذي لحق بهم من انتصار جيش المسلمين عليهم في هذه المعركة.

وفي غزوة بني النضير يبين كعب بن مالك ما آلت إليه نتيجة المعركة على الأعداء حيث يقول[٣]:

لَعَمْرِي لَقَدْ حَكَّتْ رَحَى الحَرْبِ بَعْدَما أَطارَتْ لُؤَيّاً قَبْلُ شَرْقاً ومَغْرِبا

بَقِيَّةَ آلِ الكاهِنَيْنِ وعِزَّها فَعادَ ذَلِيْلاً بَعْدَما كانَ أَغْلَبا

فَطَاحَ سَلامٌ وابْنُ سَعْيَةَ عَنْوَةً وقِيْدَ ذَلِيْلاً لِلمَنَايا ابْنُ أَخْطَبا

وأَجْلَبَ يَبْغِي العِزَّ والذُّلَّ يَبْتَغِي خِلافَ يَدَيْهِ ما جَنَى حِيْنَ أَجْلَبا

كَتَارِكِ سَهْلِ الأَرْضِ والحَزْنُ هَمَّهُ وقَدْ كَانَ ذا في النَّاسِ أَكْدَى وأَصْعَبا[٤]

وشَأْسٌ وعَزَّالٌ وقَدْ صَلِيَا بِها وما غُيِّبا عَنْ ذاكَ فِيْمَنْ تَغَيَّبا

---

(١) تشتجر: تختلط وتشتبك. العوالي: أعالي الرماح. أبو الوليد: عتبة بن ربيعة من سادات قريش قتل يوم بدر.

(٢) مضاعفة الحديد: الدروع التي ضوعف نسجها.

(٣) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص١٧٦.

(٤) الحزن: ما علا من الأرض. أكدى: لم ينجح في سعيه.

وعوف بن سلْمى وابنَ عَـوْفٍ كِلاهُمـا وكَعْبٌ رئيْسُ القوْمِ حـان وخُيِّبـا

فَبُعْداً وَسُحْقاً للنّضيرِ ومِثْلُهـا إن أعقبَ فَتْـحٌ أو إنِ اللهُ أعْقَبـا[١]

أما ذكر وصف جيش المسلمين، فقد تغنى الشعراء في ذلك من حيث قـوة هـذا الجيـش وبطولة جنوده وشجاعتهم واستعدادهم الدائم للقتال وكذلك وصف أسلحتهم وخيلهم، ممـا سـوف يتضح أكثر من خلال عدة شواهد شعرية منتقاة، أُجتُهِد أن تكون ممثلة لمعظم الشعر الذي يتناول هذا الموضوع، ونبدأ بمقطوعة شعرية لحسان بن ثابت يخاطب فيها حكيم بن حزام بعد معركـة بدرٍ، فيقول[٢]:

نَجَّـى حكيمـاً يَـوْمَ بـدرٍ رَكْضُـهُ كَنَجـاءِ مـهرٍ مـن بَنـاتِ الأعْـوجِ

لمـا رأى بَـدْراً تَسِـيلُ جِلاهُـهَا بِكَتَـائِبٍ مِـلأوسِ أو مِلْخَـزرجِ

صُـبْرٍ يُسـاقُونَ الكُمَـاةَ حُتُوفَـهـا يَمْشُـون مَهْيَعَـةَ الطَّرِيـقِ المنـهجِ[٣]

كـم فيـهمُ مِـنْ مـاجدٍ ذِي سَـوْرَةٍ بَطَـلٍ بِمَكْرَهَـةِ المكَـانِ المُحْـرجِ

ومُسَـوَّدٍ يُعْطَـي الجَزِيـلَ بكَفِّـهِ حمَّـالِ أثْقَـالِ الدِّيـات مُتَـوّجِ

أو كُـلِّ أرْوَعَ مَـاجِدٍ ذِي مِـرَّةٍ أو كُـلِّ مُسْـتَرخَى النَّجـادِ مُدجّـجِ[٤]

فكتائب الأوس والخزرج الذين صبروا في معركة بدر قد أوردوا الكُماة من جيش الأعـداء موارد الهلاك، وهم أبطال تظهر بطولاتهم في المواقف الصعبة، وهم أبطال شجعان مدججـون بسلاحهم، إضافة إلى أنهم أسياد كرماء. ومثل هذا الوصف قد جاء أيضاً في قصيدة كعب بـن مالك حين أجمع الرسول ﷺ السير إلى الطائف، حيث يقول[٥]:

قَضَيْنَـا مِـنْ تِهَامَـةَ كُـلَّ رَيْـبٍ وخَيْـبَرَ ثُـمَّ أجْمَمْنَـا السُّـيوفا[٦]

---

(١) أو إن الله أعقبا: أي أو أن الله جاء بالنصر عليهم.

(٢) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص١٢٥.

(٣) يساقون الكماة حتوفها: يوردونهم الموت. مهيعة الطريق المنهج: الطريق الواضح.

(٤) ذي مرة: ذي قوة. مسترخى النجاد: كناية عن الشجاعة.

(٥) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٣٤.

(٦) أجممنا: أرحنا.

نُخَيِّرْهـا ولَـوْ نَطَقَـتْ لَقالَـتْ قَواطِعُـهُنّ: دوْسـا أو تَقِيفـا

فهذا الجيش لا يبالي بأي قوة يلقاها أمامه، فهو واثق من النصر، وعليه فإنه يترك الخيار للسيوف لتختار العدو الذي تريد أن تورده الهلاك.

فَلَسْتُ لحاضِنٍ إنْ لَمْ تَرَوها بِساحَةِ دارِكُمْ مِنّا أُلوفا[١]

ونَنْتَزِعُ العُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ وتُصْبِحُ دُوْرُكُمْ مِنْكُم خُلُوفا[٢]

فهو تهديد لهم بما سيصبح عليه حالهم بعد أن يحل بأرضهم هذا الجيش.

ويأتِيْكُمْ لَنا سَرَعانُ خَيْلٍ يُغادِرُ خَلْفَهُ جمْعاً كَثِيفا

إذا نَزَلوا بِساحَتِكُمْ سَمِعْتُم لَها مِمَّا أناخ بِها رَجِيفا[٣]

بأيْدِيْهِمْ قَواضِبُ مُرْهَفاتٍ يُزِرْنَ المُصطلين بِها الحُتُوفا

كأمْثالِ العَقائِقِ أخْلَصَتْها قُيُونُ الهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَثِيْفا[٤]

تخالُ جَدِيَّةَ الأبْطالِ فِيْها غَداةَ الزَّحْفِ جادِيّاً مَدُوفا[٥]

فهذا الجيش الذي تتقدمه فرقة الخيّالة إذا نزل بساحة المعركة فإنّ له صوتاً شديداً يبعث الخوف في النفوس لكثرة ما يحمل من الأسلحة التي تورد الهلاك. ويبلغ اعتزاز الشاعر وثقته بقوة جيش المسلمين درجة يظهر وكأنه يتمنى معها أن يُقيّظ لأعداء المسلمين من ينصحهم ويطلعهم على حقيقة قوة هذا الجيش، فيقول:

أجِدَّهُمُ أليسَ لَهُمْ نَصِيحٌ مِنَ الأقْوامِ كانَ بِنا عَرِيفا[٦]

يُخَبِّرُهُم بأنّا قَدْ جَمَعْنا عِتاقَ الخَيْلِ والنُّجُبِ الطِّرْوفا[٧]

---

(١) الحاضن: المرأة العفيفة التي تحضن ولدها، والجملة من قبيل التهديد.

(٢) العروش (هنا): سقوف البيوت. وج: موضع بالطائف.

(٣) الرجيف: صوت شديد مع اضطراب.

(٤) العقائق: شعاع البرق. الكتائف: صفائح الحديد التي تضرب للأبواب وغيرها.

(٥) الجدية: الطريق من الدم. والزحف: دنوا المتحاربين بعضهم من بعض. الجادي: الزعفران. ومدوف: مخلوط بغيره.

(٦) أجدهم: أي أجدا منهم، وهو منصوب على المصدر.

(٧) العتاق والنجب والطروف (بكسر الطاء) كلها بمعنى الكريمة الأصل من الخيل.

وأنّـــا قـــد أتَيْنَـــاهُم بزحْـــــف يُحيْـطُ بسـور حصْنِـهم صُفُوفـــــا

ثم يحدد الشاعر الأساس والمنطلق الذي يكون وراء السلم أو القتال لدى جيش المسـلمين، وهو مُنْطَلَقٌ عقائديٌ يقوم على أساس نشر هذا الدين الجديد، فيقول:

فـإنْ تُلْقُـوا إلَيْنَـا السِّـلْمَ نَقْبَـل ونَجْعَلْكُـم لَنـا عضُـداً وريْفـــا[1]

وإنْ تـأبَوْا نُجَـاهدْكُم ونَصْـبِر ولا يَـكُ أمرُنـا رَعِشـاً ضعيفـا

نُجَـالِدُ مـا بقِينـا أو تُتِيْبُـوا إلـى الإسْـلامِ إذْعانـاً مضيفـا

ثم يعود للحديث عن قوة هذا الجيش وبطولة جنوده ووصف أسلحتهم حيث يقول:

نُجَـاهِدُ لا نُبـالي مَـنْ لَقِينـا أأهْلَكْنـا التِّـلادَ أمِ الطَّرِيفـا

وكَـمْ مِـن مَعْشَـرٍ أَلَبُـوا عَلَيْنَـا صَمِيْـمَ الجِـذْمِ مِنْـهُم والحَلِيْفَـا[2]

أتَوْنَـا لا يَـرَوْنَ لَـهُم كِفـاءً فَجَدَّعْنَـا المسـامِعَ والأُنُوفـا

بِكُـلِّ مُـهَنَّدٍ لَيْـنٍ صَقِيْـلٍ نَسُـوقُهُمْ بِـها سَـوقاً عَنِيْفـا

وغير هذه الكثير من القصائد التي قالها الشعراء في جيش المسلمين، والتي تظهر بطولتهم وشجاعتهم وإقدامهم واستعدادهم الدائم للحرب والقتال، مع عدم الخوف من الأعداء، وحبهم الشهادة في سبيل الله، والتي تظهر أيضاً مقدرتهم وبراعتهم على خوض المعارك وإحراز الظفر فيها. وهذا الوصف كله إنما كان يقع -في الأغلب- على عامة جند المسلمين، مما يؤكد ما كان البحث قد توصل إليه سابقاً من أن البطولة في العهد النبوي إنما كان يمثلها كل الذين دخلوا الإسلام وعملوا على نشره والدفاع عنه، يتقدمهم رسول الله ﷺ بما كان يتميز به من كونه رسولا وقائداً مظفراً ومقاتلاً بطلاً.

وأخيراً فلو أردنا استخلاص المواضيع التي جلاّها الشعر العربي الإسلامي في هذه المرحلة والتي تتعلق بأمور الجيش والمعارك، لوجدنا أنه بداية يوضح السبب والغاية التي من أجلها يحارب الجيش الإسلامي، ثم الحديث عن هذا الجيش من حيث قوته وبطولة جنده واستعدادهم للحرب، وإقدامهم على القتال. ثم الحديث عن جيش الأعداء والذي يتصف بالقوة

---

(١) الريف: المواضع المخصبة التي على الماء.

(٢) الصميم: الخالص. والجذم: الأصل.

أيضاً ولكن نهايته القتل أو الفرار وفي هذا حديث عن نهاية المعارك. ثم وصف للمعارك وما يكون فيها من قتل للفريقين وما فيها من كر وفر ومغاورة بين الجيشين، وكذلك ذكر العديد من المصطلحات العسكرية التي تستخدم في موضوع الجيوش والقتال والمعارك. وأخيراً حديثٌ عن الخيل والأسلحة التي كان يستخدمها الجيش الإسلامي، والتي رأينا أن يكون الحديث عنها بمعزل عن حديث الجيش والمعارك، ذلك أن في هذا الأمر تفصيلاً أكثر من أن يكون حشواً بين ثنايا الحديث عن الجيش والمعركة.

الخيل والأسلحة

مما لا شك فيه أن اهتمام العرب بالخيل والأسلحة اهتمامٌ يتعلق بوجودهم أولا، وبرزقهم ثانياً، وبعزهم وفخرهم فيما بين بعضهم البعض، وكذلك مع الأمم الأخرى المحيطة بهم.

والمسلمون في العهد النبوي كانوا يشكلون جزءاً من الأمة العربية في جزيرة العرب في كل شيء فيما عدا الاعتقاد والإيمان بهذا الدين الحنيف. فكان اهتمامهم بالخيل والأسلحة منبعه الجذور العربية الراسخة فيهم منذ القدم، إضافة إلى ما أوجبه عليهم الدين الجديد من القتال والجهاد دفاعاً عن أنفسهم ودينهم وسعياً وراء انتشاره بين القبائل والأمم الأخرى.

ولذلك أوجب الله تعالى على المسلمين الإعداد الجيد من الخيل والأسلحة تحقيقاً لهذه الغاية، فقال تعالى: {وأَعِدُّوا لَهُم ما استَطَعتُم مِن قُوَّةٍ ومِن رِباطِ الخَيلِ تُرهِبونَ بِه عدوَّ اللهِ وعَدُوَّكُم...}[١]، فقد جاء النص القرآني هنا على ذكر الخيل بشكل صريح وواضح، وأما المقصود بقوله تعالى {من قوة}، فقد أشارت كتب التفسير[٢] إلى أن المقصود بها هي الرمي، والرمي لا يكون إلا بالأسلحة. وقد جاء عن النبي ﷺ قوله: "واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف"[٣]، وكذلك قوله: "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"[٤].

كل ذلك للدلالة على أهمية الخيل والأسلحة بالنسبة للمسلمين في تحقيق أهدافهم التي رسمها لهم دينهم الجديد، وكعادة الشعراء -ومنذ العهد الجاهلي- جاء على ألسنة شعراء المسلمين في العهد النبوي ذكر للخيل والأسلحة وذلك في ثنايا قصائدهم ومقطوعاتهم التي قالوها في معارك المسلمين وغزواتهم التي خاضوها في العهد النبوي.

فمن الشعر الذي ورد فيه ذكر الخيل قول الجحّاف بن حكيم السُّلمي[٥]:

شَهِدْنَ مع النَّبيِّ مُسَوَّماتٍ ... حُنَيْناً وهي داميةُ الْكِلامِ[٦]

وغزوةَ خالدٍ شَهِدَت وجَرَّت ... سنابِكُهُنَّ بالبَلَدِ الحَرامِ

---

(١) الأنفال، ٦٠.

(٢) ينظر في ذلك **تفسير ابن كثير**، ج٢، ص٣٢١، و**تفسير الجلالين**، تقديم ومراجعة مروان سوار، ط٥، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٢، ص٣٢٨.

(٣) **صحيح البخاري**، دار الجيل، بيروت، ج٤، ص٢٧.

(٤) **المرجع ذاته**، مجلد٢، ج٤، ص٣٢.

(٥) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج٤، ص٧٥.

(٦) مسومات: أي الخيل المرسلة أو المعلمة. والكلام: الجراح جمع كَلم.

ويخاطب كعب بن مالك أهل مكة في يوم بدر فيقول[١]:

فمـا ظَفِـرت فَوارِسُـكُم بِبَـدْرٍ ... ومَـا رجعُـوا إليْكُـم بالسّـواء

فـلا تَعْجـل أبـا سُـفْيان وارْقُـب ... جِيـاد الخَيْـلِ تَطْلُـعُ مِـنْ كَـداء

وكان بعضهم يذكر أسماء الخيل، ومنهم مالك بن عوف الذي قال يرتجز مخاطباً فرسه واسمه "مُحاج"[٢]:

أقْـدِمْ مُحـاجُ إنَّـهُ يـوْمٌ نُكُـرْ ... مِثْـلي علـى مِثْلِـك يحْمِـي ويكُـرّ

وكذلك ضرار بن الأزور يذكر اسم فرسه "المُحبَّر"، فيقول[٣]:

خَلّعـتُ القِـداحَ وعَـزْفَ القِيـا ... نِ والخَمْـرَ أشْـرَبُها والثُّمـالا

وكـرِّي المُحَـبَّرَ فـي غَمْـرةٍ ... وجَـهْدِي علـى المُشْـرِكِيْن القِتـالا

وأما الأسلحة فقد ورد ذكرها في الشعر وأول ما نبدأ به السيف، حيث يقول الشاعر عباس ابن مرداس في يوم حنين[٤]:

فَجُسْـنا مَـعَ المَـهْدِيِّ مكَّـةَ عُنْـوَةً ... بأسْـيافِنا والنَّقْـعُ كَـابٍ وسـاطِعْ

ويقول عبد الله بن رواحه في معرض رثائه حمزة[٥]:

وعُتْبَـةُ وابنُـهُ خَـرَّا جَمِيعـاً ... وشَـيْبَةُ عضَّـهُ السَّـيْفُ الصَّقِيـلُ

وهـامَ بَنِـي رَبِيْعَـةَ سـائلُوها ... فَفِـي أسْـيافِنا مِنْـها فُلُـولُ

ويجيب كعب بن مالك مرحباً اليهودي يوم خيبر فيقول[٦]:

قـد عَلِمَـتْ خَيْـبَرُ أنِّـي كَعْـبُ ... وأنَّنِـيْ متَـى تُشَـبُّ الحَـرْبُ

ماضٍ علـى الـهَوْلِ جـريءٌ صُلْـبُ ... مَعِـي حُسـامٌ كـالعَقِيْق عضْـبُ

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص١٦٩.

(٢) **السيرة النبوية**، مرجع سابق. ج٤، ص٨٩.

(٣) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. مرجع سابق، ج٢، ص٧٤٧.

(٤) **ديوان عباس بن مرداس**، مرجع سابق، ص٨١.

(٥) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٣٣.

(٦) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص١٨٣.

أما الرمح فقد جاء ذكره أيضاً في هذا الشعر، ومنه قول حسان بن ثابت في يوم الخندق[١]:

لَقَدْ جُدِّعَتْ آذانُ كعبٍ وعامِرٍ ... بِقَتْلِ ابْنِ كَعْبٍ ثُمَّ حُزَّتْ أُنُوفُها

وَحَازَ ابنُ عبْدٍ إذْ هَوَى في رِماحِنا ... كَذاكَ المَنايا حَيْنُها وحُتُوفُها

ويقول حسان بن ثابت أيضاً في يوم أحد[٢]:

كما غادَرَتْ في النَّقْعِ عُثْمانَ ثاوِياً ... وسَعْداً صَرِيْعاً والوشِيْجُ شُرُوعُ[٣]

وأما في ذكر القوس والسهام، فيقول كعب بن مالك[٤]:

تَهادَى قِسِيٌّ النَّبْعِ فِيْنا وفِيهِمُ ... وما هُوَ إلا اليَثْرِبِيُّ المُقَطَّعُ[٥]

ومَنْجُوفَةٌ حِرْمِيَّةٌ صاعِدِيَّةٌ ... يُذَرّ عليها السَّمَّ ساعةَ تُصْنَعُ[٦]

وقال بُجير بن زهير بن أبي سُلمى في يوم الفتح[٧]:

نَطَعْنا أكتافَهُمْ ضَرْباً وطَعْناً ... ورَشْقاً بالمُرَيَّشَةِ اللِّطافِ[٨]

ومن الأسلحة التي كانت تستعمل وورد ذكرها في الشعر الدروع، فقد جاء ذكرها في قول عباس بن مرداس[٩]:

كانت إجابتُنا لداعي ربِّنا ... بالحقِّ مِنَّا حاسِرٌ ومُقَنَّعُ

في كُلِّ سابِغَةٍ تَخَيَّرَ سَرْدَها ... داودُ إذا نَسَجَ الحَديدَ وتُبَّعُ[١٠]

---

(١) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٣٣٠.

(٢) **المرجع ذاته**، ص٣١٥.

(٣) الوشيج: جمع وشيجة وهي الرماح، سميت بذلك لأن عُرُوق شَجَرها تنبت تحت الأرض. وشروع: مائلة للطعن.

(٤) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٢٦.

(٥) النبع: شجر تصنع منه القسي. واليثربي: الأوتار نسبة إلى يثرب.

(٦) المنجوفة: السهام. والحرمية: نسبة إلى الحرم. والصاعدية: نسبة إلى صاعد وهو صانع معروف.

(٧) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ص٦٨.

(٨) المريشة: السهام ذات الريش.

(٩) **ديوان عباس بن مرداس**، مرجع سابق، ص٧٨.

(١٠) السابغة: الدرع الكاملة. سردها: نسجها.

وكذلك في قول كعب بن مالك في معرض ردّه على ضرار بن الخطاب في يوم الخندق[١]:

تَرانا في فَضافِضَ سابِغاتٍ كَغُدْرانِ المَلا مُتَسَرْبِلينا[٢]

وآخر الأسلحة التي ورد ذكرها في الشعر (الخوذة) وهي ما يوضع على الرأس لحمايته، فقد جاء في شعر عبد الله بن رواحة قوله[٣]:

فَلا وأَبِيْ مَآبُ لَنأْتِيَنْهَا وإنْ كانَتْ بِها عَرَبٌ وَرُوْمُ

بِذِي لَجَبٍ كَأَنَّ البَيْضَ فِيْهِ إذا بَرَزَتْ قَوانِسُها النُّجُومُ[٤]

هذا وإذا كان ذكر الخيل والأسلحة المختلفة قد جاء في شعر الشعراء بشكل إفرادي بمعنى أنك تجد ذكراً لنوع من الأسلحة في قصيدة شاعر وتجد ذكراً لنوع ثانٍ أو ثالثٍ في قصيدة أخرى لنفس الشاعر أو لشاعر آخر، فإن الشاعر كعب بن مالك استطاع أن يأتي على ذكر معظم الأسلحة التي كانت تستخدم بقصيدة واحدة وكأنه أراد أن يوثق لأنواع الأسلحة التي كانت تستخدم من قبل جيش المسلمين في العهد النبوي، وهذه القصيدة قالها رداً على عبد الله بن الزبعرى في يوم الخندق، ونذكر منها الأبيات التي تناول فيها ذكر الخيل والأسلحة ومنها[٥]:

أبْقَى لَنا حَدَثُ الحُرُوبِ بَقِيَّةً مِنْ خَيْرِ نَحْلَةِ رَبِّنا الوَهّابِ

بَيْضاءَ مُشْرِفَةَ الذُّرى ومَعاطِناً حُمَّ الجُذُوعِ غَزِيْرَةَ الأَحْلابِ[٦]

ونَزائِعاً مِثْلَ السِّراحِ نَمى بِها عَلَفُ الشَّعِيْرِ وجِزَّةُ المِقْضابِ[٧]

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٧٩.

(٢) الفضافض: الدروع المتسعة. سابغات: دروع كاملة.

(٣) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٥٠.

(٤) ذي لجب: الجيش. البيض: ما يوضع على الرأس من الحديد. القوانس: جمع قونس وهو أعلى البيضة.

(٥) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص١٧٨.

(٦) الذرى: الأعالي وعني بها الآطام. والمعاطن: منابت النخل عند الماء. وصمّ: سود. ويريد بالجذوع: الأعناق. والأحلاب: ما يحلب منها.

(٧) النزائع: الخيل العربية التي حملت من أرضها إلى أخرى. السراح: الذئاب. وجزة المقضاب: ما يجز لها من النبات فتطعمه. المقضاب: من القضب وهو القطع.

عُلِفَتْ علـــى دعَـــةٍ فَصـــارتْ بُدّنـــاً ... دُخْس البضيْـــعِ خفيْقَـــة الأقْصـــاب[١]

يغْـــدُونَ بـــالزَّغْفِ المُضـــاعفِ شَـــكُّه ... وبُمُتْرَصاتٍ فـــي التَّقَـــافِ صيـــاب[٢]

وصـــوارِم نَـــزَعَ الصَّيَـــاقِلُ غُلْبَهـــا ... وبكُـــلِّ أرْوع مـــاجِدِ الأنْســـاب[٣]

يَصِـــلُ اليَميْـــنَ بِمـــارِنٍ مُتَقَـــارِبٍ ... وكُلِتَ وقِيْعتُـــهُ إلـــى خَبّـــاب[٤]

وأغَـــرّ أزْرق فـــي القَنـــاةِ كأنَّـــهُ ... في طُحْيَةِ الظَّلْمـــاءِ ضـــوْء شِـــهاب[٥]

وكَتِيْبَـــةٍ يَنْفِـــي القِـــرانَ قَتِيْرُهـــا ... وتَرُدّ حـــدّ قَواحـــذ النُّشّـــاب[٦]

جـــأْوى مُلَمْلَمَـــة كـــأنّ رِماحَهـــا ... في كُلّ مَجْمَعَـــةٍ حزيمَـــةُ غـــاب[٧]

يـــأوِي إلـــى ظـــلِّ اللـــواء كأنَـــهُ ... في صَعْدَةِ الخَطّـــى فَـــيءُ عُقـــاب[٨]

أعْيَـــتْ أبـــا كَـــرْبٍ وأعْيَـــتْ تُبَّعـــاً ... وأبَـــتْ بَسَـــالَتُها علـــى الأعْـــراب[٩]

ففي هذه الأبيات أتى الشاعر على ذكر الخيل والسيف والرمح والسنان والنبل والـــدروع، وهي معظم الأسلحة التي كانت تستعمل في جيش المسلمين في العهد النبوي.

ومما لا شك فيه أن الشعراء لم يكونوا يأتون على ذكر الخيل والأسلحة لمجرد الذكر فقـط، بل إن هدفهم كان أبعد من ذلك وهو إظهار مدى بطولة الأبطال الذين يعتلـــون صـــهوات هـــذه الخيول ويتسلحون بهذه الأسلحة، ومن أنهم أبطال شجعان قادرون على خوض المعارك وتحقيـــق النصر، وهـــذه الخيول وتلك الأسلحة إنما تمثل جزءاً من قوة الجيش وشجاعة الأبطال، علـــى أن هذه الأسلحة لم تكن وحدها مبعث القوة والثبات في المعارك، فانظر إلى هذا الحديث الـــذي دار

---

(١) دخس البضيع: كثيرة اللحم.

(٢) الزغف: الدروع اللينة.

(٣) صوارم: سيوف قاطعة. وغلبها: خشونتها وما عليها من صدأ.

(٤) المارن: الرمح اللين.

(٥) الأغر الأزرق: السنان. والطحية: شدة السواد.

(٦) القران: تقارن النبل واجتماعه. والقتير: مسامير حلق الدرع. وقواحذ النشاب: النبال التي تصيب الأفخاذ.

(٧) الحزيمة: اللهب المتوقد.

(٨) الصعدة: القناة المستوية. والخطى: الرماح.

(٩) أبو كرب وتبع: ملكان من ملوك اليمن.

بين عبد الله بن رواحة وجند المسلمين في معركة مؤتة، حيث قالوا بعدما رأوا كثرة جيش الروم[١]: نكتب إلى رسول الله ﷺ، فنخبره بعددِ عدونا، فإمّا أن يمُدّنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فنمضي له. فقال عبد الله بن رواحة: يا قوم، والله إنّ التي تكرهون لَلّتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، وما نقابلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحْدى الحُسْنَيَيْن: إما ظهور وإما شهادة، فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة، فمضى الناس. فليست القوة أو الكثرة دافعهم على الثبات والقتال أمام جيش كثير العدد مدجج بالسلاح، ومع ذلك فقد قال ابن رواحة في خيل المسلمين -وهي من أركان القوة- ما يبعث على الحماس وإعطاء المزيد من الثقة، حيث يقول[٢]:

جَلَبنا الخَيْلَ مِن أجَاءٍ وفَرْعٍ ... تُغَرُّ من الحشِيْشِ لَها العُكُومُ[٣]

حَذَوْناها مِنَ الصَّوَّانِ سِبْتاً ... أزَلَّ كأنَّ صفْحَتَهُ أدِيْمُ[٤]

أقَامَتْ لَيْلَتَيْن على مَعانٍ ... فأُعْقِبَ بَعْد فَتْرتِها جُمُومُ[٥]

فَرُحْنا والجِيادُ مُسَوَّمَاتٌ ... تَنَفَّسُ في مناخِرِها السَّمُومُ

فلا وأبي مآبُ لَنَأْتِيَنْهَا ... وإنْ كانَتْ بِها عربٌ وروم

فَعَبَّأْنا أعِنَّتَها فَجَاءَتْ ... عَوَابِسَ والغُبارُ لها بريمُ[٦]

فكل هذا الحديث عن هذه الخيول لم يكن لذاته بالتأكيد وإنما كان فقط ليقول لأفراد جيشه بأنهم سيأتون (مآب) وبغض النظر عن قوة الجيش الذي يقابلون. وفي مثل هذا المعنى جاء حديث الشاعر حسان بن ثابت عن الخيل في معرض قصيدة قالها في فتح مكة، حيث يقول[٧]:

عَدِمْنا خَيْلَنا إنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيْرُ النَّقْعَ موعِدُها كَداءُ

---

(١) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج٤، ص١٧.

(٢) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٤٩.

(٣) أجأ وفرع: أسماء أماكن. تغر: تضع شيئاً بعد شيء. والعكوم: جمع عكم وهو الجنب.

(٤) السبت: نعال من الجلد. أزل: أملس. والأديم: الجلد.

(٥) الفترة: السكون. جموم: نشاط وقوة.

(٦) البريم في الأصل: خيطان مختلطان ومختلفان في اللون. وكل ما فيه لونان مختلطان فهو بريم. والمعنى هنا اختلطت دموع الخيل بغبار المعركة فصارت كالبريم.

(٧) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٦٠.

يُبـــارِيْن الأعنّـــةَ مُصْعِـــــداتٍ علـــى أكْتَافِـــها الأســـــلُ الظِّمـــــاءُ

تَظَـــلُّ جِيادُنـــا مُتَمَطِّـــــراتٍ يُلَطِّمُـــهُنَّ بـــالخُمُرِ النِّســـــاءُ[١]

فإمَّـــا تُعْرِضُـــوا عَنَّـــا اعْتَمَرْنـــا وكـــان الفَتْـــحُ وانْكَشَـــفَ الغِطـــاءُ

فوصف الشاعر لهذه الخيول ما كان إلا لإظهار تصميم الجيش على تحقيق غايته.

ومثل الحديث عن الخيل كان الحديث عن السلاح، فهذا كعب بن مالك يستنطق السيوف ويجعل لها حرية الاختيار في أمر العدو التالي الذي سيتجه إليه جيش المسلمين وذلك في قصيدة قالها بعد أن فرغ المسلمون من معركة حنين وساروا إلى الطائف، حيث يقول[٢]:

قَضَيْنَـــا مِـــن تِهامَـــةَ كُـــلَّ رَيْـــبٍ وخَيْـــبَرَ ثُـــمَّ أجْممْنَـــا السُّـــيُوفا[٣]

نُخَيِّرُهـــا ولَـــوْ نَطَقَـــتْ لَقَالَـــتْ قَواطِعُـــهُنَّ: دَوْسـًــا أو ثَقِيفـــا

ولكي يدلل الشاعر على أن جنود جيش المسلمين كانوا أولي بأس وقـوة، يتحـدث عـن سيوفهم ويصفها بهذه الأبيات التي قالها كعب بن مالك[٤]:

شَـــهِدْنا فكُنَّـــا أُولِـــي بأْسِـــــهِ وتَحْـــتَ العمائـــةِ والمُعْلَمِينـــا[٥]

بِخُـــرْسِ الحَسِـــيْسِ حِسَـــانٍ رِواءٍ وبُصْرِيَّـــةٍ قـــد أجِمْـــنَ الجُفونـــا[٦]

فمـــا يَنْفَلِلْـــنَ ومـــا يَنْحَنِيْـــــنَ ومـــا يَنْتَـــهِيْنَ إذا مـــا نُهِيْنـــا

كَـــبَرْقِ الخَرِيْـــفِ بـــأيْدي الكُمـــاةِ يُفَجِّعْـــنَ بـــالطَّلِّ هامـــاً سُكُونـــا[٧]

فدليل قوة الجنود هذه السيوف التي يحملونها وهي سيوف تعمل في رقاب الأعداء بصمت، ممتلئة بدمائهم، تملُّ الرقود في أغمادها، لا تُفلُّ ولا تنحني، وهي كالبرق بأيدي الرجـال الذيـن

---

(١) متمطرات: يسبق بعضها بعضاً. ويلطمهن: تضرب النساء وجوههن لتردهن.

(٢) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٣٤.

(٣) أجممنا: أرحنا.

(٤) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٧٦.

(٥) العمائة: السحابة. والمعلمون: من يعلمون أنفسهم بعلامة في الحرب يعرفون بها.

(٦) الخرس: التي لا صوت لها، ويعني بها السيوف. رواء: أي ممتلئة بالدم. بصرية: نسبة إلى بصرى. وأجمن: مللن وكرهن. والجفون: الأغماد.

(٧) الطل: ما طل من دمهم ولم يؤخذ له ثأر. والسكون: المقيم الثابت.

يصفهم -ومن خلال وصف سيوفهم- بأنهم أولو بأس وقوة، هؤلاء الجنود الأبطال الذين اعتادوا ركوب الخيل وحمل الأسلحة حتى أصبحت ملتصقة بهم وكأنها لباسهم الذي يرتدونه بشكل دائم. كما يقول الشاعر كعب بن مالك في حديثه عن جيش المسلمين[١]:

في عُصْبَةٍ نَصَرَ الإلَهُ نَبِيَّهُ ... بِهِمُ وكَانَ بِعبْدِهِ ذا مرْفَقِ

في كلِّ سابِغَةٍ تَخُطُّ فُضُولُها ... كالنَّهي هَبَّتْ ريحُهُ المُتَرَقْرِقِ[٢]

بَيْضاءَ مُحْكَمَةٍ كأنَّ قَتِيرَها ... حدقُ الجَنَادِبِ ذات شَكٍّ مُوْثَقِ[٣]

جَدْلاَءَ يَحْفِزُها نِجادٌ مُهَنَّدٌ ... صافِي الحديْدَةِ صارِمٍ ذِي رونَقِ[٤]

تِلْكُمْ مَعْ التَّقْوى تَكونُ لِباسَنا ... يَوْمَ الهِياجِ وكُلِّ ساعةِ مصْدَقِ

ولشدّة حرص العرب على الاهتمام بالخيول والأسلحة كانت تُطْلِق الأسماء المختلفة على مقتنياتها منها، وكان رسول الله ﷺ كسائر العرب في ذلك، وقد أوردت المصادر القديمة[٥] عدد ما كان يقتنيه ﷺ من الخيل والأسلحة مع ذكر أسمائها، فمن أسماء خيله ﷺ السّكْب والمرتجز ولِزَاز والظِرب واللُّخَيْف. ومن أسماء سيوفه البتّار والحتْف والمِخْذَم وذو الفَقَار. ومن أسماء دروعه السَّعْدِيّة وفضة وذات الفضول. ومن أسماء قِسِيِّهِ الرَّوْحاء والبيضاء والصفراء. وقد أورد ابن هشام في السيرة[٦] أسماء خيل المسلمين في معركة بدر الكبرى وكانت ثلاثة خيول وهي السَّبَل وسَبْحَة واليَعْسُوب.

وأخيراً، وخلاصة القول في هذا الفصل، فإننا وجدنا الشعر العربي الإسلامي في العهد النبوي قد تناول الصفات البطولية التي تحلى بها المسلمون الذين خاضوا غمار المعارك والغزوات من حيث الشجاعة والقوة والإقدام، والصبر على منازلة الأعداء، وطلب الموت حباً

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٤٤.

(٢) السابغة: الدرع الكاملة. وتخط فضولها: ينجر على الأرض ما فضل منها. والنهي: الغدير من الماء. والمترقرق: الذي تصفقه الريح فيجيء ويذهب.

(٣) القتير: مسامير الدرع. الجنادب: ذكور الجراد. والشك: إحكام السرد.

(٤) الجدلاء: الدرع المحكم النسج. يحفزها: يرفعها ويشمرها.

(٥) ينظر في ذلك **تاريخ الطبري**، مجـ٢، ص ١٨٤-١٨٥، وكذلك **الطبقات الكبرى**، ج١، ص٤٨٥-٤٩٢.

(٦) **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٢١.

في الشهادة، ولكن هذه الصفات البطولية لم تكن تُخلَع على الأفراد فحسب، بل أنها أُطلقتْ على جماعة المسلمين بعامة.

وخلصت الدراسة في هذا الفصل إلى أنه لم يظهر بطل واحد من عامة المسلمين يمكن أن يكون مجسِّداً لمفهوم البطولة في هذا العهد تجتمع فيه كافة صفات البطولة، ويستطيع من خلال ذلك أن يكون رمزاً للمسلمين، غير أن الصفات البطولية التي خلعها الشعراء على النبي ﷺ سواء في كونه مقاتلاً ومحارباً أو قائداً وزعيماً تجعل منه مثالاً يحتذى في مجال البطولة، ويمكن من خلالها أن يكون رمزاً ومجسداً لمفهوم البطولة في هذا العهد.

غير أن حديث الشعر عن النبي ﷺ في كونه رسولاً يبلِّغ رسالة ربه وما يستتبع ذلك من صفات إنسانية عالية المعاني فاق الحديث عنه ﷺ كبطل يجسد مفهوم البطولة، فجاء الحديث عنه كنبي رسول فوق الحديث عنه كبطل ورمز، وذلك تمشياً مع مفهوم الرسالة والنبوة كما جاءت في القرآن الكريم.

مما استدعى القول بأن عامة المسلمين بقيادة النبي ﷺ كانوا يشكلون ويجسدون مفهوم البطولة في هذا العهد، وهذا ما ظهر واضحاً في تناول الشعراء لجماعة المسلمين كجيش خاض غمار المعارك والغزوات التي كانت في العهد النبوي، فجاء الحديث عن قوة هذا الجيش واستعداده لمواجهة أعدائه في كل الظروف غير عابئين لاختلاف العدة والعدد، مما يؤكد وجهة نظر هذا البحث في أن العهد النبوي قد أوجد مفهوماً جديداً لمعنى البطولة وأوجد نوعاً جديداً لمن تتمثل فيه مفاهيم البطولة.

وربما –ومن خلال الفصل القادم– وهو الدراسة الفنية لشعر العهد النبوي نجد أيضاً شيئاً جديداً قد طرأ على الشعر في هذه الفترة من الناحية الفنية، وهذا ما سنحاول البحث فيه إن شاء الله تعالى.

الفصل الثالث
الدراسة الفنية

ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:

١- المبحث الأول: الإسلام والشعر.

٢- المبحث الثاني: الأغراض الشعرية.

٣- المبحث الثالث: الهيكل العام للقصيدة.

٤- المبحث الرابع: الألفاظ والتراكيب.

٥- المبحث الخامس: المعاني.

٦- المبحث السادس: الأسلوب.

٧- المبحث السابع: الصورة والخيال.

٨- المبحث الثامن: الأوزان والقوافي.

الإسلام والشعر

لا يكاد باحث أو دارس يعرض لدراسة الشعر في صدر الإسلام، إلا وتواجهه مشكلة ضعف الشعر وقلته في بداية الدعوة الإسلامية. حتى أنه أصبح يطلق على هذه المشكلة "نظرية ضعف الشعر العربي في صدر الإسلام". وقد خاض في الحديث في ذلك قدماء ومحدثون. "وكاد الإجماع ينعقد على أن الحياة الأدبية، في فترة النبوة قد أصابها الفتور والخمول والهزال، وأن الشعر بخاصة قد ضعف ووهن. ويعزو الدارسون المحدثون -بعد أن بات في ذهنهم أن ضعف الشعر حقيقة لم يجرؤ أحد أن يناقشها- أن سبب ذلك الخمول والخمود، يرجع إلى الإسلام، الذي وقف بوجه الشعر وذمّ الشعراء"(١).

وأخذ الدارسون المحدثون يتناولون هذه القضية بشيء من التفصيل، وانقسم القوم إلى مؤيد ومعارض لمقولة إن الإسلام كان السبب في ضعف الشعر العربي وقلته في بداية الدعوة الإسلامية، وقد اعتمد الجميع على ما جاء في القرآن الكريم وبعض المصادر القديمة والتي أوهمت بمسؤولية الإسلام عن هذه المشكلة. وبعدها أخذ كل فريق من الدارسين يجمع الحجج والبراهين لإثبات رأيه، ونقض الرأي الآخر.

ولكثرة ما جاء في كتب الدارسين(٢) -من كلا الفريقين- من أدلة وشواهد وحجج حول إثبات هذه التهمة أو دفعها فإنه يصبح من الإعادة التي لا فائدة منها تناول هذه الأدلة والبراهين في هذه الدراسة أيضاً. ولكن الذي دفعنا إلى تناول هذه القضية هو أن هذا البحث سوف يقف عند إعادة دراسة النصوص التي كانت وراء هذه المشكلة وتحليلها وبغض النظر عن الشواهد التي تثبت صحة تلك المقولة أو تنفيها.

---

(١) يحيى الجبوري، **الإسلام والشعر**، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٤، ص١١.

(٢) ينظر في ذلك الكتب التالية:

- جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج١.
- شكري فيصل، **تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام**.
- عبد القادر القط، **في الشعر الإسلامي والأموي**.
- محمد عبد القادر أحمد، **دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي**.
- محمد عثمان علي، **في أدب الإسلام وعصر النبوة والراشدين وبني أمية**.
- نجيب محمد البهبيتي، **تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري**.
- يحيى الجبوري، **الإسلام والشعر**.
- يحيى الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**.

أما النصوص التي اعتمد عليها الباحثون في هذه القضية، فكانت من مصدرين، المصدر الأول وهو الآيات التي جاءت في القرآن الكريم وتتحدث عن الشعر والشعراء. والمصدر الثاني في أقوال بعض القدماء عن الشعر في العهد الإسلامي الأول والتي سيتم إيرادها عند الحديث عنها.

أ) القرآن والشعر:

وأما الذين قالوا بنظرية ضعف الشعر فقد اعتمدوا على ما جاء في القرآن الكريم من آيات فيها ذكر للشعر والشعراء، ورأوا في هذه الآيات غضاً من قيمة الشعر والشعراء، فجعلتها دون ما كانت عليه في العهد الجاهلي، فأدى ذلك إلى عزوف الشعراء عن قول الشعر، بل وإلى قلة الاهتمام به.

ونحن نريد أن نعيد قراءة الآيات التي تعرضت للشعر والشعراء، فقد جاءت في ستة مواضع من القرآن الكريم، وهي:

١- قوله تعالى في سورة الأنبياء: {بَلْ قالُوا أضْغَاثُ أحلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيأتِنا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأوَّلُوْنَ}(١).

٢- وقوله تعالى في سورة الطور: {أمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيب المَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فإنِّي معَكُم مِنَ المُتَرَبِّصِيْن * أمْ تأمُرُهُمْ أحْلامُهُم بِهذا أمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُوْن * أمْ يَقُولُوْنَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُون * فَلْيأتُوا بِحَدِيْثٍ مِثْلِهِ إنْ كَانُوا صادِقِيْن}(٢).

٣- وفي سورة الصافات جاء قوله تعالى: {إنَّهُمْ كانُوا إذا قِيْلَ لَهُمْ لا إلَهَ إلاّ الله يَسْتَكْبِرُون * ويَقُولُونَ أئِنَّا لتارِكُوا آلِهَتِنَا لِشاعِرٍ مَجْنُون * بل جاء بالحقِّ وصدَّقَ المُرْسَلِيْن}(٣).

٤- ويقول تعالى في سورة يس: {وما عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وما ينْبَغِي لَهُ إنْ هُوَ إلاّ ذِكْرٌ وقُرآنٌ مُّبِيْن * لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً ويَحِقَّ القَوْلُ عَلى الكافِرِيْن}(٤).

---

(١) الأنبياء، آية ٥.

(٢) الطور، آية ٣٠-٣٤.

(٣) الصافات، آية ٣٥-٣٧.

(٤) يس، آية ٦٩-٧٠.

٥- وفي سورة الحاقة جاء قوله تعالى: {فلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُون * وما لا تُبْصِرُون * إنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم * وما هوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلاً ما تُؤْمِنُون * ولا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُون * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ العالَمِيْن * ولو تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقَاوِيْل * لأخَذْنا مِنْهُ بِاليَمِيْن * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِيْن * فَمَا مِنكُم مِنْ أحَدٍ عَنْهُ حاجِزِيْن * وإنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ للمُتَّقِيْن * وإنَّا لَنَعْلَمُ أنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِيْن * وإنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الكَافِرِيْن * وإنَّهُ لَحَقُّ اليَقِيْن * فَسَبِّح باسْمِ رَبِّكَ العَظِيْم}[١].

٦- وأخيراً قوله تعالى في سورة الشعراء: {والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهمُ الغَاوُون * ألَمْ تَرَ أنَّهُمْ في كُلِّ وَادٍ يَهِيْمُون * وأنَّهُم يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُون * إلاّ الّذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَات وذَكَرُوا اللهَ كَثِيرا وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا وسَيَعْلَمُ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون}[٢].

هذه هي الآيات التي تناولت الشعر والشعراء في القرآن الكريم. وسنعيد قراءة معاني هذه الآيات فيما عدا الآيات التي جاءت في سورة الشعراء والتي تبدأ بقوله تعالى: {والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمْ الغَاوُون} حيث سنعرض لها بعد أن نعرض لآيات السور الأولى.

بداية لا بدَّ أن نعيد إلى الأذهان حقيقة لا يختلف عليها منكرٌ أو مجادل، وهي أن العرب حينما سمعت القرآن الكريم بُهِرَت به وأُفْحِمَت لأسلوبه وبيانه وبلاغته. ويؤكد هذه الحقيقة ما قاله عتبة بن ربيعة بعد أن سمع من النبي ﷺ وقد عاد إلى قومه الذين سألوه ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: (ورائي أنّي قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثلهُ قطّ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعتُ مِنهُ نَبَأٌ عظيم)[٣]. فالعرب وقد أخذها القول الرباني لم تعد تعرف في أي منزلة تضع هذا القرآن، فساعة هو أضغاث أحلام، وساعة هو شعر شاعر، أو سحر ساحر أو سجع كاهن أو هو افتراء من عند محمد. على أن أكثر ما نسبوا هذا القرآن نسبوه إلى الشعر وأن محمداً شاعرٌ. وكل ما جاء في الآيات المذكورة سابقاً ليس حديثاً من الله عن الشعر والشعراء، بل هو ما وصفت قريش به القرآن والنبي ﷺ. فقد قال الله تعالى على لسانهم في سورة الأنبياء: {بَلْ قالُوْا أضْغَاثُ أحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شاعِر...}. وقال الله تعالى على لسانهم في سورة الطور: {أمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ... أمْ يَقُولُون تَقَوَّلَهُ...} وفي سورة الصافات يقول الله تعالى على لسانهم: {ويَقُولُونَ أئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنا لِشَاعِرٍ مَجْنُون}. وكل ما

---

(١) الحاقة، آية ٣٨-٥٢.

(٢) الشعراء، آية ٢٢٤-٢٢٧.

(٣) السيرة النبوية، ج١، مرجع سابق، ص٣١٤.

قالوه في ذلك ناتج عن انبهارهم بهذا الحديث الذي سمعوه فنسبوه إلى أسمى ما انتهى إليه بيانهم وبلاغتهم وهو الشعر.

ويأتي الرد الإلهي ليزيد من انبهارهم ويمعن في عجزهم وضعفهم أمام بلاغة القرآن، فيبين لهم بأن أسمى ما لديكم من البيان والبلاغة، هو دون مستوى هذا القرآن، فيقول الله تعالى في سورة يس: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ}(١). وفي سورة الحاقة يقسم الله تعالى ليقول لهم: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيْلاً ما تُؤْمِنُون}(٢). ويأتي في معرض الردّ الإلهي أيضاً، بيان الغاية والهدف الذي كان من وراء هذا القرآن، وهو -وكما جاء في معرض الردّ الإلهي في سورة يس: {لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ القَوْلُ عَلَى الكافِرِين}(٣)، وكما جاء أيضا في سورة الحاقة: {وإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِيْن}(٤).

فهذا الردّ الإلهي إنما جاء لتنزيه القرآن الكريم عن أن يكون شعر شاعر، حتى وإن كان للشعر في نفوس العرب منزلة رفيعة (فالقرآن لم يحظر الشعر ولم يقف دونه ولكنه نزّه نفسه من أن يكون شعراً ورفع الرسول عن أن يكون شاعراً)(٥). ذلك أن للقرآن مهمة في الحياة ورسالة لا يمكن للشعر أن يدنو منها مهما ارتفع.

وهذا الأمر هو الذي يفسر لنا الحديث الرباني عن وصف بعض الشعراء كما جاء في السورة المسماة باسمهم. فلا يمكن لهذا القرآن أن يحقق رسالته في الحياة إذا كان من قول الشعراء الذين يهيمون في كل واد ويقولون ما لا يفعلون. كما لا يمكن للقرآن أن يتبعه الغاوون وإنما يتبعه الهادون الذين لهم عقول نيرة ورأي سديد. وعليه فإنّ كل ما جاء في الخطاب الإلهي ليس فيه انتقاص للشعر والشعراء -وإن كان فيه تقرير لحقيقة بعض الشعراء- ولكن هذا الخطاب جاء لتقرير حقيقة عقائدية في الدين الإسلامي وهي أن هذا القرآن إنما هو قول الله تعالى وأن محمداً ﷺ ما هو إلا رسول مبلغ عن ربه {ولو تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيْلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ باليَمِيْنِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِيْنَ}(٦).

---

(١) يس، آية ٦٩.

(٢) الحاقة، آية ٤٠، ٤١.

(٣) يس، آية ٧٠.

(٤) الحاقة: آية ٤٨.

(٥) يحيى الجبوري، **الإسلام والشعر**. مرجع سابق، ص٤٤.

(٦) الحاقة، آية ٤٦.

وأما الآيات التي وردت في سورة الشعراء والتي سبق ذكرها، فقد كانت من أقوى الحجج التي احتج بها القائلون بأن الإسلام قد وقف ضد الشعر والشعراء ولكن المدافعين[١] عن فكرة وقوف الإسلام ضد الشعر والشعراء والحطّ من مكانتهما أخذوا يقولون إن الإسلام لم يقف ضد كل الشعراء بدليل الاستثناء الذي ورد في هذه الآيات: {إلاّ الّذِيْنَ آمنُوا وعمِلُوا الصّالحات...}[٢] لدفع الظن عن شعراء الرسول ﷺ الذين أخذوا على عاتقهم الدفاع عن الإسلام والرسول ﷺ في المدينة المنورة أمثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم.

ومن القدماء الذين قالوا بفكرة الاستثناء هذه ابن رشيق في كتابه العمدة حيث يقول: (فأما احتجاج مَنْ لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى: {والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهمُ الغَاوُون * أَلَمْ تَر أَنَّهُمْ في كُلِّ وَادٍ يَهِيْمُون * وأَنَّهُم يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُون} فهو غلط وسوء تأوّل لأن المقصودين بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله ﷺ بالهجاء ومسوه بالأذى، فأما مَنْ سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال: {إلاّ الّذين آمنُوا وعَمِلُوا الصّالِحَات وذَكَرُوا اللهَ كَثِيرا وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا} يريد شعراء النبي ﷺ الذي ينتصرون له ويجيبون المشركين عنه كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله ابن رواحة)[٣].

وأما في العصر الحديث، فقد جاء في كتاب الإسلام والشعر: (فالمقصود بالشعراء هنا المشركون الذين آذوا رسول الله والمسلمين وهاجوهم، ولم يكن معنى الآية لينصرف إلى كل الشعراء بدليل استثناء الصالحين في قوله تعالى بعد ذلك {إلاّ الّذين آمنُوا وعمِلُوا الصّالحات وذَكَرُوا اللهَ كَثِيرا وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا} وظاهر الحال أن المقصود بهؤلاء الذين آمنوا، هم شعراء الرسول ﷺ حسان ورهطه الذين نصروا رسول الله بالسيف كما نصروه باللسان)[٤].

ولكن الحقيقة التي يجب الانتباه إليها أن هذه الآيات التي وردت في سورة الشعراء هي آيات مكية جاءت في سورة مكية مثلما هي كل الآيات التي تناولت الشعر والشعراء فقد كانت آيات مكية في سور مكية ولم يثبت في العهد المكي وجود شعراء مشركين وقفوا ضد الدعوة الإسلامية أو هجوا النبي والمسلمين، كما أنه لم يثبت وجود شعراء مسلمين نافحوا عن الدين الجديد ودافعوا عن النبي ﷺ.

---

(١) ومنها المراجع التي أشرنا إليها سابقاً في تناول الحديث عن موضوع العلاقة بين الإسلام والشعر.

(٢) الشعراء، آية ٢٢٧.

(٣) ابن رشيق، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، مرجع سابق، ص٢٣.

(٤) يحيى الجبوري، **الإسلام والشعر**، مرجع سابق، ص٢٣.

ولكن الباحثين والدارسين يتعاملون مع هذه الآيات على أنها آيات مدنية، نزلت لهجاء شعراء قريش الذين يهاجون النبي ﷺ والمسلمين، وجاء الاستثناء في آخرها ليستثني شعراء المسلمين الذين يدافعون عن الإسلام والمسلمين. والذي عزّز هذا الظن لديهم ارتباط تفسير هذه الآيات بحديث حسان بن ثابت -والذي سيرد بعد قليل- حيث ورد في هذا الحديث أن حسانا وكعباً وعبد الله لما نزلت هذه الآيات ذهبوا إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون، فأخبرهم النبي ﷺ بأنهم هم المقصودون بالاستثناء الذي ورد في هذه الآيات. وبناءً على هذا الحديث نظر الدارسون إلى هذه الآيات على أنها آيات مدنية تهاجم الشعراء في أولها بأنهم يتبعهم الغاوون وأنهم يقولون ما لا يفعلون وفي كل وادٍ يهيمون. وقالوا بأن المقصود بذلك شعراء المشركين الذين يهاجمون الإسلام والمسلمين بدليل الاستثناء الوارد فيها.

ولكن حقيقة الأمر أن هذه الآيات ما جاءت لتهاجم الشعراء، وإنما جاءت لتقرر حقيقتين؛ أولهما حقيقة عَقَدِيَّة يرُدُّ الله تعالى فيها على أهل مكة وهي أن هذا النبي ليس بشاعر كما كان يصفه أهل مكة. والحقيقة الثانية وصف لبعض الشعراء سواء منهم من كان قبل الإسلام أو بعده، وأن النبي ﷺ لا يمكن أن يكون برسالته الربانية هذه أحد هؤلاء الشعراء.

ويَصِحُّ ما قلناه إذا ثبت أن هذه الآيات التي وردت في سورة الشعراء مكية وليست مدنية، وسنعتمد في ذلك على اثنين من تفاسير القرآن الكريم، أولهما تفسير ابن كثير حيث يقول في تفسيره لسورة الشعراء: (لما نزلت {والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُوْنَ} جاء حسان بن ثابت وعبد الله ابن رواحه وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون قالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنّا شعراء. فتلا النبي ﷺ {إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} قال: "أنتم"، {وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً} قال: "أنتم"، {وانْتَصَرُوْا من بَعْدِ مَا ظُلِمُوا} قال: "أنتم")[1]. ومضى ابن كثير في تفسيره يقول: (ولا شك أنه استثناءٌ ولكن هذه السورة مكيّة، فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء الأنصار؟ وفي ذلك نظر، ولم يتقدم إلا مرسلات لا يعتمد عليها والله أعلم، ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبساً من شعراء الجاهلية بذم الإسلام وأهله ثم تاب وأناب ورجع وأقلع وعمل صالحاً وذكر الله كثيراً في مقابلة ما تقدم من الكلام السيء. فإن الحسنات يذهبن السيئات)[2].

فابن كثير يقرر أن هذه الآيات مكية وليست مدنية، وأن الاستثناء الوارد فيها لا يخص شعراء المسلمين في العهد المدني، وإنما هو استثناء عام لكل من ينطبق عليه المعنى الوارد

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٣، مرجع سابق، ص ٣٥٤.

(٢) **المرجع ذاته**، ص ٣٥٤.

فيها. وأما حديث حسان وصحبه فيعتبره من المرسلات التي لا يعتمد عليها في إثبات مدنية هذه الآيات. وإذا كان للباحث أن يقف عند حديث حسان بن ثابت، فإن أغلب الظن فيه أن حسانا وصحبه قد ذهبوا إلى النبي ﷺ ليس عند نزول هذه الآية، وإنما عندما سمعوها وقرأت عليهم لأول مرة في المدينة، فليس بالضرورة أن يكون كل الأنصار قد سمعوا وقرأوا كل القرآن المكي دفعة واحدة، فلربما قرئ عليهم على فترات متتالية، فحينما سمعوا بهذه الآيات، ذهبوا إلى النبي ﷺ كما ورد في الحديث. خاصة وأنه لم يرد تحديد زمني يثبت تأخر الفترة التي حدث فيها حديث حسان هذا، وربما حصل ذلك في بداية العهد المدني.

وأمر آخر يثبت أن هذه الآيات مكية وليست مدنية وهو أن هذه الآيات تسير بتناسق وتناغم مع الأفكار الرئيسة التي جاءت فيها سورة الشعراء كلها، وهذا ما ذهب إليه سيد قطب في تفسيره والذي لم يشر فيه إلى أن هذه الآيات مدنية في سورة مكية، بل على العكس من ذلك فهو يتناول آيات هذه السورة كلها على أنها آيات مكية، فيقول: (موضوع هذه السورة الرئيسي هو موضوع السور المكية جميعاً.. العقيدة.. ملخصة في عناصرها الأساسية: توحيد الله.. والخوف من الآخرة.. والتصديق بالوحي المنزل على محمد رسول الله ﷺ)[١]. ويمضي في تفسيره فيقول: (ذلك أن السورة تواجه تكذيب مشركي قريش لرسول الله ﷺ واستهزائهم بالنذر، وإعراضهم عن آيات الله، واستعجالهم بالعذاب الذي يوعدهم به، مع القول على الوحي والقرآن، والادعاء بأنه سحر أو شعر تتنزل به الشياطين)[٢].

وعليه فإن الآيات الكريمة التي جاءت في سورة الشعراء يمكن أن نستخلص منها أمرين اثنين؛ أما الأول فهو أمر يتعلق بأساس العقيدة الإسلامية وهو أن هذا القرآن إنما هو خطاب رباني نزل على رسول الله ﷺ لهدف أكبر وأسمى من قول الشعراء الذين يتبعهم الغاوون والذين هم في كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلون. وأما الأمر الثاني فيمكن استنباطه من الاستثناء الذي جاء في هذه الآيات وهو أن الإسلام يريد تهذيب الشعر في أن يبتعد عن بعض الأغراض التي لا تتوافق والدين الجديد مثلما عمل على تهذيب العديد مما توارثته العرب من العهد الجاهلي ليتوافق مع ما جاء به الإسلام.

وأخيراً نخلص من كل ما تقدم في موضوع القرآن والشعر إلى ما يلي:

أولاً: أنه لم يرد في القرآن الكريم ما يحرم الشعر أو يضع من قدر الشعراء (فلو أن الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبي ﷺ شعراء يثيبهم على الشعر ويأمرهم بعمله ويسمعه

---

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، المجلد الخامس، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٢٥٨٣.

(٢) **المرجع ذاته**، ص ٢٥٨٣.

منهم)[١] بل إننا نستشهد هنا بجملة من مقدمة ابن خلدون التي يتكئ عليها كل من يقول بأن الإسلام وقف أمام الشعر أو حرّمه، حيث يقول: (ولم ينزل الوحيْ في تحريم الشعر وحظره)[٢].

ثانياً: أن كل ما جاء في القرآن الكريم عن الشعر والشعراء لم يكن انتقاصاً من قدر الشعر والشعراء وإنما هو تنزيه للقرآن العظيم والرسول الكريم من أن يكونا عند وصف العرب لهما. وهذا التنزيه إقرار لأمر في العقيدة يعتبر من الأركان الرئيسة في الإسلام وهو أن القرآن كلام الله أنزله على رسوله ﷺ.

ثالثاً: أن الحديث الرباني الذي جاء في سورة الشعراء عن بعض الشعراء هو إقرار لحقيقة بعض الشعراء في العهد الجاهلي ودعوة لأن يأخذ الشعر منحىً جديداً يتلاءم مع معطيات الدين الجديد.

ب) أقوال القدماء:

أما الأساس الثاني الذي اعتمد عليه القائلون بوقوف الإسلام بوجه الشعر والشعراء، فهو أقوال بعض القدماء، ومنها ما جاء في مقدمة ابن خلدون في الفصل التاسع والخمسين تحت عنوان (في ترفع أهل المراتب عن انتحال الشعر)، حيث يقول: (ثم انصرف العرب عن ذلك أوّل الإسلام، بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً، ثم استقرّ ذلك وأُونِس الرُّشْدُ من المِلّةِ، ولم ينزل الوحيُ في تحريم الشعر وحظره، وسمعه النبيّ ﷺ وأثاب عليه، فرجعوا حينئذٍ إلى ديدنهم منه)[٣].

فقد رأى الباحثون في مقولة ابن خلدون هذه، أن العرب انشغلت عن قول الشعر والنثر فترة من الوقت، وكانت هذه الفترة في بداية العهد الإسلامي، مما سوّغ لبعضهم الاعتماد على هذه المقولة وإيرادها كشاهد إثبات على أن الإسلام وقف في وجه الشعر والشعراء. والنقطة الأهم في هذه المقولة هي تحديد الفترة الزمنية التي سكت بها العرب وأخرسوا عن الخوض في النظم والنثر، وابن خلدون يقرر أن العرب انصرفت عن ذلك (أوّل الإسلام). ومن المفروض أن يكون المقصود بعبارة (أول الإسلام) هنا هو العهد المكي من الدعوة الإسلامية، وفي هذه

---

(١) ابن رشيق، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، مرجع سابق، ص٢٣.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ)، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق درويش الجويدي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥، ص٥٨٤.

(٣) **المرجع ذاته**، ص٥٨٤.

الفترة كان الإسلام ما يزال حبيس وادٍ غير ذي زرع من الشعراء وهو مدينة مكة، حيث لم يخرج الإسلام خارجها بعد، ولم يكن له تأثيرٌ يذكر في داخلها حتى يكون له أي تأثير خارجها. أما في داخل مكة، فقد كانت مكة قليلة الشعر أصلاً (والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا)[١] وقلة الشعر هذه ورثته مكة منذ العهد الجاهلي وقبل الجهر بالدعوة الإسلامية (ولم تكن مكة في الجاهلية تُعرف بشعر إلا بعض مقطوعات تُنسب لورقة بن نوفل وغيره من المحنَّفين، ومقطوعات أخرى تنسب لبعض فتيانها مثل نُبيْه ومسافر اللذين ترجم لهما أبو الفرج في أغانيه)[٢] أما خارج مكة (فإن شعراء القبائل ظلوا ينظمون شعرهم بالصورة الجاهلية إلى أن دخلوا في الإسلام)[٣] ومعروف أن معظم هذه القبائل قد دخلت الإسلام بعد فتح مكة.

وعليه فإن الإسلام لم يعمل على إسكات العرب من قول الشعر في العهد المكي، كما أنه لا يمكن لهذه الفترة (العهد المكي) أن تكون بداية لفترة التوقف التي أشار إليها ابن خلدون. أما إذا كان المقصود بعبارة (أول الإسلام) من قول ابن خلدون أوله من العهد المدني، فإن بداية فترة السكوت هذه عندها تكون مع بداية الهجرة، أما نهايتها فإن ابن خلدون نفسه قد وضع حدّاً لها وكان ذلك بأمرين اثنين؛ أولهما أن الوحي لم ينزل في تحريم الشعر وحظره. وثانيهما حين سمع النبي ﷺ الشعر وأثاب عليه، فعندها (رجعوا حينئذٍ إلى ديدنهم منه)[٤]. أما الأمر الأول وهو تحريم الوحي للشعر وحظره فهي فترة مفتوحة منذ بدء التنزيل إلى أن لحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى، وطيلة هذه الفترة لم تذكر لنا المصادر القديمة عن شاعر واحد عزف عن قول الشعر بانتظار الأمر الرباني حول الشعر والشعراء. وأما الأمر الثاني في نهاية فترة التوقف هذه والتي حددها ابن خلدون نفسه باستماع النبي ﷺ للشعر وإثابته عليه، فإن أول ما تقع أيدينا عليه من الشعر الذي استمع إليه النبي ﷺ فهو قول قُتيلة بنت الحارث في رثاء أخيها النَّضْر بن الحارث الذي قتله المسلمون في معركة بدرٍ[٥] حيث رثته في مقطوعة فيها عتابٌ للنبي ﷺ لقتل أخيها، فقال النبي ﷺ بعد أن سمع شعرها: لو بلغني هذا قبل قتله لمَنَنْتُ عليه، وهذا الشعر الذي (بلغ) النبي قد قيل بعد معركة بدر.

---

(١) محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ)، **طبقات الشعراء**، إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص٦٥.

(٢) شوقي ضيف، **العصر الإسلامي**، الطبعة السادسة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣، ص٤٧.

(٣) **المرجع ذاته**، ص٤٦.

(٤) ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ص ٥٨٤.

(٥) **السيرة النبوية**، ج٣، مرجع سابق، ص٤٤.

هذا إضافة إلى العدد الكبير من القصائد والمقطوعات الشعرية التي قالها الشعراء المسلمون في أعقاب كل غزوة وليس ابتداءً من غزوة بدر الكبرى وحتى شعر الوفود بل وقبل ذلك في سرية عبد الله بن جحش الذي قال فيها شعراً يخاطبُ فيه قريشاً حيث قال[١]:

تَعدُّونَ قَتْلاً فـــي الحَـــرامِ عظِيْمَـــةً وأعظَمُ منه لـــو يـــرى الرُّشْـــد راشِـــدُ

والناظر في الشعر الإسلامي في العهد المدني لا يجد فترة انقطاع أو سكوت عـــن قـــول الشعر لفترة يمكن أن تُعدَّ أو تُذْكَر في عمر الشعر العربي في العهد الإسلامي سواء أكان ذلـــك في العهد المكي أم في العهد المدني[٢]. وعليه فإننا لا نجد لمقولة ابن خلدون هـــذه فـــترة مـــن الزمن يمكن أن نعلقها عليها، وفي أكبر الظن أنها لا تعدو عن كونها اجتهاداً شخصيّاً لتفسير مـــا ظن الدارسون أنها حقيقة واقعة وهي أن الإسلام عمل على ضعف الشعر في صدر الإسلام.

وحيث أنه قد ثبت فيما سبق عدم وجود فترة زمنية -طالت أم قصرت- انقطع فيها حبـــل الشعر العربي بعد مجيء الإسلام، فإن هذا ردٌّ ليس فقط على مقولة ابن خلدون السابقة، بل أيضاً على رأي ابن سلام الذي عقّب فيه على قول عمر بن الخطاب ﷺ. حيث أن تعقيب ابن ســـلام هذا يعتبر أيضاً من الأسس التي اعتمد عليها القائلون بالتأثير الســـلبي للإســـلام علـــى الشـــعر والشعراء. ورأي ابن سلام هذا جاء بعد أن أورد مقولة عمر بن الخطاب ﷺ حيث يقول: (كـــان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه)[٣] فيُعقِّبُ ابن سلام على ذلك، ويقول: (فجاء الإســـلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد، وغزوا فارس والروم ولَهِيَتْ عن الشعر وروايته. فلمـــا كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر...)[٤]. ويلاحـــظ في رأي ابن سلام هذا أنه يعتمد على وجود فترة زمنية انشغل العرب فيها عن الشـــعر، وهـــذا الانشغال كان بسبب الجهاد.

أمّا من حيث أنه وجدت فترة زمنية انقطع فيها قول الشعر بسبب الإسلام، فقد بيّنـــا عـــدم صحة ذلك في دراستنا لمقولة ابن خلدون السابقة، وأمّا من حيث أن الجهاد كان سبباً في انشـــغال العرب عن قول الشعر، فإن الواقع الفعلي يثبت عكس ذلك سواء في العهد النبوي أو فـــي عـــهد

---

(١) ينظر في ذلك ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢، مرجع سابق، ص٢٥٦.

(٢) يرى شوقي ضيف في كتابه **العصر الإسلامي**، ص٤٣، أن (انصرافهم عن الشعر -إن صح- إنما كان لمدة عامين أي إلى أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى)، ولكنه يعود ويقول: (وحتى في العامين الأخـــيرين مـــن حياته عامي الوفود كان كل وفد يقدم ومعه خطباؤه وشعراؤه).

(٣) ابن سلام، **طبقات الشعراء**، مرجع سابق، ص١٠.

(٤) **المرجع ذاته**، ص١٠.

الخلفاء الراشدين[١]، حيث أن المعارك والغزوات التي حدثت، في العهد النبوي أو معارك الفتوحات التي حدثت في عهد الخلفاء الراشدين قد أنطقت بالشعر من لم يكن له باع في هذا المجال، حيث (أن الأحداث الكثيرة التي واكبت الدعوة الإسلامية منذ ظهورها إلى انتشارها أدت إلى ازدهار الشعر لا خموله، وفتحت أمام الشعراء آفاقاً جديدة للقول لم يعرفوها من قبل، وأوجدت في نفوس الكثيرين دوافع للنظم لم تكن لتوجد دونها، فنطق به من لم يكن ينطق من قبل)[٢].

وعليهِ، فإنّنا لسنا بحاجة لإيراد الشواهد التي تدفع ما قيل من أن القرآن وقف ضد الشعر والشعراء، أما قضية الضعف الفني في شعر هذه الفترة، فذاك أمر لا يجب أن نعزوه إلى وجود نص قرآني أدى إلى ذلك، وإنما مردّه إلى طبيعة التحول الذي طرأ على المجتمع العربي، وسيتم تناوله مفصلاً فيما سيأتي من هذه الدراسة وذلك أثناء الحديث عن الأغراض الشعرية، ثم الهيكل العام للقصيدة، ثم الحديث عن أسلوب الشعر في هذه الفترة. وأول ما نبدأ به دراسة موضوع الأغراض الشعرية في العهد النبوي.

الأغراض الشعرية

إن الناظر في الشعر الإسلامي في العهد النبوي يستطيع حصر هذا الشعر وتقسيمه إلى عدة أقسام، وهو مطمئن إلى أنّ هذه الأقسام قد احتوت جُلّ ما قيل من الشعر في هذه الفترة. خاصة وأنها فترة محصورة بين حدثين ظاهرين لا يمكن الخلط فيهما أو الالتباس، وهذان الحدثان هما، هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وهي نقطة البداية. والحدث الثاني وفاته ﷺ وهي نقطة النهاية. وبين هذين الحدثين عشر سنوات كانت مليئة بالأحداث التي ألهبت المشاعر وأنطقت الشعراء بهذا الشعر الذي نستطيع أن نضع جُلّه -إن لم يكن كله- في عدة أقسام هي:

١- الشعر الحربي الذي قيل في السرايا والغزوات والمعارك. وكان بمثابة سجل لهذه المعارك، ونستطيع تسميته بشعر الفخر والبطولة.

٢- شعر الهجاء الذي كان يدور بين الشعراء المسلمين من ناحية وبين شعراء المشركين من ناحية أخرى.

---

(١) ينظر في ذلك النعمان عبد المتعال القاضي، **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.

(٢) محمد عبد القادر أحمد، **دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي**، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٦، ص٣٥.

٣- شعر المديح، وهو شعر قليل إذا ما قيس بغيره من أقسام الشعر الإسلامي، وأكثر ما كان يدور حول شخص النبي ﷺ.

٤- شعر الرثاء والذي قيل في شهداء المسلمين وفي رثاء النبي ﷺ.

٥- شعر الوفود وقد قيل في أواخر العهد النبوي من شعراء القبائل التي كانت تفد إلى النبي ﷺ معلنة إسلامها.

٦- شعر الاعتذار، وقد قيل من شعراء تأخر إسلامهم وكان لهم قبل ذلك مواقف معادية من الإسلام والرسول ﷺ. ومن هؤلاء الشعراء كعب بن زهير والحارث بن هشام والزبرقان بن بدر وعبد الله بن الزبعرى.

وآخر قسمين من هذه الأقسام شعر قيل في نهاية العهد النبوي، ولم يكن فيه من شعر البطولة شيء يستحق الوقوف عنده، حيث أنه كان يعالج أموراً ليست قريبة من موضوع الدراسة، وهو شعر البطولة في العهد النبوي.

أما الأغراض الأخرى أو الأقسام الأخرى لشعر هذه الفترة، فهي التي تناولتها هذه الدراسة سواء في الفصل الأول أو في الفصل الثاني. على أن حقيقة وجود الحدود أو الفواصل بين هذه الأغراض لم تكن ظاهرة بشكل جلي وواضح في أغلب شعر هذه الفترة، بل إننا تعسفنا في إيجاد هذه الفواصل لغايات الدراسة فقط، وخير لهذا الشعر أن يؤخذ على جملته ويوسم بأنه الشعر الذي يمثل البطولة الإسلامية في العهد النبوي، تلك البطولة التي كانت وراء انتشار الدعوة الإسلامية في عهدها الأول. وهذا أولى من تقسيم هذا الشعر إلى أغراض أو فنون، ذلك أنه (ليس من صالح الدراسة الشعرية أن نفصل بين هذه الفنون في القصيدة الواحدة، أو في جملة قصائد، وخيل للدارس أن يتناول هذا الشعر على أنه وحدة عامة ذات مظاهر معنوية أو جزئية شتى تقوم بمهمة عامة هي تحقيق الفوز للإسلام)[١].

وقد جاءت الأغراض الشعرية في الشعر الإسلامي منسجمة مع روح الدعوة الإسلامية ومتلائمة مع مبادئ الدين الجديد، فغابت أغراض شعرية كثيرة كانت إلى عهد قريب جداً تعلو في سماء الشعر العربي وتتناقلها الألسن بين شتى أجزاء الجزيرة العربية ومن ذلك الشعر الغزلي وخاصة المتهتك منه، والخمريات، والهجاء المقذع، والتفاخر بالأنساب والعصبيات القبلية وغيرها.

---

(١) أحمد الشايب، **تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني**، دار القلم، بيروت، ١٩٤٥، ص١٠٦.

وعلى الرغم من أن الشعر الإسلامي في معظمه قد صدر من شعراء كانوا يتناولون هذه الأغراض التي عزفوا عنها تمشياً مع تعاليم الدين الجديد، وخير شاهد على ذلك الشاعر حسان ابن ثابت، (فقد تجنب الغزل الفاحش أو الفخر بالميسر والخمر كما اعتاد في جاهليته، وأصبح أكثر استجابة للموضوعات التي يمكن أن تخدم الدعوة وصاحبها ﷺ بعيداً عن المحرمات)[١]. وترجع أهمية حسان بن ثابت (إلى أنه من أبرز الشعراء الذين رفعوا راية النضال الشعري ضد المشركين، وأنه اقوى شاعر اعتمد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، في الذبّ عن أعراض المسلمين، ضد هجاء قريش أول الأمر)[٢]، وقد ساانده في ذلك صاحباه كعب بن مالك وعبد الله ابن رواحة، حيث نلحظ لديهم جميعاً (تحولاً في الموضوعات والمعاني عن المسار الذي كان عليه الشعر في عصر ما قبل الإسلام، إذ تطبّع شعرهم بما خطّهُ الإسلام من خلق ديني وقيم جديدة، فتأثر شعرهم تبعاً لذلك فعفّ لسانهم عن الكثير من أغراض الجاهليين ومعانيهم التي تسلك سبيل الغواية وتنأى عن الهدى والرشاد)[٣]. وصارت أغراض شعرهم منسجمة مع مبادئ الدين الإسلامي، وضمن الإطار الذي يخدم الدعوة وصاحبها والتابعين لها.

ومن هذه الأغراض؛ **المديح:** والذي يسترعي الانتباه في شعر المديح في هذه الفترة أمران؛ أولهما قلة هذا الشعر. وثانيهما أنه كان يدور في معظمه حول شخص النبي ﷺ، وقلة شعر المديح هنا ليست فقط بالنسبة إلى فترات سابقة أو لاحقة لهذه الفترة، وإنما هي فعلاً قلة ملحوظة في ذاتها. ولعل مردّ ذلك إلى أسباب منها: تأثر الشعراء بالمبادئ الإسلامية الجديدة والتي جاءت لتحول دون تعظيم الأشخاص وتقديسهم، خاصة إذا كان المديح فيه من المبالغة ما ينسجم مع أهواء الشعراء وميولهم بعيداً عن الحقيقة والواقع. والسبب الثاني هو أن طبيعة المرحلة التي عاشها الشعراء المسلمون فيها من الأحداث الجسام ما شدّت انتباه الشعراء عن موضوع المدح والتملّق إلى ما هو أهمّ من ذلك وهو نشر الدعوة الإسلامية وبناء الدولة الإسلامية، وإبعاد العباد عن عبادة العبادة والأوثان وأن تكون العبادة خالصة لله تعالى وحده. وأما السبب الثالث فهو أن معظم شعر المديح في هذه الفترة كان يدور حول شخص النبي ﷺ، من منطلق الأهمية الدينية والقيادية في شخصه ﷺ، فهو النبي والقائد والزعيم للجماعة الإسلامية في هذه الفترة التي (لم تكن فترة يُخصِبُ فيها شعر المديح ويزدهر، لأنها فترة جهاد وتأصيل

---

(١) عبد الله التطاوي، **القصيدة العربية بين الجاهلية وصدر الإسلام**، مرجع سابق، ص٣٠٥.

(٢) يحيى الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١، ص٦٣.

(٣) محمد عثمان علي، **في أدب الإسلام، عصر النبوة والراشدين وبني أمية**، الطبعة الثانية، دار الأوزاعي، بيروت، ١٩٨٦، ص١٢٨.

للعقيدة والمبدأ، لا لتقريظ الأشخاص والسادة والعظماء، فالسيد الأول في هذا المجتمع الأمثل، محمد ﷺ، كان أزهد الناس في المديح وأبعدهم عن الاستعلاء، وحب العظمة والشموخ)[١]. ومع ذلك فقد جاء في هذه الفترة شعر في النبي ﷺ تم إيراده وتبويبه في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

الفخر: وأكثر ما جاء الفخر في الشعر الذي قيل في الغزوات والمعارك. والفخر من الأغراض التي هذبها الإسلام، فلم يعد فخر الشعراء على أساس قبلي، من حيث التغني بالقبيلة ورفع شأنها، بل تعدّى هذه القيم، إلى الفخر بالإسلام والقيم الجديدة التي جاء بها الإسلام، من مثل الفخر بالإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله وحب الشهادة والفخر بالفوز بالجنة وفي ثواب الشهداء والمجاهدين عند الله تعالى، والفخر بانتصارات المسلمين على المشركين -تلك الانتصارات التي جاءت بتأييد من الله تعالى- بل إنهم فخروا أيضاً بقتال الملائكة مع المسلمين. وكل هذه القيم الجديدة في الفخر هي التي شكلت المفهوم الجديد للبطولة في الإسلام والتي تم تناولها في الفصل الأول من هذا البحث. وغرض الفخر هذا كان أكثر الأغراض الشعرية صلة بالإسلام، حيث أن هذه الأشعار وُلِدَت من رحم المعارك والغزوات التي خاضها المسلمون جهاداً في سبيل الله، ولا تخفى مكانة الجهاد وأهميته في الحياة الإسلامية الجديدة، وقد كان معظم الشعراء من الأبطال المقاتلين الذين شاركوا في هذه المعارك بسيوفهم قبل أن يشاركوا بألسنتهم.

ومثلما تبين سابقاً فقد جاء الفخر على نوعين؛ فردي وجماعي؛ أما الفخر الفردي -وقد كان قليلاً- فقد كان الشاعر فيه يتغنى بصفاته وأخلاقه ونسبه. وأما الفخر الجماعي -وهو الأعم الأغلب- فقد كان يشيد الشعراء فيه ببطولة المسلمين بشكل عام وإقبالهم على الجهاد في ساحات الوغى. وحتى مَن كان يخص قبيلته[٢] فقط في ذلك، فإنما كان مبعث فخره في قبيلته بأنهم من جند الإسلام الذين يبلون بلاءً حسناً في سبيل الله.

الهجاء: اقترن الهجاء بالقتال والجهاد في سبيل الله، حيث بدأت معركة الهجاء تشتد بين شعراء المسلمين وشعراء المشركين بعد أن بدأت معارك الإسلام، وكان أولها معركة بدر وكأن هاتين المعركتين هما حال شعراء المسلمين، فهم إمّا في معركة القتال وإما في معركة الهجاء، ويصور ذلك حسان بن ثابت -الذي كان يشارك في معركة الهجاء فقط- حيث يقول[٣]:

---

(١) محمد علي الهاشمي، **كعب بن مالك الأنصاري، الصحابي الشاعر الأديب**، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٥، ص١٩٣.

(٢) فقد خص الشاعر عباس بن مرداس قبيلته بني سليم في ذلك.

(٣) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٦٢.

لَنَـا فـي كُـلِّ يَـوْمٍ مِـنْ مَعَـدٍّ سِـبَابٌ أو قِتَـالٌ أو هِجَـاءُ

فَنُحْكِمُ بِـالقوافي مَـنْ هَجانَـا ونَضْـرِبُ حِيْـنَ تَخْتَلِـطُ الدِّمَـاءُ

وكان الهجاء في هذه المرحلة بمنزلة وسيلة إعلامية في الدفاع عن الإسلام والمسلمين، بل إنها أداة إعلامية حتمية الوجود، واصبحت مطلباً رسمياً، حتى أن النبي ﷺ (قال لحسان بن ثابت اهجهم -يعني قريشاً- ومعك جبريل روح القدس، والقَ أبا بكر يعلمك تلك النهنات)[١]، وحين انبرى الشعراء الثلاثة في هجاء المشركين وهم حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، قال فيهم النبي ﷺ (هؤلاء النفر أشدّ على قريشٍ من نضح النبل)[٢]، ولكن وبالرغم من ذلك فإن على الشعراء المسلمين أن لا يتجاوزوا في هجائهم المبادئ الإسلامية التي جاء بها الدين الجديد، فقد قال النبي ﷺ: (مَنْ قال في الإسلام هجاءً مقذعاً فلسانه هدر)[٣].

وعليه فقد جاء الهجاء الإسلامي للمشركين ليس بسبب عصبية قبلية أو قذفاً لأعراض الناس بسبب أو بدون سبب، وإنما كان بسبب ابتعادهم عن الدين وإشراكهم بالله تعالى، وبسبب الكفر والشرك بالله استحق المشركون الهجاء، ولكن هذا الهجاء -وكما رأينا في الأمثلة الشعرية في الفصل الثاني من هذه الدراسة- أخذ من الهجاء الجاهلي الشكل والمضمون، وخاصة لدى الشاعرين حسان بن ثابت وكعب بن مالك اللذين (كانا يرميان قريشاً عن بصيرة حين غلبت على هجائهما صورة الهجاء القديمة، لأنها هي التي كانت تؤذي نفوس القرشيين المكّيين، ولو أنهما رمياهم بالشرك وعبادة الأوثان لما نالا منهم، إذ كانت تلك عقيدتهم وكانوا يعتزون بها، ومن ثم اتجه حسان وكعب هذه الوجهة، فطعنا في الأحساب والأنساب وعيّرا سادتهم وفرسانهم بالفرار من الحرب وتواعداهم بالبلاء المستطير)[٤].

ومع هذا رأينا هناك هجاءً نستطيع تسميته هجاءً إسلامياً لأنه متأثر بالأسلوب القرآني في الهجاء -وإن كان قليلاً ولكنه موجود- وهو الأسلوب الذي انتهجه عبد الله بن رواحة، حيث كان يعيّر المشركين بالشرك وعبادة الأوثان، وسوء المنقلب والمصير، والابتعاد عن هدي النبي ﷺ.

وقد تبين أن الهجاء كان على نوعين: فردي، وكان يُخَصُّ به شعراء المشركين، وجماعي، مثل هجاء مشركي قريش، وبعض القبائل العربية، وقبائل اليهود مثل بني قريظة وبني النضير.

---

(١) ابن رشيق، **العمدة في صناعة الشعر والنثر**، مرجع سابق، ص٢٣.

(٢) **المصدر ذاته**، ص٢٣.

(٣) **المصدر ذاته**، ص٣٨٠.

(٤) شوقي ضيف، **العصر الإسلامي**، مرجع سابق، ص٥٠.

الرثاء: (والرثاء فن يعبر به الشاعر عن حرقة القلب ولوعته على الفقيد، ويشدو خلائقه وسجاياه، ويعدد فضائله ومزاياه، ويبين الأثر الذي أحدثه فقده في الحياة والناس. فالرثاء في أصله مديح للميت ملفوف بوهج العاطفة الحزينة)[١]. وقد رأينا الرثاء في الجاهلية يقوم على البكاء والنواح والعويل على الميت بألفاظ حزينة مؤلمة، ويسهب في الثناء على الميت وذكر فضائله وتعداد محامده، وكان في الهجاء الجاهلي تفكّر في رحلة الحياة، ومصير الناس، وحتمية القدر، وذلك بقصد التعزية والسلوان.

ولكن الرثاء في العهد النبوي لم يكن (إلا صورة من صور الدعاية للدين، وبث الأفكار الإسلامية، إن شعراء المسلمين كانوا يمزجون رثاءهم لقتلاهم بثواب الآخرة، والتنعم بجنان الخلد. والاستشهاد في سبيل الدين هو الغاية السامية التي يسعى إليها المسلم)[٢] ذلك أنه ظهر لون جديد من الرثاء لم يكن مألوفاً في الشعر العربي من قبل، وهو رثاء الشهداء.

وعليه فقد تغيرت ألفاظ الرثاء في العهد النبوي، حيث لم نعد نجد ألفاظ التفجع والبكاء والحزن الشديد، ونجد هذا واضحاً في قصائد الرثاء ومقطوعاته والتي قيلت في شهداء المسلمين، وخاصة شهداء بدر وأحد وخاصة حمزة بن عبد المطلب وكذلك شهداء معركة مؤتة وعلى رأسهم قادة الجيش الثلاثة. إضافة إلى رثاء النبي ﷺ، ونشير هنا إلى ظهور لون جديد من الرثاء في هذا العهد وهو رثاء الأعضاء.

الوصف: وقبل أن ننهي هذا الحديث الموجز عن الأغراض الشعرية للشعر العربي في العهد النبوي، لا بدّ من التطرق إلى موضوع الوصف، بصفته أحد الأقسام الشعرية التي يتناولها الدارسون للشعر في أية مرحلة، وليس لأن غرض الوصف كان ظاهراً في شعر هذه الفترة. بل على العكس من ذلك فهو من أقل الأغراض الشعرية التي يمكن ملاحظتها. وأكثر ما اقتصر الوصف هنا على وصف الجيش والمعارك وقد جاء بشكل مقتضب لا يرقى إلى مستوى الأثر الذي أحدثته الجيوش الإسلامية من خلال المعارك التي خاضتها.

ولعل سبب قلة شعر الوصف وضعفه في هذه الفترة يعود إلى أن أجزاء كثيرة من القصيدة العربية قد غابت عن قصائد هذه الفترة. فقد غاب شعر الأطلال وما كان فيه من الوصف، إضافة إلى الشعر الغزلي وما كان فيه من وصف حسي للمرأة أو المعشوقة. وغاب كذلك وصف الراحلة ووصف الطبيعة أثناء رحلة الصحراء، وكذلك غاب شعر الخمريات ووصفها، إلا قليلاً كما ظهر ذلك في قصيدة الفتح لحسان بن ثابت وقصيدة البردة لكعب بن

---

(١) محمد علي الهاشمي، **كعب بن مالك الأنصاري، الصحابي الشاعر الأديب**، مرجع سابق، ص٢٥١.

(٢) يحيى الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، مرجع سابق، ص١١٩.

زهير. وكل ذلك جاء استجابة لتعاليم الدين الجديد ومبادئه، وتمشيا مع طبيعة المرحلة الجهادية السريعة التي لم تترك للشعراء متسعاً من الوقت لإيجاد صيغة شعرية جديدة تقوم على التفاهم والتناغم بين الشكل القديم للشعر العربي والمضمون الجديد وفق معطيات المبادئ الإسلامية الجديدة.

الهيكل العام للقصيدة

من المعلوم أنّ القصيدة العربية في العهد الجاهلي -وتحديداً فترة ما قبل الإسلام- كانت قد توصلت إلى هيكلها العام بشكل كاد أن يصبح نمطياً يسير عليه كل الشعراء. وهو إما أن يأخذ الشعر نمط القصائد المطولة ومنها المعلقات، وإما أن يأخذ شكل المقطوعات الصغيرة. على أن الدارس يكاد يجزم بأن القصائد الطويلة هي الأغلب الأعم في الشعر الجاهلي.

أما القصائد الطوال فقد كانت تبدأ بذكر الأطلال، ثم ينتقل الشاعر إلى النسيب ومنه إلى وصف رحلته في الصحراء، فذكر ناقته التي تحمله عبر هذه الرحلة، حتى يصل إلى غرضه الرئيسي. وبين هذه الأجزاء أو الأقسام كانت هناك وقفات مع وصف للأطلال ثم حديث مفصل عن وصف المرأة وصفاً حسياً، يصل في بعض الحيان إلى الغزل المتهتك. ثم ذكر للمخاطر التي كان يواجهها الشاعر أثناء رحلته ودور راحلته في الخلاص من هذه المخاطر من خلال وصف دقيق لأعضاء الراحلة مع تشبيهها بما شاء من الحيوانات الأخرى. ومع كل هذه الأقسام والموضوعات التي قد تبدو موضوعات مختلفة، إلا أنه كان هناك وحدة موضوعية في القصيدة الجاهلية (تقوم على أساس تنمية الشاعر لأقسام القصيدة تنمية عضوية ينشأ كل جزء من سابقه نشوءاً طبيعياً مقنعاً، ويستدعي الجزء الذي يليه استدعاءً حتمياً، حتى تتكامل أجزاء القصيدة وتشملها عاطفة موحدة)[١].

أما النوع الثاني وهو شعر المقطوعات، فهو (الشعر الذي قيل في حدث معين، واتصل بموضوع واحد لا يحوج الشاعر إلى أن يبني قصيدة كاملة ذات أغراض متعددة)[٢]. ولكن هذا النوع من الشعر كان قليلاً نسبياً في العهد الجاهلي.

أما الشعر الإسلامي في العهد النبوي، فقد بقي يسير على هذين النمطين في شكل القصيدة، ولكن الملاحظ هو اختلاف النسبة في الكم والعدد، حيث يلاحظ أن معظم الشعر الإسلامي قد جاء على شكل مقطوعات صغيرة تصل في حدّها الأدنى إلى البيت أو البيتين[٣]. والمقطوعات الإسلامية ليست جديدة، بل هي امتداد لنوع من الشعر كان موجوداً في العهد الجاهلي، ولكن الجديد في الأمر هو الدافع وراء كثرة هذه المقطوعات وقلة القصائد الطوال.

---

(١) يحيى الجبوري، **الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه**، مرجع سابق، ص١٥٦.

(٢) محمد عثمان علي، **في أدب الإسلام، عصر النبوة والراشدين وبني أمية**، مرجع سابق، ص٢١٢.

(٣) ينظر في ذلك كتاب: حسين عطوان، **مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام**، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧.

ولعل من أولى هذه الأسباب، هو أن القصيدة العربية المطولة بمضمونها الجاهلي قد أصبحت تتعارض مع المبادئ الإسلامية وخاصة في موضوع ذكر المرأة بشكل عام والغزل المتهتك منه بشكل خاص، فحذفت مثل هذه الموضوعات من جسم القصيدة العربية، ومثلها ما كان في موضوع شعر الخمرة أيضاً. ولا نستطيع أن نجزم في الرأي حول الابتعاد عن ذكر الطلل وذكر الراحلة. وإن كان في الرأي ما يبرره، حيث أن عملية الوقوف عند الأطلال والحديث عنها بالشكل الذي كان، وبما يكون فيه شبهة التمجيد والتعظيم للأماكن وما قد يكون في ذلك من الاقتراب من الوثنية التي جاء الإسلام لزلزلة كيانها وهدمها. أما الراحلة التي كان يمتطيها الشاعر في رحلة الصحراء فلم تكن مجرد راحلة لإيصاله إلى مكان مبتغاه، فقد تعددت ذلك لتصبح أنيساً له في وحشته، ومعيناً له على مخاطر الطريق، ومعلومٌ أنه في المبادئ الإسلامية ما يرتفع بالفرد ليتخذ من إيمانه بالله تعالى ليصبح له الأنيس والمعين.

أما السبب الثاني وراء كثرة المقطوعات الشعرية في العهد النبوي، فهو كثرة الأحداث الإسلامية وتسارعها في هذه السنين العشر. ويكاد الشعراء المسلمون في هذا العهد يقفون كلّ قصائدهم على موضوع الدين الجديد، فكان الشعر الإسلامي انعكاساً لهذه الأحداث، والتي كانت كلها غزوات ومعارك وفتوحات. فهذه الأحداث (دفعتهم في كثير من الأحيان إلى التخلي عما ألفوه في بناء القصيدة إلى الموضوع مباشرة دون أن يحفلوا بمقدمات أو تصريع)[١]. فكان معظم الشعر وليد المواقف السريعة، فشاعت ظاهرة الارتجال في قول الشعر بشكل نلمس أثره وانعكاسه على الناحية الفنية في شعر هذه الفترة.

ولعل هناك سبباً ثالثاً، بحاجة إلى دراسة نفسية بشكل متعمق أكثر من الإشارة إليه بهذه العجالة، وهو عدم وضوح الحدود والمساحة التي يتركها الدين الجديد للشعراء للتحرك ضمنها، فالإسلام لم يكن قد اكتمل بعد وعليه لم تكن قد اتضحت كامل هذه الحدود للشعراء. فرأيناهم يلجأون إلى طرق موضوعاتهم التي تلحّ عليهم مباشرة في ثوب مقطوعات صغيرة، معتمدين على ألفاظ ومعانٍ مما كان قد اتضح لهم في حينه من المبادئ الجديدة.

والأسباب الثلاثة السابقة تعود إلى الحديث عن موضوع الإرباك الذي حدث للشعراء المسلمين في بداية الدعوة الإسلامية، وهذا الأمر جزء من مشكلة الشعراء المخضرمين بعامة[٢]، والدارس يلحظ وبوضوح أن الشعراء وقعوا في الحيرة والإرباك في العهد النبوي. على أن اضطراب الشعراء كان في موضوع الشكل أقلّ منه في المضمون، وخاصة في مجال استخدام

---

(١) محمد عثمان علي، **في أدب الإسلام، عصر النبوة والراشدين وبني أمية**، مرجع سابق، ص٢١٢.

(٢) ينظر في ذلك يحيى الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ص ٣٤٨-٣٥٠.

الألفاظ والتراكيب والمعاني -وهذا ما سنعرض له لاحقاً-. وهذا الإرباك ناتج عن التغيير الجذري الذي أحدثه الإسلام في حياة العرب بشتى مناحيها. ومنها الشعر، على أن شعراء هذه المرحلة استجابوا لذلك وبدون عناءٍ كبير، ولم نجد أنهم في موضوع الشكل كان لديهم مشكلة كبيرة. وكأنهم لم يدخلوا من عهد الشعر الجاهلي، بل كأنه استمرار لما سبق، فالشاعر كان يتناول موضوعه بالشكل الذي يراه مناسباً وحسب الحاجة، فمنهم من تناول موضوعه حسب الطريقة القديمة، ومنهم من تناول موضوعه مباشرة بمقطوعات أو أبيات قليلة، وهذا هو الأعم السائد في هذه الفترة.

وإذا كان الفصلان الأول والثاني قد احتويا على كثير من الشواهد الشعرية من كلا النوعين سواء من القصائد الطويلة أو المقطوعات فإنه لا بدّ لنا الآن من إيراد بعض الشواهد من كلا النوعين على سبيل المثال والوقوف عند كل نوع منها وقفات تتناول دراسة كل نوع منها من حيث الشكل.

ومن أول ما يطالعنا من شعر المقطوعات الإسلامية، مقطوعة حسان بن ثابت التي يجيب فيها عبد الله بن الزبعرى في بكائه لقتلى بدر من المشركين، حيث يقول حسان بن ثابت[١]:

إبْـكِ بَكَـتْ عَينـاكَ ثـمَّ تبـادرَتْ ... بِـدَمٍ يَعُـلُّ غُروبَـها سـجّامِ[٢]

مَـاذا بَكَيْـتَ عَلَـى الذيـنَ تَتَـابَعُوا ... هـلاّ ذكَـرْتَ مكَـارِمَ الأقْـوامِ

وذكَـرْتَ مِنَّـا مـاجِداً ذا هِمَّـةٍ ... سَـمْحَ الخَلائِـقِ مـاجِدَ الإقْـدامِ

أعْنـي النَّبِـيَّ أخـا التَّكَـرُّمِ والنَّـدَى ... وأبَـرَّ مَـنْ يُوْلِـي علـى الأقْسَـامِ

فَلِمِثْلِـهِ ولِمِثْـلُ مـا يَدْعُـو لَـهُ ... كـانَ المُمَـدَّحُ ثَـمَّ غَـيْرَ كَـهامِ[٣]

فقد كان عبد الله بن الزبعرى قد بكى قتلى قريش في معركة بدر وأخذ يعدّد من أسمائهم السادة ويذكر مناقبهم وفضلهم. فيجيبه حسان بن ثابت بهذه المقطوعة داعياً إياه -وبشيء من الشماتة- لمزيد من البكاء المتكرر المتواصل. ولكنه يذكره بالفارق الكبير بين صفات الذين قتلوا من المشركين وبين صفات النبي ﷺ مبيناً له بأن مثل النبي ومثل دعوته هو الذي يستحق المدح والثناء.

---

(١) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٤٤١.

(٢) يعل: تكرار، مأخوذ من العلل، وهو الشرب بعد الشرب. والغروب، جمع غرب، وهو مجرى الدمع. والسجام: السائل.

(٣) كهام: ضعيف.

ومثلها مقطوعة قالها كعب بن مالك في رثاء عبيدة بن الحارث الذي استشهد على أثر قطع رجله في مبارزة معركة بدر حيث يقول[١]:

أيا عَيْنُ جُودِي ولا تَبْخَلِي ... بِدَمْعِكِ حقّاً ولا تَنْزَرِي
على سَيِّدٍ هدّنا هُلْكُهُ ... كَرِيْمِ المشَاهِدِ والعُنْصُرِ
جريءِ المُقَدَّمِ شاكِي السِّلاح ... كَرِيْمِ النَّثا طَيِّبِ المكْسِرِ[٢]
عُبَيْدَةُ أمْسى ولا نَرْتَجِيْهِ ... لِعُرْفٍ عرانا ولا مُنْكَرِ
وقَدْ كَانَ يَحْمِي غَدَاةَ القِتا ... لِ حامِيَةَ الجيْشِ بالمِبْتَرِ[٣]

ففي هذه المقطوعة يحث الشاعر عينه على البكاء الغزير على هذا البطل الذي استشهد، فهو من أصل كريم، وهو بطل في القتال، سلاحه بتار ويعتمد عليه لبطولته وإقدامه في حماية الجيش في ساحات القتال.

أما الشاعر عبد الله بن رواحة فإن ديوان شعره الإسلامي يخلو تماماً من القصائد الطوال، بل إنَّ فيه اكثر من غيره من المقطوعات التي لا تزيد على البيت الواحد أو البيتين، وله في هذا المجال مقطوعة قالها في غزوة بدر الآخرة، حيث يقول[٤]:

وَعَدْنَا أبا سُفْيَانَ بَدْراً فَلَمْ نَجِدْ ... لِمِيْعَادِهِ صِدْقاً وما كَانَ وافِيا
فأُقْسِمُ لَوْ وَافَيْتَنَا فَلَقِيْتَنَا ... لأُبْتَ ذميماً وافْتَقَدْتَ المواليا[٥]
تَرَكْنَا بِهِ أوْصَالَ عُتْبَةَ وابْنَهُ ... وعَمْراً أبا جَهْلٍ تَرَكْنَاهُ ثاوِيا
عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللهِ أُفٍّ لِدِيْنِكُمْ ... وأمْرِكُمُ السَّيْءِ الذي كان غاويا
فإنِّي وإنْ عَنَّفْتُمُونِي لَقَائِلٌ ... فِدىً لِرَسُولِ اللهِ أهْلِي ومالِيا
أطَعْنَاهُ لَمْ نَعْدِلْهُ فِيْنَا بِغَيْرِهِ ... شِهَاباً لَنَا في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هادِيا

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٠٢.

(٢) شاكي السلاح: تام السلاح، كامل الاستعداد. والنثا: ما يتحدث به عن الرجل من خير أو شر. وطيب المكسر: إذا فتش عن أصله وجد خالصاً.

(٣) المبتر: السيف.

(٤) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٣٨.

(٥) الموالي: الأنصار.

ففي هذه المقطوعة يُعيِّر الشاعر أبا سفيان -زعيم قريش- الذي أخلف الموعد لنزال ثـــان مع المسلمين في بدرٍ الآخرة، مؤكداً له أنه لو تم هذا اللقاء لحل بالمشركين مثلما كـــان أصابـــهم في معركة بدر الكبرى، وفيها هجاء لقريش لكفرهم وعصيانهم النبـــي ﷺ، مبينـــاً الفـــرق بيـــن المسلمين والمشركين في حب الرسول وطاعته.

ومثل هذه المقطوعات كثير في شعر العهد النبوي، وقد أوردنا ما سبق منها علـــى ســـبيل المثال وليس الحصر. ومنها نستطيع أن نتبين خصائص هذا النوع من الشـــعر وبـــدون كبـــير عناء. فهذه المقطوعات أولاً من حيث الكمّ قليلة عدد الأبيات قلّة ظاهرة بالمقارنة مع المطـوّلات من القصائد العربية في العهد الجاهلي. ومن ناحية ثانية تخلو من الأقسام الشـــعرية المتوارثـــة مثل المقدمة الطللية والنسيب وذكر الرحلة والراحلة. على أن أهم مـــا يميزهـــا هـــو تناولـــها لموضوع واحد محدد، دون وجود مقدمة تمهد لهذا الموضوع أو خاتمة يختم بها. وحتـــى لـــو وُجِد أكثر من معنى في المقطوعة الواحدة، فإن جميع هذه المعاني ترتبـــط بوحـــدة موضوعيـــة واحدة.

أما في مجال المطوّلات من القصائد الإسلامية في العهد النبوي، فإننا -على سبيل المثال- سنعرض لقصيدة حسان بن ثابت التي قالها في هجاء الحارث بن هشام الـــذي فـــرّ هاربـــاً فـــي معركة بدر تاركاً أبناء عمومته وشقيقه يلاقون مصرعهم في تلك المعركة. وهي قصيدة تقع فـــي ثمانية وعشرين بيتاً تتقدمها مقدمة غزلية، حيث يقول[١]:

تَبَلَّـتْ فُـؤادَكَ فـــي المَنَـــامِ خَرِيْـــدَةٌ ... تَسْـقِي الضَّجِيـــــعَ بِبَـــارِدٍ بَسَّـــامِ

كالمِسْـكِ تَخْلِطُـــهُ بِمَـــــاءِ سَـــحَابَةٍ ... أو عَـــاتِقٍ كَـــدَمِ الذَّبِيْـــحِ مُـــدَامِ

نُفُـجُ الحَقِيْبَـــةِ بَوْصُـــها مُتَنَضِّـــدٌ ... بَلْـهَاءُ غَـيْرُ وَشِـــيْكَةِ الأَقْسَـــامِ[٢]

بُنِيَـتْ علـــى قَطَـــنٍ أجَـــمَّ كأنَّـــهُ ... فُضُـلاً إذا قَعَـدَتْ مَـداكَ رُخَـــامِ[٣]

وتَكَـادُ تَكْسَـلُ أن تَجِـيءَ فِراشَـــها ... فـــي لِيْـنِ خَرْعَبَـةٍ وحُسْـنِ قَـوامِ[٤]

---

(١) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٤١٨.

(٢) نفج الحقيبة: كناية عن ارتفاع الأرداف. وبوصها متنضد: أي أردافها يعلو بعضه بعضا. بلـــهاء: عفيفـــة غفول عن الشر. غير وشيكة الأقسام: لا ترمي قسمها أو يمينها بسرعة.

(٣) القطن: ما بين الوركين. وأجم: ممتلئ باللحم. والمداك: الحجر الذي يسحق عليه الطيب أو هـــو الرخـــام. والفضل: المتوشح في ثوب واحد.

(٤) الخرعبة: اللينة الحسنة الخلق. وأصل الخرعبة: الغصن الناعم.

هذه هي مقدمة القصيدة، حديث عن فتاة أسقمت فؤاده، محبوبة ملكت عليه فؤاده، فهي خريدة ناعمة، في ريقها حلاوة يشبهه بالمسك أو الخمر. وأردافها مكتنزة باللحم، فهذا وصف حسّي لهذه المحبوبة، ولا ينسى الوصف الخارجي لها، فهي متنعمة مدللة، تمشي على كسل لفراشها، في لين غصن ناعم وقوام أخّاذ.

وعليه فهو مأخوذ بها ليله ونهاره، في صحوه ومنامه، ومن كان هذا حاله مع مثلها فإنه يحق له أن يبرّ بقسمه في أن لا ينساها ويترك ذكراها حتى يوارى في التراب.

أمّا النّهارُ فَلا أُفَتِّرُ ذِكْرَهَا ... واللّيْلُ تُوْزِعُنِي بِها أحْلامِي

أقْسَمْتُ أنْساها وأتْرُكُ ذِكْرَهَا ... حَتّى تُغَيَّبَ في الضّرِيْحِ عِظامِي

ويبدو بعد ذلك أن الشاعر يريد أن يخلص من هذا النسيب إلى موضوعه الرئيس، فينشئ حديثاً بينه وبين عاذلة تلومه في حبِّ محبوبته، فيبدأ حديثه بإعلان العصيان للوم العاذلة في هوى معشوقته، ثم إنّ هذه العاذلة تقرر أمراً، وهو أن المرء يصعب عيشه إن لم يمتلك الإبل الكثيرة، فيردُّ عليها في ذلك، فيقول: إن كنت كاذبة في هذا الأمر فنجوت منجى الحارث بن هشام، فيكون هنا قد تخلص من النسيب ودخل في الغرض الرئيس، ولكن هذا التخلص لم يكن موفقا، حيث لا ترابط أو تناسق في المعنى بين موضوع التخلص مربوطاً مع ما سبق أو ما لحق به، فهو يقول:

يا مَنْ لِعاذِلَةٍ تَلُومُ سَفاهَةً ... ولَقَدْ عَصَيْتُ إلى الهَوى لُوّامِي

بَكَرَتْ إلَيَّ بِسُحْرَةٍ بَعْدَ الكَرَى ... وتَقَارُبٍ مِنْ حادِثِ الأيّامِ

زَعَمَتْ بِأنَّ المَرْءَ يُكْرِبُ عُمْرَهُ ... عُدْمٌ لِمُعْتَكِرٍ مِنَ الأصْرامِ[1]

إنْ كُنْتِ كاذِبَةَ الّذي حَدَّثْتِنِي ... فَنَجَوْتِ مَنْجَى الحارِثِ بنِ هِشامِ

والمهم في الأمر أن الشاعر انتقل إلى الحديث عن الحارث بن هشام الذي فرّ من معركة بدر تاركاً أحبته يلاقون مصيرهم، والشاعر إذ يريد الحديث عن هروب الحارث فإنه يتحدث عن ذلك من خلال وصفه للفرس التي أعانته على هذا الهروب، وأهم ما في هذا الوصف هو سرعتها التي أعيت على غيرها اللحاق بها، فكان لهذه الفرس بعد إرادة الله الفضل في منجاة الحارث:

لولا الإلَهُ وجَرْيُها لَتَرَكْنَهُ ... جَزَرَ السِّباعِ ودُسْنَهُ بِحوامِي

---

(١) يكرب: يحزن. المعتكر: الإبل الكثيرة. الأصرام: القطعة من الإبل.

أي أنه كان مصير الحارث كمصير بقية قومه من قريش، والذين تفرقوا ما بين أسير أو قتيل أو عائدٍ بالعار والذل المبين، وكان ذلك بأيدي أبطال المسلمين الذي آبوا بالنصر المبين، وفي ذلك مقابلة بين مصير الفريقين وهي مقابلة مؤلمة للحارث وبني قومه من قريش:

طَحَنَتْهُمْ والله ينْفُذُ أمْرُهُ ... حَرْبٌ يُشَبُّ سَعِيْرُها بضرامِ

مِنْ كُلِّ مأسُوْرٍ يُشَدُّ صفادُهُ ... صقْرٍ إذا لاقى الكَتِيْبَةَ حامي

ومُجَدَّلٍ لا يسْتَجِيْبُ لِدَعْوةٍ ... حَتَّى تَزُوْلَ شَوامِخُ الأعْلامِ

بالعَارِ والذُّلِّ المُبِيْنِ إذْ رأوا ... بِيْضَ السَّيُوْفِ تَسُوقُ كُلَّ هُمامِ

وكما بدأ حسان قصيدته هذه من الموروث الجاهلي وهو النسيب فإنّه يختم أيضاً من الموروث الجاهلي وهو التعرض لنسب الحارث بن هشام حيث يعيّرُهُ بأنه من قومٍ يفِرُّون من المعارك خوفاً وجُبناً.

فَسَلَحْتَ إنَّك مِنْ مَعاشِرَ خانَةٍ ... سُلْحٍ إذا حضَرَ القِتَالُ لِئامِ

فَدَعِ المَكارِمَ إنَّ قَوْمَكَ أُسْرَةٌ ... مِنْ وُلْدِ شَجْعٍ غَيْرُ جدِّ كِرامِ

(وهكذا نرى أنّ حساناً لم يستطع أن يتخلص من الآثار الجاهلية في بناء القصيدة، ولكنه مع ذلك استطاع أن يسخر شعره لخدمة الإسلام والنيل من أعدائه)[١]. ولكنّ هذا العدو الذي خصّه حسان بن ثابت بهذه القصيدة الطويلة معيراً إياه بفراره من المعركة، لم يكن -وباعتراف الشاعر نفسه- من الأبطال الصناديد والفرسان الذين يحسب حسابهم في المعارك والطعان، ولكنه -أي الحارث بن هشام- كان له مجالٌ آخر يجلّي فيه ويرتع، وهو ميدان الشعر والبيان، فلطالما آذى النبي ﷺ وجماعة المسلمين بشعره الذي قد يكون له أثرٌ في بعض الأحيان أوجع من بطولة الأبطال في بعض ميادين القتال، ولإدراك حسان بن ثابت للأثر الذي يتركه شعر الحارث في نفوس المسلمين، فقد استغل قضية فراره من المعركة، وقال فيه قصيدته هذه لعلّه يلجم لسانه، مثلما كان الجبن يلجم سلاحه.

وفي ختام هذا التطواف القصير في موضوع الهيكل العام للقصيدة، لا بد أن نشير إلى أن شعر هذه الفترة سواء منه المقطوعات القصيرة أو القصائد الطوال كان فيه وحدة وانسجام في المعنى العام الذي يضرقه الشعراء، وهو ما يسمى بالوحدة الموضوعية. فالمقطوعات الشعرية القصيرة وجدت أصلاً لتناول موضوع محدد وبشكل مباشر، وبدون مقدمات أو خواتيم تقليدية. أما القصائد الطوال وإن كان فيها أكثر من غرض شعري، فإنما هي في المحصلة النهائية أنشئت

---

(١) محمد عثمان علي، **في أدب الإسلام، عصر النبوة والراشدين وبني أمية**، مرجع سابق، ص١٤١.

لغرض واحد وموضوع واحد، وهذا الغرض يتفق عليه -في الأغلب الأعم- جميع الشعر العربي الذي قيل في العهد النبوي، وهو الدفاع عن الدين الجديد، وهذا هو الإطار العريض الذي يجمع شعر هذه الفترة في جميع أغراضه، سواء منه الشعر الإسلامي الذي قيل في الغزوات والمعارك أو شعر المهاجاة بين شعراء المسلمين وشعراء المشركين، أو شعر المديح وبغض النظر عن الأشخاص الممدوحين، وكذلك شعر الرثاء، وحتى شعر الوفود وشعر الاعتذار إذا ما أخذناه بالنظرة الشمولية له فإنه يندرج أيضاً تحت الشعار العريض لمواضيع شعر هذه الفترة.

أمّا إلى أي مدى كان هذا الشعر موفقاً من الناحية الفنية -من حيث القوة أو الضعف- فلا بدّ من دراسة موضوعات أخرى فيه -إضافة إلى كل ما تقدم- ومن هذه الموضوعات دراسة ألفاظه وتراكيبه ومعانيه وأسلوب الشعراء في نظمه، وهل كان هذا الشعر يرقى من الناحية الفنية إلى مستوى الأحداث التي وقعت في هذا العهد؟ وهذا ما سنعرض له فيما تبقى من هذه الدراسة.

الألفاظ والتراكيب

لقد تأثر الشعر العربي تأثراً واضحاً في مجال الألفاظ بالدين الجديد، حيث أنه (من الملاحظ أن طائفة كبيرة من ألفاظ الشعر الجاهلي قد قلّ استخدامها بالتدريج منذ ظهور الإسلام حتى كادت تختفي تماماً بعد استقرار المجتمع الإسلامي في وضعه الحضاري الجديد)[١]، ففي أول قصيدة له قالها حسان بن ثابت في الإسلام تخلو تماماً من الألفاظ والتراكيب الإسلامية، وهي القصيدة التي قالها في بيعة العقبة الثانية ويجيب فيها ضرار بن الخطاب، ومطلعها[٢]:

لَسْتُ إلى عَمْرٍو ولا المَرْءِ مُنْذِرٍ إذا ما مطَايا القَوْمِ أصْبَحْنَ ضُمَّرا

ولكن ومع مرور الوقت وتوالي نزول القرآن ومتابعة تلاوته، بدأت الألفاظ الإسلامية تتغلغل في أشعار الشعراء الإسلاميين، وأخذت ألفاظ الشعر الجاهلي تنسحب من المعجم اللغوي لشعر هذه الفترة.

ومن الألفاظ التي أفل نجمها وغابت عن المعجم الشعري وبشكل تدريجي الألفاظ التي كانت أوعية للمعاني وللأقسام الشعرية التي غابت عن القصيدة الإسلامية، مثل الألفاظ التي تتحدث عن الأطلال ووصفها، والغزل المتهتك والوصف الحسي للمرأة، وألفاظ شعر الخمرة، وألفاظ وصف الراحلة ووصف الرحلة.

وظهرت ألفاظ وتراكيب إسلامية جديدة، وإن كان بعضها قد وجد في العصر الجاهلي إلا أن مفاهيمها ومعانيها قد تطورت بما يتلاءم والمعاني الإسلامية. وهذه الألفاظ الجديدة كلها تدور في فلك الدعوة الإسلامية والإيمان بالله ورسوله ومحاربة الشرك والأوثان، وكذلك في معنى الجهاد في سبيل الله، وفي الشهادة في سبيل الله وثواب الشهداء والمجاهدين، وفي الجنة والنار وغيرها العديد من ألفاظ المعاني الإسلامية الجديدة التي حفل بها القرآن الكريم.

وإذا كنا عرضنا في الفصلين الأول والثاني من هذا البحث للعديد من الشواهد الشعرية التي نجد فيها مثل هذه الألفاظ، فإننا سوف نعرض لبعض الأمثلة الشعرية التي تظهر فيها الألفاظ الإسلامية الجديدة، وذلك على سبيل المثال فقط.

---

(١) عبد القادر القط، **في الشعر الإسلامي والأموي**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٧، ص٢٣.

(٢) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٢٤٨.

فانظر إلى الألفاظ الإسلامية التي وردت في هذه الأبيات لحسان بن ثابت في مدح النبي ﷺ، حيث يقول[١]:

أغَـــرُّ عليْـــهِ للنُّبُـــوَّةِ خـــــاتَمٌ ... مِـــن اللهِ مشْـــهودٌ يلُـــــوحُ ويُشْـــهدُ

وضمّ الإلَـــهُ اسْـــمَ النّبـــيِّ إلـــى اسْـــمِهِ ... إذْ قَالَ فـــــي الخَمْـــسِ المُـــؤذّنُ أشْـــهدُ

وشَـــقَّ لَـــهُ مِـــــنِ اسْـــــمِهِ ليُجِلَّـــــهِ ... فـــذو العَـــرْشِ محْمُـــودٌ وهـــذا مُحمّـــدُ

نَبـــيٌّ أتانـــا بَعْـــــدَ يـــــأسٍ وفَـــتْرَةٍ ... مِنَ الرُّسْلِ والأوْثانُ فـــي الأرْضِ تُعْبَـــدُ

وأنْذَرَنَـــــا نـــــاراً وبَشَّـــــرَ جَنَّـــــةً ... وعلَّمَنـــا الإسْـــــلامَ فـــــاللهَ نَحْمَـــــدُ

فقد ورد فيها لفظ الجلالة، ولفظ النبي والنبوة، والمؤذن، والشهادة، وذو العرش، ومحمد، والرسل، والأوثان، ونعبد، وكذلك ألفاظ الجنة والنار، والإسلام، وقد تعمّدنا إيراد هذه المقطوعة للدلالة على الألفاظ الإسلامية الكثيرة التي وردت فيها وتكرر إيرادها أيضاً بشكل عام في شعر هذه الفترة.

كما جاء من الألفاظ الإسلامية أسماء الملائكة من مثل قول كعب بن مالك[٢]:

ويَـــوْمَ بَـــدْرٍ لَقِينـــــاكُم لنـــــا مَـــــدَدٌ ... فيـــهِ مَـــعَ النَّصْـــرِ ميكـــالٌ وجِـــبْرِيلُ

وكذلك أسماء الرسل عليهم السلام، ومن ذلك قول عبد الله بن رواحة[٣]:

وأنَّ أبـــا يحيـــى ويحيـــــى كليـــهما ... لـــه عمـــلٌ فـــي دينـــهِ متقبّـــلُ

وأنَّ الذي عـــادى اليـــهودَ ابـــنُ مريـــمٍ ... رَسُولٌ أتى مِنْ عِنْدِ ذي العرْشِ مُرْســـلُ

وأنَّ أخـــا الأحْقَـــافِ إذْ يعْذِلُونَـــــهُ ... يُجـــاهِدُ فـــي ذاتِ الإلَـــهِ ويعْـــــدِلُ[٤]

وقد حوت أبيات عبد الله بن رواحة التالية العديد من الألفاظ الإســـلامية المتكـــررة مثـــل الكفار، الرحمن، التنزيل، الصحف، حيث يقول[٥]:

خَلُّـــوا بَنـــي الكُفَّـــارِ عَـــــن سَـــبيلِهِ ... خَلُّـــوا فَكُـــلُّ الخَـــيْرِ فـــي رسُـــولِهِ

---

(١) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص١٣٤.

(٢) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٥٥.

(٣) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٦٣.

(٤) أخو الأحقاف: هود عليه السلام.

(٥) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٤٤.

قـد أنْـزل الرّحْمـنْ فـي تَنْزِيْلِـهِ فـي صُحُـفٍ تُتْلـى علـى رسُـولِه

وقد تكرر أيضا ذكر ألفاظ القرآن والكتب السماوية الأخرى ومن ذلك قـول حسـان بـن ثابت[١]:

هُـمْ أوتـوا الكِتَـاب فَضيّعُـوهُ فَـهُمْ عُمْـيٌ مِـن التّـوْراة بُـوْرُ

كَفَرْتُـمْ بـالقُرْآنِ وقـد أُوتيتُـمْ بتصديـق الـذي قـال النذيـرْ

وأمّا لفظة الجهاد فقد تكرر ذكرها كثيراً، ومن ذلك قول عبد الله بن رواحة[٢]:

رَحِـمَ اللهُ نـافِعَ بـنَ بُدَيْـلٍ رَحمَـةَ المُبْتَغـي ثَـواب الجِـهادِ

وكذلك من الألفاظ التي تكررت كثيراً لفظة الشهيد والشهادة، ومن ذلك قـول كعـب بـن مالك[٣]:

يرى القَتْلَ مَدْحـاً إن أصـابَ شـهادةً مـنَ اللهِ يرجوهـا وفـوزاً بـأحمدِ

وغير ذلك الكثير من الألفاظ التي اقتبست من المعجم اللغوي الإسلامي، والتـي جـاءت لتنسجم مع المعاني الإسلامية الجديدة، والتي لم تكن بعمومها تستخدم لدى العرب من قبل، سـواء في مجال الألفاظ أم المعاني، فكان هذا الاستخدام هو الاستخدام الأول لهم، (وكان طبيعيا لذلـك أن يكون أسلوب الشعر خاضعاً للمعنى الجديد، فصارت لغة الشعر سهلة لينـة، ابتعـدت عـن خشونة الكلمة الجديدة، وصعوبة تركيب العبارة)[٤].

لذلك ظهر الفارق بين اللفظة الجاهلية واللفظة الإسلامية في الشعر، وأدى هذا إلى ظـهور الشعور العام لدى الدارسين، والذي يقول بضعف الشعر الإسلامي في هذه الفترة. ولعل من أهم أسبابه غياب الألفاظ الجاهلية التي تمرّس العرب على استخدامها حتى تفننوا فـي ذلـك، وكـان عليهم أن يهجروها، وظهور ألفاظ جديدة استخدموها لأول مرة، وكان لزاماً عليهم استخدامها.

---

(١) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٢٥٠.

(٢) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٣٥.

(٣) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص١٩٦.

(٤) يحيى الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، مرجع سابق، ص١١٨.

المعـــــاني

من المعلوم أن الإسلام -ومنذ بدء التنزيل- كان له رأي مخـــالف لكثـير مـــن المعـــاني الشعرية التي كان يطرقها الشعر الجاهلي، فحاربها الإسلام من خلال المبادئ العامة التي جـــاء بها، فخبت جذوتها وانطفأت نارها، ومنها المعاني التي تتناول الفخر بالنسب على أساس عصبـي يثير النعرات والأحقاد والضغائن. ولكن هناك قيماً جاهلية أبقى عليها الإسلام بعـد أن طورهـا وشذّبها بما يتلاءم والمعتقدات الجديدة، مثل الوفاء والشجاعة والكرم وإظـــهار روح الجماعـــة. غير أن هناك قيماً ومعانيَ أحدثها الإسلام وكانت جديدة على الساحة الشعرية، مثل المعاني التـــي تتحدث عن الوحدانية والإيمان بالله تعالى وبرسوله الكريم، والملائكة والأنبياء. وكذلك المعـــاني التي تتحدث عن الجهاد في سبيل الله والدعوة الإسلامية وطلـــب الشـــهادة وثوابـــها، ومصـــير المؤمنين والكافرين في الجنة أو النار، وكذلك الإيمان بالغيب والقدر وغيرها. وكل هذه المعـاني كانت مستوحاة من القرآن الكريم، (ومن يقرأ في شعر المخضرمين متصفحاً ما نشر فـــي كتـــب التاريخ والأدب يجد جمهور الشعراء، يصدرون في جوانب من أشـــعارهم عـــن قيـــم الإســـلام الروحية التي آمنوا بها وخالطت شغاف قلوبهم)[١].

وقد جاءت المعاني الإسلامية في الشعر العربي في هذه الفترة متأثرة بآيات القرآن الكريـم، وكأنها في بعض الأحيان اقتباس مباشر أو غير مباشر من هذه الآيات. ومن ذلك ما نسب إلـــى حمزة بن عبد المطلب في معركة بدر، حيث يقول عن وعد إبليس لأهل مكة[٢]:

لِـــواءَ ضَـــلالٍ قـــادَ إبليـــسُ أهلَـــهُ ... فخـــاسَ بـــهم إن الخبيـــثَ إلـــى غـــدرِ

وقالَ لهم، إذ عـــاينَ الأمـــرَ واضحـــاً: ... برِئتُ إليكم ما بي اليـــوم مـــن صـــبْرِ

فـــإني أرى مـــا لا تَـــرَونَ وإننـــي ... أخـــافُ عِقـــابَ اللهِ واللهُ ذو قَسْـــرِ

وفي معاني هذه الأبيات تطابق واضح مع معنى الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَـــهُمُ الشـــيطانُ أعْمالَهُم وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الفِئَتَانِ نَكَصَ على عقِبَيْـــهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُم إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ العِقَابِ﴾[٣].

---

(١) شوقي ضيف، **العصر الإسلامي**، مرجع سابق، ص٦٨.

(٢) **السيرة النبوية**، ج٣، مرجع سابق، ص٩.

(٣) الأنفال، آية ٤٨.

وكذلك كقول كعب بن مالك[١]:

أمَـــرَ الإلَـــهُ بِربْطِـــها لِعَـــدُوِّهِ فـــي الحـــرْبِ إنَّ اللهَ خَـــيْرُ مُوفَّـــقِ

وذلك في حديثه عن خيل المسلمين، وهذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿وأعِدُّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ومِن رِباطِ الخَيْلِ...﴾[٢].

ومن ذلك أيضاً قول حسان بن ثابت في النبي ﷺ[٣]:

صَلَّـــى الإلَـــهُ ومَـــنْ يَحُـــفُّ بِعَرْشِـــهِ والطَّيِّبُـــوْنَ علـــى المبـــارك أحْمَـــدِ

وهو معنى مقتبس من قوله تعالى: ﴿إنَّ اللهَ ومَلائكَتَهُ يُصَلُّونَ على النَّبيِّ يا أيُّها الذِيْنَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيما﴾[٤].

وغير ذلك الكثير من المعاني الشعرية الجديدة التي تتصل اتصالاً وثيقاً ببعض الآيات القرآنية الكريمة. وإذا ما أردنا أن نتحرر من عملية المقارنة المباشرة فيما بين المعاني الشعرية ونظيرها من المعاني القرآنية فإننا سوف نجد كمّاً كبيراً من المعاني الشعرية في هذه الفترة مستوحاة من المعاني والمبادئ الإسلامية بشكل عام.

ففي معنى التوحيد جاء قول كعب بن مالك[٥]:

بـــأنَّ اللهَ لَيْـــسَ لَـــهُ شَـــرِيْكٌ وأنَّ اللهَ مَوْلَـــى المُؤمِنينـــا

وفي معنى الإيمان بقضاء الله تعالى جاء قول حسان بن ثابت[٦]:

ونَعْلَـــمُ أنَّ المُلْـــكَ للهِ وَحْـــدَهُ وأنَّ قَضَـــاءَ اللهِ لا بُـــدَّ واقِـــعْ

وكقول العباس بن مرداس[٧]:

أقَـامَ بـــه بَعْـد الضَّلالَـــةِ أمْرَنَـــا ولَيْـس لأمْـــرٍ حمّـــهُ اللهُ دافِـــعْ

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٤٧.

(٢) الأنفال، آية ٦٠.

(٣) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص١٥٥.

(٤) الأحزاب، آية ٥٥.

(٥) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٨٠.

(٦) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٣١٠.

(٧) **ديوان عباس بن مرداس**، مرجع سابق، ص٨٢.

وفي معنى المصير الذي ينتظر الكافرين يقول عبد الله بن رواحة[١]:

شَـــهِدْتُ بـــأنَّ وَعْـــدَ اللهِ حَـــقٌّ وأنَّ النَّـــار مثْـــوى الكافِرِيْنـــا

وفي نفس المعنى يقول كعب بن مالك[٢]:

فأمْســوا وقُــوْدَ النَّــارِ فِــي مُسْــتَقَرِّها وكُــلُّ كَفُــورٍ فــي جَــهنَّم صــائِرْ

وفي إطاعة النبي ﷺ يقول كعب بن مالك[٣]:

وفِيْنــا رَسُــولُ اللهِ نَتْبَــعُ أمْــرَهُ إذا قــالَ فينــا القَــوْلَ لا نَتَطَلَّــعْ

ويقتبس عبد الله بن رواحة ما جاء في القرآن الكريم عــن موضــوع العــرش ومكانــه والملائكة التي تحمله حيث يقول[٤]:

وأن العَــرْشَ فَــوْقَ المَــاءِ طَــافٍ وفَــوْقَ العَــرْشِ ربُّ العالَمِينــا

وتَحْمِلــه ملائكــةٌ كــرامٌ ملائكــةُ الإلــهِ مُقَرَّبِينــا

ويورد كعب بن مالك معنى الشهادتين في قوله[٥]:

شَــهِدْنا بــأنَّ اللهَ لا ربَّ غــيره وأنَّ رَسُــولَ اللهِ بــالحقِّ ظــاهِرْ

كل ما تقدم شواهد على سبيل المثال فقط للمعاني الإسلامية الجديدة التي دخلت مضــامين الشعر العربي الإسلامي، وإنّ حصر كل المعاني الإسلامية الجديدة يتطلب من المســاحة مــا لا يسعفنا به هذا البحث، وإن كان قد ورد منها الكثير في الفصلين السابقين مــن هــذه الدراســة، وخاصة في الحديث عن النبي ﷺ وفي مواضيع الجهاد والقتال والشهادة والجنة والثواب وغيرهــا مما آثرنا أن لا نورد منها أمثلة في هذا الجزء من البحث منعاً للتكرار.

---

(١) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٦٥.

(٢) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٠١.

(٣) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق. ص٢٢٤.

(٤) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٦٥.

(٥) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٠٠.

الأســـــــــلوب

لقد مر بنا -أثناء الحديث عن موضوع الهيكل العام للقصيدة- أن الشعراء وإن كانوا قد أبقوا في بعض الأحيان على القصائد الطويلة، إلا أنهم في الأحيان الكثيرة الأخرى لجأوا إلى القصائد القصيرة أو المقطوعات الشعرية التي تدخل في صلب الموضوع مباشرة دون اللجوء إلى مقدمات القصيدة الجاهلية أو خواتيمها، وبيّنا الأسباب التي ربما تكون وراء ذلك، وهي أسباب فرضتها طبيعة التغيير الكبير الذي طرأ على حياة العرب بعد مجيء الإسلام.

إلا أن هناك أمراً موروثاً في الأسلوب الشعري بقي استخدامه قائماً، وهو ما يسمى (بالتخلّص) للانتقال من موضوع إلى آخر في القصيدة الواحدة، وأكثر ما كان الشعراء يستخدمون لذلك كلمة (دع). ومن ذلك قول حسان بن ثابت[١]:

دَعْ عنْكَ داراً عفَا رسْمُها ... وابْكِ على حمزة ذي النائلِ

وقوله أيضاً[٢]:

فَدَعْ ذِكْرَ دارٍ بَدَّدَتْ بيْنَ أهلِها ... نَوًى فَرَّقَتْ بين الجميعِ قَطُوعْ

وكقول العباس بن مرداس[٣]:

دَعْ مَا تَقَدَّمَ من عَهْدِ الشبابِ فَقَد ... وَلَّى الشبابُ وزار الشيبُ والزّعرْ

ولكن يلاحظ في هذا العهد استخدام كلمة (أبلغ) وما يدل على معناها استخداماً يلفت النظر لكثرته في أسلوب الشعراء، وهي صيغة معروفة في الشعر الجاهلي[٤] أيضاً، ولكنها تكررت في الشعر الإسلامي بشكل واضح، ومن ذلك قول حسان بن ثابت[٥]:

فأبْلِغْ أبا سُفيانَ عنّي رِسالَةً ... فَإنّكَ مِنْ شَرِّ الرِّجال الصِّعالكِ

وكقوله أيضاً[٦]:

---

(١) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٣٨٦.

(٢) **المرجع ذاته**، ص٣١٤.

(٣) **ديوان عباس بن مرداس**، مرجع سابق، ص٥٤.

(٤) ينظر في ذلك علي الجندي، **شعر الحرب في العصر الجاهلي**، ط٣، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، ١٩٦٦، ص ٤١٤.

(٥) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٣٥١.

(٦) **المرجع ذاته**، ص١١١.

مـــنْ مُبْلِـــغٌ صفْـــوان أنَّ عجْـــوْزَهْ أمـــةٌ لِجـــارهْ معْمـــر بـــــن حبيْـــب

وكقول كعب بن مالك[١]:

أبْلِـــغ أُبيَّـــاً أنَّـــهُ فـــال رأيُـــهُ وحان غَـــداة الشِّـــعب والحيْـــنْ واقِـــعْ

وأبْلِـــغ أبـــا سُـــفيان أنْ قَـــدْ بَـــدا لَنـــا بـــأحمدَ نُـــوْرٌ مـــنْ هُـــدى الله ســـاطعْ

ويقول عبد الله بن رواحة[٢]:

فـــأبْلِغ أبـــا سُـــــفيانَ إمَّـــا لَقِيْتَـــهُ لَئِنْ أنْتَ لَـــمْ تُخْلِـــصْ سُـــجُوداً وتُسْـــلِمِ

وكذلك ظهر عند الشعراء استخدام عبارة (صلى الإله)، وأكثر مـــا كـــانت تســـتخدم فـــي الحديث عن الشهداء. ومن ذلك ما جاء عند كعب بن مالك في حديثه عن شهداء مؤتـــة، حيـــث يقول[٣]:

صلَّـــى الإلَـــهُ عَلَيْـــهِمُ مِـــــنْ فِتْيَـــةٍ وسَـــقَى عِظَامَـــهُمْ الغَمَـــامُ المُسْـــبِلُ

وكقول حسان بن ثابت في رثاء أصحاب الرجيع[٤]:

صلَّـــى الإلَـــهُ علَـــى الذيـــنَ تَتَـــابَعُوا يَـــوْمَ الرَّجِيْـــعِ فـــأُكْرِمُوا وأُثِيْبُـــوا

ومن الأساليب المتبعة لدى الشعراء في هذا العهد أسلوب التكرار، وهـــو تكـــرار بعـــض الألفاظ أو الجمل الشعرية، ويأتي هذا محاكاةً للنهج القرآني في أسلوب التكرار. ومن ذلك قـــول حسان بن ثابت[٥]:

ومَـــنْ خَـــيْرُ حَـــيٍّ تَعْلَمُـــوْنَ لِســـائِلٍ عَفَافـــاً وعِـــانٍ مُوْثَـــقٍ فـــي السَّلاسِـــلِ

ومَـــنْ خَـــيْرُ حَـــيٍّ تَعْلَمُـــونَ لِجـــارِهِم إذا اخْتَارَهُمْ في الأمْنِ أو في الـــزَّلازِلِ

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢١٩.

(٢) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص١٣١.

(٣) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص٢٦١.

(٤) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٨٤.

(٥) **المرجع ذاته**، ص٣٧١.

وكذلك كقول أنس بن زنيم في اعتذاره للنبي ﷺ[١]:

تَعلَّمْ رسُولَ اللهِ أنَّك مُدْرِكِي ... وأنَ وعِيْداً مِنْك كالأخْذِ باليدِ

تَعلَّمْ رسُولَ اللهِ أنَّك قادِرٌ ... على كُلِّ صِرْمٍ مُتْهمين ومُنْجِدِ[٢]

تَعلَّمْ بأنَّ الرَّكْبَ رَكْبُ عُوَيْمِرٍ ... هُمُ الكاذِبُون المُخْلِفُو كُلَّ موْعِدِ

ولعل أكثر ما جدَّ في شعر هذه الفترة من جديدٍ، ويلاحظ استخدامه بشكل واسع، هو دخول معنى النور والضياء والشهاب، وأكثر ما يلاحظ ذلك عند الشعراء أثناء حديثهم أو مدحهم للنبي ﷺ، ولا يخفى الأثر القرآني في هذا المقام، وكذلك جاءت مثل هذه المعاني أثناء حديث الشعراء عن القرآن والإسلام. فمن ذلك قول كعب بن مالك في رثاء النبي ﷺ[٣]:

نُخَصُّ بِما كَانَ مِنْ فَضْلِهِ ... وكَانَ سِراجاً لَنا في الدُّجا

وكَانَ بَشِيْراً لَنا مُنْذِراً ... ونُوْراً لَنا ضوءه قد أضا

فأنقذنا الله في نوره ... ونجَّى بحرمته مِنْ لظا

ومنه قول حسان بن ثابت في النبي ﷺ[٤]:

وافٍ ومَاضٍ شِهابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... بَدْرٌ أنَارَ على كُلِّ الأماجِيْدِ

مُبَارَكٌ كَضِيَاءِ البَدْرِ صُوْرَتُهُ ... مَا قَالَ كَانَ قُضَاءً غَيْرَ مَرْدُودِ

أمّا إذا ما تحدثنا عن الصورة في الشعر الإسلامي، فإننا سنجد بأنها كانت حائرة في هذا العهد، حيرة الشعراء أنفسهم، فهل يستمرون على النمط القديم؟ وما مدى تعارض القديم مع الدين الجديد؟ ثم إنهم لم تتشكل لديهم صور جديدة واضحة في العهد الجديد، وذلك لقرب المسافة الزمنية، ولعدم اكتمال نزول القرآن بعد، الأمر الذي أدى إلى عدم تبلور إطار أدبي متكامل جديد من الدين الجديد.

وعليه فإن الصورة الشعرية لم تكن كاملة، واضحة المعالم في القصائد، ولا يوجد شمول في الوصف، أو ذكر جزئيات وتفاصيل، وعليه فإننا لم نجد لوحاتٍ شعرية كاملة للموصوف

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٤، مرجع سابق، ص٦٧.

(٢) صرم: بيوت مجتمعة. متهمين: ساكنين في التهام وهي الأرض المنخفضة. والمنجد: من يسكن الأرض المرتفعة.

(٣) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص١٧٣.

(٤) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص١٣٧.

يتوفر فيها كل أسباب الوضوح من العناصر والجزئيات الدالة عليها. ولعل أبلغ مثال على ذلك الصور الشعرية التي كان يرسمها الشعراء للمعارك والغزوات والجيوش، والتي كانت تمثل حيلة الناس بعامة لكثرتها في العهد النبوي[١]، ومع ذلك لم تظهر صور متكاملة تُظْهِرُ وبوضوح كل عناصر المعركة أو الجيش أو الخيل والأسلحة الحربية، بل إننا لم نقع على قصائد أفردها الشعراء في مجال الوصف فقط بالمفهوم المتعارف عليه في هذا المجال، وإنما جاء الوصف في ثنايا شعر البطولة والموضوعات التي لها علاقة بالبطولة والمعارك والاحتراب.

على أنّ ذلك لم يؤثر على موضوع الصدق الشعوري لدى شعراء هذه المرحلة، فقد كانوا صادقين في أشعارهم، ينبعثون في كل ما قالوه من شعور صادق ذلك أن الموضوعات التي طرقوها كان لها صلة وثيقة بهذا الدين الجديد الذي آمنوا به، وصدقوا نبيه وأحبوه، وتفانوا في الاستشهاد في سبيله وفي سبيل انتشاره ورفعته، ولعل من أبرز صفات هذا الجيل بشكل عام هو قوة الصدق لديهم، قوة تميزهم عن كل من جاء بعدهم.

ويتمثل هذا الشعور الصادق لديهم، في تسجيل الأحداث تسجيلاً حقيقياً من غير غلو أو مبالغة، فكانوا يشيدون بالانتصارات والبطولات، ولكنّا رأيناهم يعترفون بالهزيمة أيضاً. وكما كانوا يشيدون بقوة أبطال المسلمين، فقد كانوا أيضاً يعطون عدوهم حقه، ويتحدثون عنه بما هو فيه من قوة وبطولة ونسب رفيع.

وتتمثل ظاهرة الصدق الشعوري لدى شعراء هذا العهد بظاهرة الإيجاز التي وجدناها في شعرهم والتي ولّدت المقطوعات القصيرة من الأشعار، رغم أنها مقطوعات تتحدث عن أحداث كبيرة أهمها أنها تتحدث عن الإسلام ودعوته وتتحدث عن المعارك والغزوات التي كان لها الأثر الكبير في انتشاره ووجوده.

على أن ذلك لا ينفي التهمة الموجهة إلى شعر هذه الفترة من قبل الباحثين والدارسين، وهي أن هذا الشعر قد هبط مستواه الفني (فمن الواضح البدهي أن الشعر في هذا العصر -عصر النبوة- إذا قسته بشعر الفحول الجاهليين، أو قسته بشعر الفحول الأمويين، تجده دونهما قوة ومتانة)[٢]. وأكثر ما يلاحظ هذا الضعف في مجال الألفاظ المستخدمة وقوة المعاني التي تحتويها هذه الألفاظ، إضافة إلى غياب واضح للناحية البلاغية في الشعر.

---

(١) ينظر في ذلك الفصل الثاني من هذا البحث في وصف المعارك والجيوش.

(٢) يحيى الجبوري، **الإسلام والشعر**، مرجع سابق، ص٣٣.

وإذا كنا قد بينا سابقاً -في بداية هذا الفصل- أن الإسلام لم يقف موقفاً عدائياً من الشعر تجعله يصل إلى هذا الحدّ من الضعف، فإنّ ذلك لا يعني أن طبيعة المرحلة الإسلامية والدخول فيها بهذا الشكل السريع لم يكن يشكل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أحد العوامل التي أدّت إلى ضعف الشعر في هذه الفترة. فمن أهم العوامل التي ساعدت على هذا الضعف انبهار العرب ببلاغة القرآن وقوة بيانه الذي عجزوا عن مجاراته ومحاكاته، ويضاف إلى ذلك أن المبادئ الإسلامية لم تكتمل كلها دفعة واحدة، بل كانت تتضح لهم بحسب تسلسل التنزيل القرآني، ومعلوم أن المبادئ الجديدة -وبعد اكتمال تبلورها- بحاجة إلى وقت معين حتى يتم فهمها وتمثلها والسير على خطاها، فما بالك وهذه المبادئ قد جاءت بدين جديد.

ونقطة ثالثة كانت وراء هذا الضعف في شعر هذه المرحلة، وهي أن هذا الشعر -ومع وجود العاملين السابقين- كان عليه أن يصور أحداثاً كبيرة، وتفاعلات تتغير بسرعة، فكان عليه أن يتعامل مع الإسلام ودعوته وأحداثه الكثيرة في فترة زمنية قليلة. وفي هذا ما فيه من الإرباك، ومحاولة السير بخطى سريعة لمجاراة تلك الأحداث التي بدأت بهجرة النبيﷺ وأصحابه إلى المدينة لتنتهي -وبعد عشر سنوات- بدخول الجزيرة العربية كلها في هذا الدين الجديد.

وعامل أخير ساعد على هذا الضعف وهو أن الشعراء وجدوا أنفسهم مدفوعين لاستخدام الألفاظ والمعاني الإسلامية الجديدة وذلك تمشياً مع إيمانهم بهذا الدين وليكون ذلك انسجاماً بين ما وقر في القلب وبين ما صدقه الفعل والقول. وليستطيعوا أيضاً من خلال هذا الاستخدام أن يعبروا عن الأحداث الإسلامية الجديدة. وما من شك بأن هذه الألفاظ وهذه المعاني لم يكن لهم سابق عهد في التعامل معها من قبل، وبمثل هذا الزخم، فكان دخولها في معجم الشعر حديثاً، وعليه فلم يكن استخدامهم لهذه الألفاظ والمعاني الجديدة بنفس قوة ومتانة استخدامهم لألفاظ ومعاني تعاملوا معها لفترات طويلة في العهد الجاهلي. إضافة إلى أن استخدام الألفاظ والمعاني الإسلامية الجديدة قد جاء على شكل ارتجال سريع في النظم لملاحقة التطورات والمتغيرات الإسلامية الكثيرة، ولا يخفى أن الارتجال في الشعر يؤدي إلى هبوط مستواه الفني بشكل ملحوظ مقارنة مع الشعر الذي يجد قائله الوقت الكافي لنظمه وإعادة النظر فيه.

وبالرغم من هذا الضعف الفني الذي يلاحظ على شعر هذه الفترة إلا أنه يُسجّلُ له أنه استطاع أن يُسجّل للأحداث التاريخيّة التي وقعت فيها وكأنه شعر تاريخي[١]، وقد بدأ ذلك منذ بداية المناوشات التي حدثت بين المسلمين ومشركي قريش بعد الهجرة وحتى وفاة النبي ﷺ، والمتصفح لكتاب السيرة لابن هشام يجد أنه يورد عقب كل غزوة أو معركة ما قيل فيها من

---

(١) ينظر في ذلك كتاب يحيى الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ص ٢٦٠.

الشعر وخاصة من قبل الشعراء الثلاثة الكبار؛ حسان وكعب وعبد الله بن رواحة ولكـــن يبقـــى شعر هؤلاء الشعراء (أدنى مرتبة من أن يعبر عن تلك الوقائع الجسام التي كانت تحمـــل دلالات حضارية ضخمة لم يستطع هؤلاء الشعراء أن يرتقوا بشعرهم إلى مستواها، والتي كانت تحفـــل بكثير من المواقف "الدرامية" وبخاصة في موقعتي بدر وأحد)[١].

---

(١) عبد القادر القط، **في الشعر الإسلامي والأموي**، مرجع سابق، ص٤٨.

الصورة والخيال

لقد كان الشاعر المسلم في العهد النبوي واقعياً في صوره وأخيلته، بسيطا، بعيدا عن التعقيد والتكلف، ولعل مرد ذلك تأثر هؤلاء الشعراء بطبيعة الإسلام الواقعية البعيدة عن الخيال والمغالاة. إضافة إلى تأثرهم بكثرة الأحداث المتلاحقة في صدر الإسلام والتي لم تمهلهم لزخرفة أشعارهم والتطواف بها في عالم الخيال، ومن ثم الغوص في ميادين المحسنات البديعية. لكل ذلك جاءت صورهم وأخيلتهم منتزعة من واقعهم المادي المحسوس. وهم في هذا يسيرون على نمط من سبقهم من شعراء الجاهلية (فإذا اعتبرنا الشعر الجاهلي كله -لا المعلقات وحدها- رأينا أن الشعر في الصدر الأول من الإسلام لا يختلف كثيراً في أسلوبه منه في الجاهلية)[١]، ذلك أن شعراء العهد النبوي امتداد لشعراء العهد الجاهلي (ومن المحقق أن الشعراء الذين نبتوا في الجاهلية وعاشوا في صدر الإسلام لم يختلفوا في صناعة شعرهم عن آبائهم الجاهليين في شيء، فقد ظلوا ينظمون شعرهم على الصورة الجاهلية) [٢]. فقد جاءت صورهم وأخيلتهم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بواقعهم المادي الذي يعيشون.

وعليه فقد اعتمد شعراء العهد النبوي على طائفة من المحسنات اللفظية والمعنوية غير المتكلفة، والتي تساعد على توضيح المعنى الذي يطرقونه، وأكثر ما جاء في أشعارهم من البيان التشبيه، (فقد استعانوا منذ أقدم أشعارهم -لغرض التأثير في سامعيهم- بطائفة من المحسنات اللفظية والمعنوية، وأكثرها دوراناً في أشعارهم التشبيه، فلم يصفوا شيئاً إلا قرنوه بما يماثله ويشبهه في واقعهم الحسي)[٣]. ولكن هذه التشبيهات (ليس لها من الخصوصية ما يميزها عن غيرها من التشبيهات عند الشعراء الآخرين... ولم تكن من الكثرة بحيث نتبين فيها ملامح اتجاه محدد، بل جاءت متناثرة في شعرهم بصورة عفوية دون تكلف في اختيارها) [٤].

فمن هذه التشبيهات، تشبيه النبي ﷺ بالنور والضياء والبدر، وقد جاء هذا وافراً في شعر هذه الفترة، فمنه قول حسان بن ثابت:[٥]

وافٍ وماضٍ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... بَدْرٌ أَنَارَ عَلَى كُلِّ الأَمَاجِيدِ

---

(١) عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، ج١، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨، ص ٢٤٦.

(٢) شوقي ضيف، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، ط٤، دار المعارف بمصر، د.ت، ص ٣٣.

(٣) شوقي ضيف، **العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص ٢٢٨.

(٤) أيهم عباس القيسي، **شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام**، ط١، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٢٨.

(٥) **ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص ١٣٧.

مُبـــاركٌ كَضيـــاءِ البـــدرِ صُورتُـــهُ ما قَال كَان قضـــاء غـــير مـــردُود

وهو عند كعب بن مالك شهابٌ يتبعه نور، حيث يقول[١]:

فِينَا الرّســـولُ شـــهابٌ ثـــم يتبعُـــهُ نورٌ مضيءٌ له فضلٌ على الشُـــهُب

وحسان بن ثابت يشبه القرآن بالنور، حيث يقول[٢]:

يَتْلُو علينـــا النُّـــورَ فيـــها مُحكَمـــاً قِســـماً لَعمْـــرُك ليـــسَ كالأقســـامِ

أما المسلمون، فهم نجومٌ في شعر كعب بن مالك[٣]:

أولاك نجـــومٌ لا يغبُّـــكَ منـــهمُ عليكَ بنحسٍ في دجى الليـــلِ طـــالعُ

ويشبه حسان بن ثابت جيش المسلمين بالجبل الشامخ الضخم، حيث يقول[٤]:

أقمنَا علـــى الـــرَّسِّ الـــنَّزيعِ لياليـــا بأرعَنَ جرّارٍ عريـــضِ المُبـــارِكِ[٥]

بكلِّ كُمَيتٍ جَـــوزُهُ نِصـــفُ خَلقِـــهِ وقُبٍّ طوالٍ مُشـــرِفاتِ الحَـــوارِكِ[٦]

ترى العَرْفَجَ العاميَّ تَذْرِي أُصُولَـــهُ مناسِمُ أخفَافِ المطـــيِّ الرّواتِـــكِ[٧]

(وهي صورة من أجمل الصور وأدقها وأروعها وأصدقها تمثيلاً للحقيقة، وأشدها امتـــلاءً بالحركة، حتى ليخيل إليك معها أنك ترى ذلك الجيش، وتسير معه، وتشهد معه خيله ومطايـــاه، وإناخته وسيره، واكتساحه السبل بما يلقاه فيها من ظباء ونبات وعرفج)[٨].

وقد شبه الشعراء أبطال المسلمين بالأسود لما تميز به هذا الحيوان من قوة وشجاعة، ومن ذلك قول كعب بن مالك يصف أبطال المسلمين في معركة بدر، حيث يقول[٩]:

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ١٧٤.

(٢) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص ٤٤٥.

(٣) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ٢٢١.

(٤) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص ٣٤٩.

(٥) الرس: البئر. النزيع: التي يخرج ماؤها بالأيدي. والأرعن: الجيش الكثير الذي له أتباع وفضول.

(٦) الكميت: الفرس. وجوزه: وسطه، ويريد بطنه. وقب: جمع أقب وهو الضامر. والحوارك: جمع حـــارك، وهو أعلى الكتفين من الفرس.

(٧) العرفج: نبات. العامي: الذي أتى عليه العام. تذري أصوله: تقلعها وتطرحها. مناسم: جمع منسم. وهـــو طرف خف البعير. والرواتك: المسرعة.

(٨) محمد طاهر درويش، **حسان بن ثابت**، دار المعارف بمصر، د.ت، ص: ٤٧١.

(٩) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ٢٢٧.

ورْحنـا وأخرانـا بِطـاء كأننـا أسـودٌ علـى لحـم ببيشـةَ ظُلَّـعُ

وكقول حسان بن ثابت[١]:

فِتيـانُ صـدقٍ كـالليوثِ مسـاعِرٌ مـنْ يلْقَـهُم يـوم الـهياجِ يُعـرَّدُ

ويشبه حسان بن ثابت أبطال المسلمين بالصقور في قوة بأسهم، ونفـاذ بصرهـم، حيـث يقول[٢]:

لـه خيـلٌ مُجَنَّبَـةٌ تَعَـادَى بِفرسـانٍ عليـها كـالصقورِ

كما شبه خبيب بن عدي الأنصاري بالصقر حين قال[٣]:

صقراً تَوسَّطَ في الأنصارِ منْصِبُـهُ خلوَ السَّجيَّةِ محضاً غـير مُؤتَشِـبِ

وفي حين شبه الشعراء أبطال المسلمين بالأسود، فقد شبهوا مقـاتلي المشـركين بـالنمور لشراسة هذا الحيوان وحقده، فقد قال كعب بن مالك: [٤]

كُنّا الأُسُودَ وكانوا النُّمر إذ زَحَفُـوا ما إن نراقِـب مـن آلٍ ولا نسـبِ

ويشبه حسان بن ثابت مقاتلي المشركين بالإبل المرسلة، وذلك في قوله[٥]:

إِذْ تُولّـونَ علـى أعقـابِكُمْ هَرَباً فـي الشِّـعبِ أشـباه الرَّسَـلْ

وشبه كعب بن مالك مقاتلي المشركين بالنعام لما هو معروف عن النعام من الجبن[٦]:

فأتـاكَ قَـلُّ المشـركينَ كَأنَّـهُم والخيـلُ تثفنُـهُم نَعـامٌ شُـرَّدُ

ويشبههم كعبٌ أيضاً بالسحاب الذي أفرغ الرِّيحُ ماءهُ فتلاشى، حيث يقول[٧]:

وراحُوا سِـراعاً موجِفِيـنَ كَأَنَّـهُم جهامٌ هراقتْ مـاءه الريـحُ مُقلِـعُ

وتارةً أخرى يشبههم بالخشب المطروحة على الأرض، حيث يقول[٨]:

---

(١) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

(٢) **المرجع ذاته**، ص ٢٧٩.

(٣) **المرجع ذاته**، ص ١١٠.

(٤) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ١٧٤.

(٥) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص٣٥٩.

(٦) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ١٩١.

(٧) **المرجع ذاته**، ص ٢٢٧.

(٨) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

ضربنـــاهُمْ حتّـــى تَركنـــا ســـراتَهُم كَأنّـــهُمْ بالقـــاعِ خُشْـــبٌ مُصـــــرّعُ

في حين يشبههم العباس بن مرداس بالنخل المنقطع من أصلهِ، حيث يقول(١):

حتّـــى تَولّـــوا وقَتلاهُـــم كَأنّـــهُمُ نخـــلٌ بظـــاهرةِ البطحـــاءِ منقعِـــرُ

وفي حين يشبه كعب بن مالك حمزة بالقرم من الإبل، حيث يقول(٢):

قـــرمٌ تمكّـــنَ فـــي ذؤابـــةِ هاشـــمٍ حيـــثُ النبـــوة والنـــدى والســـؤددُ

نراهُ يشبه قاتله بالجمل الأدعج لوحشيته وهمجيته، فيقول(٣):

فلاقـــاهُ عبـــدُ بنـــي نوفَـــل يُـــبربِرُ كـــالجملِ الأدعـــــجِ

ويشبه العباس بن مرداس لواء المسلمين في معركة حنيـــن بطـــرف الســـحابة اللامـــع، فيقول(٤):

أمـــامَ رَســـولَ اللهِ يَخفِـــقُ فوقنـــا لـــواءٌ كَخُـــذروفِ الســـحابةِ لامـــعْ

وفي صورةٍ أخرى له يشبهُ لواء المسلمين في هذه المعركة بالعقاب الذي أراد الانقضـــاض بعد أن ارتفع وحلق في السماء، فيقول(٥):

بمكّـــةَ إذ جئنـــا كـــأن لواءنـــا عقابٌ أرادت بعـــدَ تحليقـــها خَطْفَـــا

وأما خيول المسلمين فهي تشبه الذئاب في قول كعب بن مالك(٦):

ونزائعاً مثـــل السِّـــراح نمـــا بـــها علَفُ الشعير وجِـــزّةِ المقضـــابِ(٧)

كل ما تقدم هو على سبيل المثال للتشبيهات التي وردت في ثنايا شعر البطولة فـــي العـــهد النبوي. وهناك محسنات بيانية أخرى استعان بها الشعراء مثل الاستعارات ومنها:

---

(١) **ديوان العباس بن مرداس**، مرجع سابق، ص ٥٥.

(٢) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ١٩٠.

(٣) **المرجع ذاته**، ص ١٨٨.

(٤) **ديوان العباس بن مرداس**، مرجع سابق، ص ٨١.

(٥) **المرجع ذاته**، ص ٨٩.

(٦) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ١٧٨.

(٧) النزائع: جمع نزيع، وهي الخيول العربية التي انتزعت من أرضها وحملت إلى أرض أخرى. والســـراح: الذئاب. وجزة المقضاب: ما يجز لي من نباتٍ فتطعمه.

فقد استعار كعب بن مالك صفة الناقة للحرب لقوتها وشدتها، حيث يقول[١]:

إنّا بنو الحـــربِ نُمريـــها وننتِجُـــها وعندنـــا لـــذوي الأضغـــانِ تَنكِيْـــلُ

وكذلك في قوله[٢]:

ألســـنا نشـــدُّ عليـــها العِصـــا ب حتـــى تـــدرّ وحتـــى تلينـــا

وفي معرض تصويره لهزيمة حكيم بن حزام في معركة بدر، يقول حسان بن ثابت [٣]:

لمّـــا رأى بَـــدراً تســـيلُ جِلاهُـــها بِكَتـــائِبٍ مِـــلأوسِ أو مِلخَـــــزرجِ

حيث جعل جلاه بدرٍ وهي جنباتها تسيل بالأبطال من كتائب الأوس والخزرج على ســـبيل الاستعارة.

وفي رثاء حمزة يقول كعب بن مالك[٤]:

ولـــو أنـــهُ فُجِعَـــت حِـــراءُ بمثلـــه لَرأيـــتَ رأسَ صخرِهـــا يتَبَـــدّدُ

فجعل من جبل حِراء كائناً مدركاً، وجعله يتوجع لعظيم هذه الفجيعة وذلـــك علـــى ســـبيل الاستعارة.

أما في رثاء حمزة فيقول كعب بن مالك أيضاً[٥]:

وعُتبَـــةُ وابنُـــهُ خـــــرّا جميعـــاً وشـــيبةُ عضّـــهُ الســـيف الصقيـــلُ

فجعل للسيف أنياباً يعض بها على سبيل الاستعارة.

ومن الاستعارات أيضاً ما جاء عند حسان بن ثابت في تصويره لعظيم الفاجعة التي ألمـــت بالمسلمين لوفاة النبي ﷺ، حيث جعل للسماوات والأرض عيوناً تبكي بها علـــى النبـــي ﷺ علـــى سبيل الاستعارة، حيث يقول[٦]:

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ٢٥٦.

(٢) **المرجع ذاته**، ص ٢٧٥.

(٣) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٤) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ١٨٩.

(٥) **المرجع ذاته**، ص ٢٥٣.

(٦) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص ١٤٧.

يبكون من تَبكي السـماواتُ يومَـهُ ومنْ قد بكتْهُ الأرضُ فالناسُ أكمَـدُ

ومن أمثلة الاستعارات أيضاً ما جاء عند كعب بن مالك حيث يقول[١]:

فلمّا تلاقَينـا ودارتْ بنـا الرَّحَـى ولَيسَ لأمرٍ حمَّـهُ اللهُ مدفَـعُ

* * *

ودارت رحانا واستدارت رحـاهُمُ وقد جعلوا كُلاًّ مـن الشرِّ يشبعُ

* * *

بنو الحربِ إنْ نظفرْ فلسنا بفُحَّشٍ ولا نحنُ مـن أظفارِهـا نَتوجَّـعُ

ومن أمثلة الاستعارات عند حسان بن ثابت قوله[٢]:

فَنَحنُ الذُّرى مِنْ نَسلِ آدَمَ والعُـرا تَرَبَّـعَ فينـا المَجـدُ حتَّـى تـأثَّلا

بنى العزُّ بيتـاً فاستقرَّتْ عِمـادُهُ علينـا فأعيَـا النـاسَ أن يتَحـوَّلا

* * *

نسـوِّدُ مِنّـا كُـلَّ أشـيَبَ بـارعٍ أغَـرَّ تـراهُ بـالجلالِ مُكَلَّـلا

إذا ما انتدى أجنى النَّـدى وابتنـى وأُلفِي أخا طَولٍ على مـنْ تطـوَّلا

أما في مجال الكنايات المستعملة فمن أمثلتها قول كعب بن مالك[٣]:

تظلُّ بهِ الـبُزلُ العرامِيـس رُزَّحـاً ويخلو بهِ غَيـثُ السِّنِين فَيُمْـرِعُ

فالشطر الأول من البيت كناية عن صعوبة الطريق. وكذلك يقول كعب[٤]:

وَمَنْ هو لم تَترُك له الحربُ مفخـراً وَمَنْ خَذْهُ يـوم الكريهـةِ أضـرَعُ

فالشطر الثاني من البيت كناية عن الذل والهزيمة. وكذلك في قوله[٥]:

فخانوا وقد أعطَـوا يـداً وتخـاذَلوا أبـى اللهُ إلا أمـرَهُ وهـو أصنـعُ

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

(٢) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص ٤٠٦.

(٣) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

(٤) **المرجع ذاته**، ص ٢٢٨.

(٥) **المرجع ذاته**، ص ٢٢٩.

عظيمُ رمادِ القدرِ فـــي كـــلِّ شـــتوةٍ ضروب بنصل المشـــرفيِّ المـــهنّد

أما المحسنات البديعية التي استخدمها الشعراء فمن أمثلتها الجناس. ومنه قول حسان بـــن ثابت[٢]:

نَحـــنُ الخيـــارُ مِـــنَ البريَّـــةِ كلِّـــها ونِظامُـــها وزِمـــامُ كُـــلِّ زمـــامِ

فالمقصود بزمام الأولى هو المقود وأما الثانية فامتلاك الأمر، ومنه قول كعب بن مالك[٣]:

عَجِبـــتُ لأمـــــرِ اللهِ واللهِ قـــــادرٌ علـــى مـــا أراد، ليـــس لله قـــــاهرُ

فقد جمع بين قادر وقاهر، وكذلك قوله[٤]:

رشـــيدُ الأمـــرِ ذو حكـــمٍ وعلـــــمٍ وحلـــمٍ لـــم يكـــن نَزقـــاً خفيفـــــا

فقد جمع بين حُكم وعلم وحلم، ومنه أيضاً قول حسان بن ثابت[٥]:

لقد غيَّبوا حلمـــــاً وعلمـــاً ورحمـــةً عشـــيَّةَ علَّـــوْهُ الـــثَّرى لا يُوسَّـــدُ

فجمع بين (حلماً وعلماً). وكذلك قول كعب بن مالك[٦]:

نَشِـــــبُ وتَـــــهلِكُ آباؤُنـــــا وبينـــــا نُرَبِّـــي بنينـــا فنينـــا

فقد جانس بين (بنينا) و(فنينا). وكذلك جانس كعب بين حوش والوحوش في قوله[٧]:

حوشُ الوحوشِ مطارة عند الوغـــى عُبـــسُ اللقـــاءِ مبينـــة الإنجـــــابِ

ومن المحسنات الأخرى، الطباق، ومن أمثلته قول كعب بن مالك[٨]:

فجئنا إلى موجٍ مِنَ البَحـــرِ وســـطه أحـــابيشُ منـــهم حاسِـــرٌ ومقنـــــعْ

والشيء ذاته عند العباس بن مرداس في قوله[٩]:

كَـــانَت إجابتُنـــا لِداعِـــــي ربِّنَـــا بـــالحقِّ مِنَّـــا حاسِـــــر ومقنّـــعْ

---

(١) **ديوان كعب**، مرجع سابق، ص ١٩٦.

(٢) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق،ص ٤٤٥.

(٣) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

(٤) **المرجع ذاته**، ص ٢٣٦.

(٥) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص ١٤٧.

(٦) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ٢٧٧.

(٧) **المرجع ذاته**، ص ١٧٩.

(٨) **المرجع ذاته**، ص ٢٢٥.

(٩) **ديوان العباس بن مرداس**، مرجع سابق، ص ٧٨.

والشيء ذاته عند العباس بن مرداس في قوله[١]:

كَـانَت إجابتُنـا لِداعِـي ربِّنَـا بـالحقِّ مِنَّـا حاسِـر ومقنّـعُ

فقد جانس بين حاسر ومقنع. وكذلك قول كعب بن مالك[٢]:

فإمـا قلـت لـي شـرفٌ ونخـلٌ فَقِدْمـاً بِعـتَ إيمانـاً بكفـرِ

فقد طابق بين إيمان وكفر، وكذلك طابق بين حياً وميتاً في قوله[٣]:

فُجعنا بخـير النـاس حيـاً وميتـاً وأدنـاه مـن رب البريـة مقعـدا

وقد جمع كعب بين اللفظ ومنفيه، وهو ما يعرف بطباق السلب، في قوله[٤]:

إذا ما خرجتُم فـاكتموا مَـنْ لقيتُـمُ ولا تكتُموا أخباركُم فـي المجـالسِ

كما جمع كعب بين أكثر من ضد، وهو ما يعرف بطباق المقابلة، في قوله[٥]:

فَمَـنْ يتَّبِعـهُ يـهدى لكـل رُشـدٍ ومَـنْ يكفُـر بـهِ يُجـز الكفـورُ

ومن أمثلة الطباق عند عبد الله بن رواحة قوله[٦]:

وأجلَبَ يبغي العزَّ، والـذُّلَّ يبتغـي خِلافَ يديه ما جنَـى حيـن أجلبـا

كتاركِ سهلِ الأرضِ والحزْنُ هَمُّـهُ وقد كان ذا في الناس أكدى وأصعبـا

فقد طابق الشاعر بين العز والذل، وكذلك بين أكدى وأصعبا.

ومن أمثلة الطباق أيضاً ما جاء عند حسان بن ثابت في قوله[٧]:

فَمَـنْ يَـهجُو رَسُـولَ اللهِ مِنكُـم ويمدَحُـهُ وينصُـرْهُ سـواءُ

وكذلك طباق المقابلة في قوله[٨]:

---

(١) **ديوان العباس بن مرداس**، مرجع سابق، ص ٧٨.

(٢) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

(٣) **المرجع ذاته**، ص ١٩٨.

(٤) **المرجع ذاته**، ص ٢١٨.

(٥) **المرجع ذاته**، ص ٢٠٣.

(٦) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص ١٣٧.

(٧) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص ٦٤.

(٨) **المرجع ذاته**، ص ١٤٤.

وهل يستوي ضلالُ قـــوم تسفّهوا عمـــى وهـــداةٌ يـــهتدون بمـــــهتد

أما في مجال استخدامات الشعراء للألوان، فأكثر ما نلحظ استخدامهم للون الأبيـــض فـــي وصف موصوفاتهم. ومنها استخدام حسان بن ثابت للون الأبيض في وصف النبـــي ﷺ، حيـــث يقول[١]:

أغَـــرُّ عليـــهِ للنُّبـــوةِ خـــاتَمٌ مـــن اللهِ مشـــهودٌ يلـــوحُ ويشـــهدُ

وكذلك في رثاء زيد بن حارثة، حيث يقول[٢]:

أغرُّ كَلونِ البـــدرِ مـــن آلِ هاشـــمٍ أبـــيٌّ إذا سِـــيمَ الظُّلامـــةَ مجســـرُ

ويستخدم كعب بن مالك اللون الأبيض في وصف آل النبي ﷺ، حيث يقول[٣]:

بيضُ الوجوهِ تـــرى بطـــونَ أكُفِّـــهم تندى إذا اعتـــذر الزمـــان المُمحِـــلُ

أمـــا اللـــون الأسود فقد استخدموه للدلالة على مصير المشركين، ومـــن ذلـــك قـــول عبد الله بن رواحة[٤]:

فَأبشِر بِخِزيٍ فـــي الحيـــاةِ مُعَجَّـــلٍ وسِربالِ قـــارٍ خـــالداً فـــي جـــهنَّمِ

هذا وقد لونوا السيف باللون الأبيض، كقول كعب بن مالك[٥]:

وقَد عُرِّيَت بيـــضٌ خِفـــافٌ كأنّـــها مقـــابيسُ يزهيـــها لعينيـــك ســـاحِرُ

وكقول حسان بن ثابت[٦]:

بالعـــارِ والـــذُّلِّ المبيـــــن إذْ رأوا بيض السُّيوفِ تســـوقُ كـــلَّ هُمـــامِ

ولون دروع المسلمين كذلك أبيض في قول كعب بن مالك[٧]:

بيضـــاءَ محكمـــةٍ كـــأن قتيرَهـــــا حَذقُ الجنـــادبِ ذاتِ شـــكّ مُوثَـــقِ

---

(١) **المرجع ذاته**، ص ١٣٤.

(٢) **المرجع ذاته**، ص ٢٣٦.

(٣) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ٢٦٣.

(٤) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

(٥) **ديوان كعب بن مالك**، ص ٢٠٠.

(٦) **شرح ديوان حسان بن ثابت**. مرجع سابق، ص ٤٢٠.

(٧) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ٢٤٥.

أما الكتيبة فكان لونها السواد والحمرة من كثرة السلاح، وذلك في قول كعب بن مالك[١]:

ودُفَّــاع رجْــلٍ كمـــــوجِ الفـــرا ... تِ يقْدُم جـــأواء جَــولا طحونــا[٢]

ولون السنان أزرق، يقول كعب بن مالك[٣]:

وأغــرَ أزرق فــي القنــاةِ كأنّـــــهُ ... في طُخيةِ الظلمــاء ضــوْء شِــهاب

والرماح سمر في قول حسان بن ثابت[٤]:

مُكَلَّلـــةٍ بالمشـــرفيِّ وبالقنـــــا ... بها كُلُّ أظمى ذِي غِراريْـنِ أزرقُ[٥]

وأما اللون الأحمر فقد استخدمه كعب بن مالك ليصف طعنة أبطال المســـلمين لعدوهِـم، حيث يقول[٦]:

طعنــا طعنــةً حمـــــراء فيـــهم ... حــرامٌ رأبــها حتـــى الممـــات

يتضح مما تقدم بأن الشاعر المسلم في العهد النبوي كان واقعياً في صوره وأخيلته، بعيـــداً عن التكلّف والتعقيد، وقد اعتمد على طائفة من المحسنات اللفظية والمعنوية غير المتكلفة أيضـــاً، وشعراء هذه الفترة وإن كانوا قد ساروا على نهج مَنْ سبقهم في مجال استخدام الصور والأخيلـــة والمحسّنات البلاغية، إلاّ أنّهم تأثروا أيضاً في كل ذلك بالمبادئ الإسلامية التي جاء بـــها الديـــن الجديد.

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ٢٧٥.

(٢) الدفاع: كناية عن كثرة الرجال. جأواء: كتيبة لونها السواد والحمرة لكـــثرة الســـلاح. الجـــول: الكتيبـــة الضخمة. والطحون: التي تطحن أو تهلك ما تمر به.

(٣) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ١٨٠.

(٤) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، مرجع سابق، ص ٣٤٥.

(٥) الأظمى: الرمح الأسمر.

(٦) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ١٨٦.

الأوزان والقوافي

- الأوزان

يكاد الباحثون يتفقون على أن لكل فن من الفنون الشعرية ما يناسبها من الأوزان الشعرية، وهذا بسبب تعدد البحور الشعرية واختلافها. وحتى يتم الوقوف على حقيقة البحور الشعرية التي استخدمها الشعراء في العهد النبوي، ومدى ملاءمتها لطبيعة شعر البطولة في العهد النبوي، فقد كان لا بد من إجراء دراسة استقصائية لعينة من الشعر العربي في هذه الفترة، فقد تم عمل استقصاء للبحور المستعملة في الشعر العربي، الذي قيل في العهد النبوي فقط، لدى كل من حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، ويكاد شعر هؤلاء الشعراء الثلاثة يشكل الغالبية العظمى من الشعر العربي الإسلامي، الذي قيل في العهد النبوي.

وفيما يلي النموذج الأول من هذا الاستقصاء وهو حول شعر حسان بن ثابت:

الرقم	البحر	عدد القصائد (المقطوعات)	عدد الأبيات	النسبة المئوية لعدد القصائد	النسبة المئوية لعدد الأبيات
١	الطويل	٤٥	٣٩٧	%٣٣,٦	%٣٣,٥
٢	الكامل	٣٠	٢١٠	%٢٢,٤	%١٩,٨
٣	البسيط	٢٢	١٦٠	%١٦,٤	%١٥,١
٤	الوافر	٢٢	١٤٦	%١٦,٤	%١٣,٨
٥	المتقارب	٧	٦٣	%٥,٣	%٦
٦	الخفيف	٤	٣٤	%٣	%٣,٢
٧	الرمل	٢	٢٨	%١,٥	%٢,٧
٨	السريع	١	١٩	%٠,٧	%١,٨
٩	الرجز	١	٢	%٠,٧	%٠,١
المجموع		١٣٤	١٠٥٩	%١٠٠	%١٠٠

ويمكن للدارس أن يلحظ من هذا الجدول الملاحظات التالية:

١- إن عدد القصائد والمقطوعات التي قالها حسان بن ثابت في العهد النبوي، بما فيها قصائد الرثاء التي قالها في النبي ﷺ قد بلغت مئة وأربعاً وثلاثين قصيدة أو مقطوعة، متضمنة ألفاً وتسعةً وخمسين بيتاً.

٢- إن أكثر البحور الشعرية استعمالاً لدى الشاعر كان البحر الطويل، حيث أنه استحوذ على ثلث شعره سواء من حيث عدد القصائد أو من حيث عدد الأبيات.

٣- إن معظم شعر حسان بن ثابت في هذا العهد قد جاء على أوزان الطويل، والكامل، والبسيط، والوافر، حيث استحوذت هذه الأبحر على ما يقارب ٩٠% من شعره.

٤- إن أقل البحور استخداماً لديه كان بحر الرجز الذي لم يقل فيه إلا مقطوعة واحدة مكونة من بيتين.

وهذه الدراسة تتفق مع الدراسة التي أجراها الدكتور محمد طاهر درويش في كتابه (حسان بن ثابت) عن كامل شعر حسان، حيث تبين له أن ٣٥% من شعر حسان الجاهلي، جاء على وزن البحر الطويل، وكذلك جاء ٣٥% من شعره الإسلامي على البحر نفسه[١] ويقول في هذا المجال: (فكانت بحور الطويل والوافر صاحبة الحظ الأوفر من شعره، يليها المتقارب والخفيف والرمل والسريع، ولم ينظم من المديد والهزج والمضارع والمقتضب والمجتث والمتدارك. وكان أكثر من ثلث شعره في الجاهلية والإسلام من الطويل)[٢].

أما النموذج الثاني من الاستقصاء فكان حول شعر كعب بن مالك الذي قاله في العهد النبوي، وقد كان كما يلي:

---

(١) محمد طاهر درويش، **حسان بن ثابت**، دار المعارف بمصر، د.ت، ص٥٢١.

(٢) **المرجع** ذاته، ص ٤٨٢.

الرقم	البحر	عدد القصائد (المقطوعات)	عدد الأبيات	النسبة المئوية لعدد القصائد	النسبة المئوية لعدد الأبيات
١	الطويل	٢١	١٥٦	%٣٨,٩	%٣١,٥
٢	الوافر	١١	١٢٥	%٢٠,٤	%٢٥,٢
٣	المتقارب	٧	٧١	%١٣	%١٤,٣
٤	الكامل	٦	٩٢	%١١,١	%١٨,٥
٥	البسيط	٥	٤٠	%٩,١	%٨,١
٦	الوافر	٢	٥	%٣,٧	%١,٠٠
٧	المنسرح	١	٤	%١,٩	%٠,٨
٨	الخفيف	١	٣	%١,٩	%٠,٦
المجموع		٥٤	٤٩٦	%١٠٠	%١٠٠

ويمكن أن نلحظ من هذا الجدول الملاحظات التالية:

١- إن عدد القصائد والمقطوعات التي قالها كعب بن مالك في العهد النبوي قد بلغت أربعاً وخمسين قصيدة ومقطوعة، متضمنة أربعمائة وستة وتسعين بيتاً.

٢- إن أكثر البحور الشعرية استعمالاً لديه البحر الطويل، إذ نظم أكثر من ثلث قصائده ومقطوعاته على وزن هذا البحر.

٣- إن البحور الطويل والوافر والمتقارب والكامل كانت صاحبة الحظ الأوفر في شعره. حيث أنها استحوذت على ما يزيد على ثلاثة وثمانين بالمئة من شعره. وهذه النتيجة تتسجم مع ما توصل إليه جامع ديوانه والتي تناولت كامل قصائده ومقطوعاته[١].

---

(١) **ديوان كعب بن مالك**، مرجع سابق، ص ١٤٤.

أما فيما يخص شعر عبد الله بن رواحة، فقد كانت نتيجة الاستقصاء كما هي موضحة بالجدول التالي:

الرقم	البحر	عدد القصائد (المقطوعات)	عدد الأبيات	النسبة المئوية لعدد القصائد	النسبة المئوية لعدد الأبيات
١	الرجز	١١	٦١	%٣٢,٤	%٤٥,٢
٢	الطويل	٩	٢٠	%٢٦,٥	%١٤,٨
٣	الوافر	٦	٣٤	%١٧,٦	%٢٥,١
٤	البسيط	٤	١٥	%١١,٨	%١١,١
٥	الخفيف	٣	٤	%٨,٨	%٣,٠
٦	الكامل	١	١	%٢,٩	%٠,٨
المجموع		٣٤	١٣٥	%١٠٠	%١٠٠

ويلاحظ من هذا الجدول الأمور التالية:

١- إن عدد المقطوعات الشعرية التي قالها عبد الله بن رواحة في الإسلام قد بلغت أربعاً وثلاثين مقطوعة وقد تضمنت مئة وخمسة وثلاثين بيتاً فقط. وهو في هذا مقل قلة واضحة مقارنة مع صاحبيه حسان وكعب.

٢- إن أكثر البحور الشعرية استعمالاً لدى الشاعر كان بحر الرجز، حيث كان هذا البحر يستحوذ على ما يقارب ثلث مقطوعاته وعلى ما يقارب نصف عدد أبياته الشعرية. وهو في هذا الأمر يختلف اختلافاً واضحاً عن صاحبيه حسان وكعب، حيث أن حسان ابن ثابت قد استخدم هذا البحر مرة واحدة في مقطوعة ضمت بيتين فقط، وأما كعب ابن مالك فقد استخدمه في مقطوعتين ضمتا خمسة أبيات فقط. وسوف تتضح أسباب هذا الاختلاف عند الحديث عن الخصائص التي يتميز بها هذا البحر ومجالات استعماله.

٣- ويأتي في المرتبة الثانية في الاستخدام لدى الشاعر البحر الطويل، حيث استخدمه فيما يقارب ربع شعره، وهو في هذا قريب إلى حد ما من صاحبيه في استخدام هذا البحر.

وإذا ما تم جمع شعر هؤلاء الشعراء الثلاثة على أنه وحدة واحدة يمثل الغالبية من الشعر العربي الإسلامي الذي قيل في العهد النبوي، وتم استقصاءٌ له، وذلك لغاية معرفة مدى استخدام هذا الشعر للأوزان الشعرية، فإنه سيظهر معنا الجدول التالي:

الرقم	البحر	عدد القصائد (المقطوعات)	عدد الأبيات	النسبة المئوية لعدد القصائد	النسبة المئوية لعدد الأبيات
١	الطويل	٧٥	٥٧٣	%٣٣,٨	%٣٣,٩
٢	الوافر	٣٩	٣٠٥	%١٧,٦	%١٨,١
٣	الكامل	٣٧	٣٠٣	%١٦,٧	%١٧,٩٨
٤	البسيط	٣١	٢١٥	%١٤	%١٢,٧
٥	المتقارب	١٤	١٣٤	%٦,٣	%٨,٠
٦	الرجز	١٤	٦٨	%٦,٣	%٤,٠
٧	الخفيف	٨	٤١	%٣,٦	%٢,٤
٨	الرمل	٢	٢٨	%٠,٩	%١,٧
٩	السريع	١	١٩	%٠,٤	%١,١
١٠	المنسرح	١	٤	%٠,٤	%٠,٢
المجموع		٢٢٢	١٦٩٠	%١٠٠	%١٠٠

ومن هذا الجدول يمكن للمرء أن يخلص إلى عدة نتائج، منها:

١- إن عدد القصائد والمقطوعات الشعرية التي قيلت في العهد النبوي لدى كل من حسان وكعب وعبد الله قد بلغت مائتين واثنتين وعشرين قصيدة ومقطوعة شعرية. وقد

احتوت على ألفٍ وستمائة وتسعين بيتاً. وهذا الكم يشكل ديوانا شعريا كبيرا مقارنة مع الفترة الزمنية المحدودة التي قيل فيها، خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار أن هذا الكم ليس كل الشعر الذي قيل في هذه الفترة، وإن كان يشكل معظمه، وفي هذا ردٌ واضح وصريح على كل من يقول بقلة الشعر العربي في بداية الإسلام. وإذا كنا نشير إلى هذه الملاحظة في هذا المقام فإننا نعلم أن مقامها المناسب هو في موضوع العلاقة بين الإسلام والشعر والذي مرَّ سابقاً، وما إيرادنا لها هنا إلا لأنها فرضت نفسها بشكل واضح من خلال ما أشار إليه الجدول السابق.

٢- أما فيما يخص البحور الشعرية فإن البحر الطويل قد استحوذ على ثلث شعر هؤلاء الشعراء في هذه الفترة، يليه البحر الوافر فالكامل فالبسيط، وهذه الأبحر الأربعة، كلن لها الحظ الأوفر في الاستخدام، حيث أنها استخدمت فيما يزيد على ثمانين بالمائة من الشعر موضوع الدراسة.

أما البحر الطويل، فقد سار فيه شعراؤنا على نهج من سبقهم من شعراء الجاهلية (ولأمر ما فضل الشعراء الأولون البحر الطويل على غيره في باب القصص المتصل بماضيهم وأخبارهم وأساطيرهم وملاحم قبائلهم في الأزمان السابقة، فإن حظه من ذلك هو الأوفر بالنسبة إلى غيره من البحور)[١].

ولكن سبب تفضيل الأولين والآخرين لهذا البحر إنما جاء من خصائص هذا البحر نفسه وانسجامها مع طبيعة هذه الموضوعات (فالطويل يتسع لكثير من المعاني وإكمالها فلذلك يكثر في الفخر والحماسة والوصف والتاريخ)[٢]، وهو أيضاً (رحيب الصدر، طويل النفس، فإن العرب قد وجدت فيه مجالاً أوسع للتفضيل مما كانت تجد في غيره من الأوزان)[٣]، وحيث أن الشعر العربي في العهد النبوي يكاد يكون معظمه في الفخر والحماسة والمعارك والبطولات، فإن البحر الطويل هو الأنسب لاستخدامهم (ومعظم شعراء الحماسة والبطولة والفخر قد استأثر هذا البحر بالنصيب الأوفى من أشعارهم، وذلك لانسجامه مع هذه المواضيع)[٤].

أما البحر الوافر وهو البحر الثاني في الاستخدام، فهو (ألْيَن البحور، يشتد إذا شددته ويرق إذا رققته، وأكثر ما يجود به النظم في الفخر.. وفيه تجود المراثي)[٥]، ومن هنا جاء ترتيبه

---

(١) عبد الله الطيب المجذوب، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، الجزء الأول، ط١، مطبعة الحلبي بمصر، ١٩٥٥، ص ٣٩٨.

(٢) أحمد الشايب، **أصول النقد الأدبي**، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٣، ص ٣٢٢.

(٣) عبد الله الطيب المجذوب، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، مرجع سابق، ص ٤٠٣.

(٤) محمود علي سليم حمدان، **شعر الفخر والحماسة في العصر الإسلامي**، مرجع سابق، ص ١٩٩.

(٥) أحمد الشايب، **أصول النقد الأدبي**، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٣، ص ٣٢٣.

الثاني في الاستعمال لكثرة قصائد الفخر والرثاء لدى شعراء العهد النبوي. وكذلك الأمر بالنسبة للبحر الكامل الذي أتى ثالثاً في الاستخدام (فهو أكثر بحور الشعر جلْجلة وحركات. وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله -إن أريد به الجدّ- فخماً جليلاً مع عنصر ترنميّ ظاهر) [١]. إضافة إلى أنه (يتسم بطابع الجدّ، وهو بعيد عن الهدوء والتأمل، وهما صفتان منتفيتان عن الحرب، وتتميز موسيقاه بالصخب والجلجلة، وهي صفة تتفق وروح المعارك والحروب) [٢]. وهذه الصفات كلها تنسجم مع طبيعة الشعر في العهد النبوي. وقد جاء استخدام هذا البحر في المرتبة الثالثة في الشعر الجاهلي[٣] مثلما جاء ترتيبه في الشعر الإسلامي.

أما بحر الرجز الذي كان ظاهرةً بارزةً لدى الشاعر عبد الله بن رواحة، فإنه (يناسب كل غرضٍ يتسم بالسرعة والحركة والاضطراب كالحروب والصيد والنوح والمفاخرة) [٤]، وفي مجال الشعر الجاهلي وجد (أنه استخدم في الأغراض التالية حسب كثرتها: الارتجاز ساعة اللقاء، والهجوم على الأعداء، وتحريض القوم، وحثهم على الثبات والفخر، ووصف المعارك واللقاء بين الجيشين) [٥]، وقد كانوا في الجاهلية (يرتجلونه في كل حركة من حركاتهم وكل عملٍ من أعمالهم في السلم والحرب،... وقد كان وزناً شعبياً) [٦]. من هنا يتضح سبب كثرة استخدام هذا البحر في شعر عبد الله بن رواحة، حيث أن الناظر في ديوان شعره يجده يخلو من القصائد الطوال، فهو عبارة عن مقطوعات قصيرة تقل عن عشرة أبيات وتصل في حدها الأدنى إلى البيت الواحد، وهذه (المقطوعات أقرب ما تكون إلى الروح الشعبية، وإلى لغة الخطاب العادي، لما تتسم به من سهولة وخفةٍ ويسر) [٧]، إضافة إلى أن معظم شعره قد جاء ارتجالاً أثناء المعارك والحروب، سواء أكان جندياً أم قائداً، وقد مر بنا موقفه في معركة مؤتة عندما أخذ يحث الجند على الثبات في المعركة، وقد قال شعراً في ذلك، ومثله الشعر الذي قاله يستحث نفسه على طلب الشهادة في معركة مؤتة وغير ذلك من النماذج الشعرية التي مر بنا منها العديد.

---

(١) عبد الله الطيب المجذوب، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، مرجع سابق، ص ٢٦٤.

(٢) عفيف عبد الرحمن، **الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي**، ط١، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٤، ص ٣٥٩.

(٣) ينظر في ذلك: المرجع السابق، ص ٣٥٩.

(٤) **المرجع ذاته**، ص ٣٦٨.

(٥) **المرجع ذاته**، ص ٣٧٠.

(٦) شوقي ضيف، **العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص ١٨٦.

(٧) **ديوان عبد الله بن رواحة**، مرجع سابق، ص ١٠٥.

- **القـــافيـــــة**

حتى يصل الشاعر إلى هدفه المنشود من وراء قصيدته المنظومة، فإن عليـــه أن يحســن اختيار القافية التي تلائم هذا المعنى، فالقافية (شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يســمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية)[١]. وإذا كان الوزن يحدد موسيقى الشعر فإن القافيـــة أيضـا (من لوازم الشعر العربي وجزء من موسيقاه، بها تتم وحدة القصيدة وتتحقق الملاءمـــة بـيـــن أواخر أبياتها)[٢]، وليست كل حروف الهجاء تصلح للروي (فهناك حروف تصلح للروي فتكـــون جميلة الجرس لذيذة النظم، سهلة المتناول، بخاصة إذا كانت القافية مطلقة، من ذلك الهمزة والبـاء والدال والراء والعين واللام)[٣]، وقد وجد أن معظم الحروف الهجائية قد اســتعملت فـــي شـــعر البطولة ولكن مع شيء من الإكثار في بعضها عن البعـــض الآخـــر، أي بتفـــاوت نســبة ورود القوافي. ولمعرفة الحروف التي كانت أوفر حظاً في الاستعمال، فقد عمدنا إلى دراسة إحصائيـــة لشعر كل من حسان وكعب وعبد الله بن رواحة والذي قيل في العـــهد النبـــوي، وقـــد تبيـــن أن حروف اللام والدال والراء والميم قد استحوذت على معظم هذا الشعر، وذلك كما هو موضح في الجدول التالي:

الرقم	الحرف	عدد القصائد	عدد الأبيات	النسبة المئوي لعدد القصائد	النسبة المئوية لعدد الأبيات
١	اللام	٣٨	٣٢٧	%١٧,١	%١٩,٣
٢	الدال	٤٥	٢٦٤	%١٥,٨	%١٥,٦
٣	الراء	٣٥	٢٢٨	%١٥,٨	%١٣,٥
٤	الميم	٢٧	٢٣٧	%١٢,٢	%١٤
	المجموع	١٣٥ من ٢٢٢	١٠٥٦ من ١٦٩٠	%٦٠,٠٩	%٦٢,٤

---

(١) ابن رشيق، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٢) أحمد الشايب، **أصول النقد الأدبي**، مرجع سابق، ص ٣٢٤.

(٣) **المرجع ذاته**، ص ٣٢٥.

حيث كان حرف اللام هو الحرف الأول في الاستخدام ثم الدال والراء ثم الميم، وقد وردت هذه الحروف الأربعة فيما يزيد على ستين بالمائة من شعر هؤلاء الشعراء وهذا يدل على أن هذه الأحرف يحسن استخدامها في شعر المعارك والحروب والفخر والرثاء، وشعراؤنا في هذا المجال يسيرون على خطى من سبقهم من شعراء الجاهلية في استعمال هذه القوافي لمثل هذه الموضوعات، (فقد استعمل شعراء الأيام القوافي التالية مرتبةً حسب استعمالها وورودها في شعرهم: الراء والميم واللام والباء والدال... ووردت اللام والراء والميم قوافي لنصف هذا الشعر)[١].

وختام القول في هذا الفصل أن الشعر العربي في العهد المدني لم يكن في مستوى سابقه من الشعر الجاهلي أو في مستوى لاحقه من الشعر الأموي، رغم أنه عكس الواقع الذي وجد فيه من حيث الأحداث والتطورات التي نشأت عن الدين الجديد. فتحدث عن الدعوة الإسلامية وتطورها، وعن معارك المسلمين وغزواتهم، والبطولات التي حدثت في تلك المعارك. وتأثر بمبادئ الدين الجديد فعزف عن كثير من ألفاظ الجاهليين ومعانيهم، واستخدم الألفاظ والمعاني الإسلامية، ولكن ذلك كله قد جاء بضعف فني لا يخفى على الدارسين. ولكنه اقتفى أثر شعراء الجاهلية في استخدام الأوزان العروضية والقوافي التي تناسب الموضوعات التي كانوا يطرقونها.

---

(١) عفيف عبد الرحمن، **الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص ٣٦٣.

الخاتمة

وبعد، فَإنّ ما كَان له بداية لا بد وأن يكون له نهاية، وإذا كان لا بدّ من وقفة تأمّل واستذكار لما جاء في هذا البحث، فإن أحسن ما يمكن الوقوف عنده، هو ما نعتقد أن هذا البحث قد جلاّه، وكشف عنه الغطاء مما لم تسلّط عليه الأضواء من قبل، أو أن ضوءه ظهر بشكل خافت. وأول ما كان من ذلك في هذا البحث هو تمكنه من جمع عناصر المفهوم الجديد للبطولة في الإسلام من خلال آيات القرآن الكريم، وبيان مدى تأثر الشعر العربي في هذه المرحلة بهذه العناصر، وتجاوبه مع المعاني القرآنية التي جاءت تحدد هذه العناصر. ويتضح من خلال ذلك الاستجابة السريعة والفورية لدى عامة المسلمين في فهم وتمثل المبادئ الإسلامية التي حددت مفهوم البطولة ومبادئ القتال وأسبابه وأهدافه، وقد كان ذلك من خلال ما جاء في الفصل الأول من هذا البحث.

أما في الفصل الثاني، فقد تم تسليط الضوء على صفات الأبطال المسلمين في العهد النبوي، ولكنه لم يظهر بطلٌ مُعيّن من عامة المسلمين، تحدث عنه الشعراء على أنه البطل الرمز الذي لا يشق له غبار، وما كان ليحدث ذلك ورسول الله ﷺ بين ظهرانيهم، وهو النور الذي أنار لهم عتمة الدرب، وأرشدهم سواء السبيل، ومع ذلك فلم يجرؤ الشعراء على أن يقفوا في مدحه على أنه هذا البطل الرمز الذي يلتفون حوله، فقد كان هذا من ضمن ما كان فيه عليه السلام، بل هو أقل ما فيه إذا ما نظرنا إلى حديثهم عن أخلاقه وصفاته الإنسانية العالية، ويقف كل ذلك أيضاً دون منزلته كرسول مبلغ رسالة ربه، وهي أسمى ما يمكن أن تكون لبشر.

أما في الفصل الثالث، فقد عمل هذا البحث على إعادة دراسة وتحليل أقوال القدماء التي أدت إلى ظهور ما يسمى بنظرية ضعف الشعر في صدر الإسلام، وهي أقوال ابن خلدون وابن سلاّم، التي اعتمدت على وجود فترة انقطاع في الاهتمام بالشعر ونظمه، ومن خلال دراسة وتحليل النصوص ذاتها تبين عدم وجود أي فترة -طالت أم قصرت-، انقطع فيها حبل الشعر أو قلّ الاهتمام به. أما في مجال الآيات القرآنية التي تناولت الشعر والشعراء، فقد بيّنت هذه الدراسة أن جميع هذه الآيات إنما هي آيات مكية، حيث لم يكن هناك شعر إسلامي بعد، وأن معنى هذه الآيات قد جاء لدفع التُهم التي وجهها أهل مكة، ومناطها أن القرآن شعر وأن النبي شاعر.

أما القسم الثاني من هذا الفصل الأخير فقد عمل -ومن خلال الدراسة الفنية التحليلية- على بيان مدى تأثر شعراء هذه الفترة بالدين الجديد، سواء على صعيد الهيكل العام للقصيدة أم في مجال الألفاظ والتراكيب والمعاني.

النتائج:

إن أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث، ما يلي:

١-أن البطولة في العصر الجاهلي إنما كانت بطولة فردية، وقد ظهر أبطال تميز كل واحد منهم في مجال من مجالات الحياة.

٢-أن البطولة في العصر الإسلامي -وهو عصر البطولة الحقّة-، لم تكن بطولة فردية، وإنما عملت جماعة المسلمين يتقدمهم رسول الله ﷺ على تحقيق مفهوم البطولة في هذا العهد.

٣-أن تأثر الشعراء المسلمين بالأفكار والمعاني والألفاظ الإسلامية، قد بدأ مع بداية إيمانهم بهذا الدين الجديد، وإن كان ذلك قد أدى إلى ضعف في المستوى الفني في الشعر لا يمكن إنكاره.

٤-أنه لم يكن هناك فترة انقطاع في الاهتمام بالشعر ونظمه، بسبب هذا الدين الجديد، بل إنه وعلى العكس من ذلك شجع على قول الشعر، واتخذه وسيلة من وسائل الدفاع عن الإسلام.

التوصيات:

وبعد هذا الجهد المتواضع، فإن الباحث يتقدم بتوصيتين اثنتين:

أولاهما: أن يعيد الباحثون والدارسون النظر في تناول شعر العهد النبوي على أنه جزء من عهد صدر الإسلام والذي يعني لهم أيضاً العهد الراشدي والأموي، ذلك أن العهد النبوي –وعلى قصر فترته الزمنية– إنما هو وحدة واحدة متكاملة مستقلة عما سبقها، وتختلف عن لاحقتها، من الناحيتين الموضوعية والفنية.

وثانيهما: أن تكون هناك دراسات متخصصة ومتعمقة لمعرفة الصحيح من المنحول في كثير من شعر هذه الفترة، مما ينسب إلى الكثيرين أمثال أبي طالب وأبي بكر وعمر وغيرهم. وكذلك لتجلية الأمر في بعض الشعر الذي ينسب إلى أكثر من قائل أمثال كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم، وإذا كان هذا الأمر قد يصعب على الواحد، فإنه لن يستعصي على الجماعة من العلماء العاملين.

وأخيراً، فإن خير ختام لما ذُكِرَ اسم الله على مبتداه، أن ننهي بحمد الله وشكره على منتهاه،

فالحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- المصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، **مقدمة ابن خلدون**. تحقيق: درويش الجويدي، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.

٣- ابن سعد، أبو عبد الله محمد (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)، **الطبقات الكبرى**. دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧م.

٤- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. تحقيق: محمد علي، طبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠م.

٥- ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٧هـ/٩٣٨م)، **العقد الفريد**. تحقيق: مفيد قمحية، ط٣، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٦- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**. ط٢، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٧م.

٧- ـــــــ، **تفسير القرآن العظيم**. طبع بدار إحياء الكتب العربية، عيسى البابلي الحلبي، د.ت.

٨- ـــــــ، **السيرة النبوية**. تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ج٤، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٦م.

٩- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن المكرم الأنصاري (ت٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**. تحقيق: عبد الله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

١٠-ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت٢١٨هـ/٨٣٣م)، **السيرة النبوية**. تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار القلم، بيروت، د.ت.

١١-البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)، **صحيح البخاري**. دار الجيل، بيروت، د.ت.

١٢-البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ/١٦٨٢م)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**. تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٩م.

١٣-التبريزي، يحيى بن علي بن محمد (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)، **ديوان الحماسة**. دار العلم، بيروت، د.ت.

١٤-التبريزي، يحيى بن علي بن محمد (ت٥٠٢هـ/١١٢٦م)، **شرح القصائد العشر**. قدم لـه: فواز الشعار، ط١، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٨م.

١٥-الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، **الحيوان**. تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، ج١، شركة ومطبعة مصطفى الباب الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥.

١٦-الجمحي، محمد بن سلام (ت٢٣١هـ/٨٤٥م)، **طبقات الشعراء**. إعداد: اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

١٧-حاتم الطائي، **ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره**. تحقيق: عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.

١٨-حسان بن ثابت، **شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري**. تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٠م.

١٩-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، وجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، **تفسير الجلالين**. مراجعة: مروان سوار، ط٥، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٢م.

٢٠-الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، **تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٦، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م.

٢١-طرفة بن العبد، **ديوان طرفة بن العبد**. تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٢-عباس بن مرداس، **ديوان عباس بن مرداس السلمي**. جمعه وحققه: يحيى الجبوري، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٨م.

٢٣-عبد الله بن رواحة، **ديوان عبد الله بن رواحة**. وليد قصاب، ط٢، دار الضياء، عمان، ١٩٨٨م.

٢٤-القرشي، أبو زيد محمد، **جمهرة أشعار العرب**. شرح: علي فاعور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

٢٥-القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (ت٤٥٦هـ/١٠٣٦م)، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**. تحقيق: مفيد قمحية، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٦-كعب بن مالك الأنصاري، **ديوان كعب بن مالك الأنصاري**. تحقيق: سامي مكي العاني، ط١، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٦م.

٢٧-الواقدي، محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ/٨٢٣م)، **كتاب المغازي**. تحقيق: مارسدن جونسن، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

- المراجع:

١- أحمد، محمد عبد القادر، **دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي**، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م.

٢- البستاني، بطرس، **الشعراء الفرسان**، ط٢، دار المكشوف، بيروت، ١٩٦٦م.

٣- البهبيتي، نجيب محمد، **تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٢م.

٤- التطاوي، عبد الله، **القصيدة العربية بين الجاهلية وصدر الإسلام**، دار الوفاء للنشر والإعلان، القاهرة، ١٩٨٤.

٥- الجبوري، يحيى وهيب، **الإسلام والشعر**، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٤م.

٦- _____، **الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه**، ط٦، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ١٩٩٣م.

٧- _____، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

٨- الجندي، أنور، **الإسلام وحركة التاريخ**، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م.

٩- الجندي، عبد الحميد سند، **زهير بن أبي سلمى، شاعر السِّلم في الجاهلية**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

١٠-الجندي، علي، **شعر الحرب في العصر الجاهلي**، ط٣، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، ١٩٦٦م.

١١-الحوفي، أحمد، **البطولة والأبطال**، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ١٩٥٧م.

١٢-_____، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، دار القلم، بيروت، د.ت.

١٣-درويش، محمد طاهر، **حسان بن ثابت**، دار المعارف بمصر، د.ت.

١٤-الرقب، شفيق، **شعر الجهاد في عصر الموحدين**، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٤م.

١٥-زيدان، جرجي، **تاريخ آداب اللغة العربية**، دار الحياة، بيروت، د.ت.

١٦-سركيس، إحسان، **الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية**، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م.

١٧-الشايب، أحمد، **أصول النقد الأدبي**، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٣م.

١٨-_____، **تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني**، دار القلم، بيروت، ١٩٤٥م.

١٩-ضيف، شوقي، **العصر الإسلامي**، ط٦، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.

٢٠-ضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م.

٢١- _____، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، ط٤، دار المعارف بمصر، د.ت.

٢٢-عبد الرحمن، عفيف، **الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي**، ط١، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١م.

٢٣-عطوان، حسين، **مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام**، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٤-علي، محمد عثمان، **في أدب الإسلام، عصر النبوة والراشدين وبني أمية**، ط٢، دار الأوزاعي، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٥-فروخ، عمر، **تاريخ الأدب العربي**، ج١، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨م.

٢٦-فيصل، شكري، **تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام**، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت.

٢٧-القاضي، النعمان عبد المتعال، **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

٢٨-القط، عبد القادر، **في الشعر الإسلامي والأموي**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٩-قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، مجلد ٥، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٤م.

٣٠-القيسي، أيهم عباس، **شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام**، ط١، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م.

٣١-القيسي، نوري حمودي، **الفروسية في الشعر الجاهلي**، ط٢، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤م.

٣٢- _____، **شعر الحرب عند العرب**، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨١م.

٣٣-كارليل، توماس، **الأبطال**، ترجمة: محمد السباعي، دار الكاتب العربي، القاهرة، د.ت.

٣٤-المجذوب، عبد الله الطيب، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، ج١، ط١، مطبعة الحلبي بمصر، ١٩٥٥م.

٣٥-الهاشمي، محمد علي، **كعب بن مالك الأنصاري**، الصحابي الشاعر الأديب، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٥م.

٣٦-هيكل، محمد خير، **الجهاد والقتال في السياسة الشرعية**، دار البيارق، بيروت، ١٩٩٣م.

- **المقالات:**

١-أبو السعود، فخري، البطولة في الأدبين العربي والإنجليزي، **مجلة الرسالة**، (القاهرة)، السنة الخامسة، العدد ١٨٩، ص ٢٥٠.

٢-البصير، عبد الرزاق، البطولة في الشعر الحديث، **مجلة الآداب البيروتية**، ١٩٥٩م.

٣-رضا، غانم جواد، ملامح من البطولة العربية في شعر الفتوح، **مجلة البصرة**، عدد ١٠، ص ٩٩، ١٩٨١م.

٤-فالح، جليل، البطل في شعر الحماسة، **آداب الرافدين/ جامعة الموصل**، العدد ١٤، ص٢٤٣، ١٩٨١م.

٥-المجذوب، محمد، البطولة في الأدب العربي، **مؤتمر الأدباء العرب**، الدورة الرابعة، الكويت، ٢٠-٢٨ ديسمبر ١٩٥٨، مطبعة حكومة الكويت، ص ٩٠.

- **المواد غير المنشورة:**

١-حمدان، محمود علي سليم، **شعر الفخر والحماسة في العصر الجاهلي**، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٦م.

٢-محمد، صادق الشيخ خريوش، **صورة البطل في كتب الحماسة**، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، ١٩٩١م.

- **المراجع الأجنبية:**

1- **Barthold,** V.V.: Musuluman Culture, Calcutta, 1934.

2- **De Boer**, T. Jones: The History of Philosophy in Islam, London, 1933.

3- **Della Vida,** George Levy: Pre- Islamic Arabic the Arab Heritage, New Jersy, 1944.

4- **Nicholson,** R.A.: A Literay History of the Arabs, Cambridge, 1930.

The most important results concluded is that heroism in the new Islamic era was different than the pre-Islamic era, as it was an individual heroism while it became for groups represented by Moslems lead by the Prophet Mohammad (peace be upon him). In addition to that it was not proven that poetry was ignored, in contrary to those who said that it was weakened during the Islamic era because of its teachings.

Finally, the researcher recommends other researchers to handle the poetry of the prophet's era as an integrated unit in the technical and subjective sense, with its own characteristics that distinguish it from the poetry of *Khulafa's* or Umayyad's eras. In addition to another recommendation based on conducting specialized intensive studies to know *saheeh* from *manhool* in most of the poetry of that era. Also, conduct other studies to clarify the status of some of the poetry attributed to more that one reporter, in order to give the poetry of the prophet's era what it deserves, as it talked about the most important and sacred period in the Islamic history.

The second chapter studied the subjects covered by the poetry of heroism in the Prophet's era. The first subject was the characteristics of the hero and Moslem heroes as described by the Arabic poetry in that era. The second subject discussed the description of the Prophet (peace be upon him) through poetry, which described him as a Prophet and a messenger, then his characteristics and human morals, then as a fighter and a hero, a leader and a winner. That description was in harmony with the Holly Quran about the Prophet (peace be upon him). The third subject discussed the description of the Islamic army, its battles, horses and weapons used.

The third chapter studied the poetry of heroism at the prophet's era from the technical point of view, starting with the relationship between Islam and poetry to check the theory that talks about the weakness of Arabic poetry in that era. This chapter also studied the purposes of heroism poetry at the prophet's era, then the general structure of poetry and the effects of incidents on that structure. It also discussed expressions, structures and meanings that came in the prophet's era, and to what extent it was influenced by the new religion. This chapter was concluded with studying the style of the poets in forming their poetry, and the types of eloquent embellishments. Then studied the meters, rhymes, and clarified to what extent it was related with the methods of old poetry and to what extent it was influenced by the new religion.

ABSTRACT

Heroism in the Islamic-Arabian Poetry at the Prophet's era

The Prophet's era is considered one of the most important and sacred period in the Islamic history for its great effect on Arabs' life specifically, and the other nations in general, through the spread of Islam which contributed in building a civilization that developed humanity in general.

The men who spread Islam were characterized by heroism that enabled them to achieve that. Those heroic characteristics came from the new concepts that the new religion brought out.

The Arabic poetry at the Prophet's era emphasized those characteristics and described them in a way that reflects their influence by the new religion, i.e., the structure, wordings and meanings used in this poetry.

Introduction to this research was made about the meaning of hero and heroism in general. A summary about Arab heroism in the pre-Islam era (*Jahilieh*) was given as described by the poets of pre-Islam. The first chapter clarifies the elements of the new concept for heroism through quotes from the Holly Quran, which explained these elements. This chapter then studied the influence of Moslem heroes by those new elements, through the reports of the poets about the heroes of that era.